مفاتيح الرزق

تأليف وتحقيق

الشيخ/ السيد عطية السيد

أبو عبد الرحمن

إمام مسجد مالك الملك - بالمنصورة

ت/ ٠١٢٢٢٤٥٩١٢٢٧

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: مفاتيح الرزق

إعـــــداد: السيد عطية السيد

رقم الإيداع:

الطبعة الأولى ٢٠١٣

مكتبة جزيرة الورد

القاهـرة : ٤ ميـدان حليـم خلـف بنـك فيصـل

ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مفاتيح الرزق

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة	:::	فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن	:::	فبمن يلوذ ويستجير المجرم
مالي إليك وسيلة إلا الرضا	:::	وجميل عفوك ثم أني مسلم

مقدمة الكتاب

(أحبتي في الله)

إن من الهموم التي تسيطر على كثير من الناس مسألة الرزق والبحث عن لقمة العيش، ترى بعض الناس قد تغرب عن أهله ووطنه، وآخرين قد ظهر على وجوههم التعب والإجهاد من آثار السعي في جمع المال. وعلى صعيد آخر يعيش مجموعات من الموظفين والعمال تحت رحمة أرباب الأعمال والكفلاء فترى الواحد منهم يعصره، همه الخصومات من مرتبه، فنهاره يترقب القرارات الصادرة من رئيسه التي تتعلق به وبراتبه، وفي الليل تسيطر عليه كوابيس شتى فهو يعيش في رق الوظيفة ليله ونهاره.

قال ابن تيمية: (والرزق اسم لكل ما يغتذى به الإنسان وذلك يعم رزق الدنيا ورزق الآخرة.. فلابد لكل مخلوق من الرزق، قال الله تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا} [هود: ٦].

حتى إن ما يتناوله العبد من الحرام هو داخل في هذا الرزق، فالكفار قد يرزقون بأسباب محرمة ويرزقون رزقا حسنا، وقد لا يرزقون إلا بتكلف، وأهل التقوى يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون، ولا يكون رزقهم بأسباب محرمة ولا يكون خبيثا، والتقى لا يحرم ما يحتاج إليه من الرزق، وإنما يحمى من فضول الدنيا رحمة به وإحسانا إليه، فإن توسيع الرزق قد يكون مضرة على صاحبه، وتقديره يكون رحمة لصاحبه).

ولا شك أن الرزق في الدنيا والسعي فيها أمر يحرص عليه كل

مسلم بلا استثناء، ولا شك أيضاً بأن العاقل من سلك هذه الأسباب الشرعية التي مر ذكرها. وخير من ذلك كله أن ترتفع همة الصبر عند العبد، فينظر ببصيرته إلى نعيم الآخرة، إلى تلك الدار التي لا يلحقها فناء ولا يكدر صفوها موت أو مرض، ولذا كان من دعاء النبي ﷺ :«**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة**».

رواه البخاري في الجهاد، باب البيعة في الحرب أن لا يفروا ١٠٨١/٣
(٢٨٠١).

(وفى هذا الكتاب)

نذكر إخواننا المسلمين على اختلاف طبقاتهم من غني وفقير وكفيل ومكفول ورئيس ومرؤوس، نذكرهم جميعاً بأنهم لن يصلهم من الدنيا إلا ما قدّر الله لهم، فقد كتب الله جل جلاله رزقك يا ابن آدم وأنت في بطن أمك.

أيها المسلمون: يوجد هناك من يعتقد أن التمسك بالإسلام والالتزام بأوامر الله يعتقد أن هذه الأمور لا تجتمع مع الغنى، وهذا سوء ظن بالله عز وجل.

إنك أخي المسلم تدعو ربك في كل صلاة فتقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فهل تدرك معنى هذه الدعوة؟ لقد كان هذا أكثر ما يدعو به المصطفى ﷺ. إنه سؤال الرب عز وجل أن يؤتيك من الدنيا ما تتعفف به عن الآخرين وتكتمل لك السعادتان سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

إذن شرع الله لا يهمل مسألة الرزق وكسب العيش، بل إن التمسك بشرع الله حقاً من أعظم أسباب الرزق، وذلك أن تعمل بما جاء به النبي ﷺ.

أيها الأحبة: سأذكر لكم في هذا الكتاب بعض ما جاء في شرع الله من أسباب كسب الرزق وزيادته ونماءه، لكن قبل ذلك ينبغي أن نعلم جيداً بأن ما يُذكر لا ينتفع به صاحبه وإن فعله وطبقه إذا ضعف يقينه بالله، هذا

إن فعل فكيف بالذي لا يفعل ما يذكر به، فاحذر أخي المسلم وأنت تسمع نصوص الكتاب والسنة أن يضعف يقينك في كلام الله وفي كلام رسوله ﷺ، فرقٌ بين من يعمل العمل وهو يستيقن أن الله عز وجل وعده صدق وكلامه حق وبين من يقرئه وهو متردد في ذلك.

(ملحوظة):

سأذكر بفضل الله وحده وتوفيقه في هذا الكتاب بعضا من مفاتيح الرزق (بتوسع) حتى أرد على كل الأسئلة التي تدور في عقل القارئ أثناء القراءة وحتى يكثر الانتفاع بجميع مواضيع الكتاب والله هو وحده الموفق لكل خير وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكتبه
الشيخ / السيد عطية السيد
أبو عبد الرحمن
إمام مسجد مالك الملك بالمنصورة
وعضو في رابطة علماء السنة برقم ٢٠٢٠٩
ت / ٠١٢٢٤٥٩١٢٢٧

(من وجد خطأ في هذا الكتاب فليتصل بى فإن الكمال لله وحده)

والله من وراء القصد

* * *

التقوى من مفاتيح الرزق

قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢ - ٣].

(أحبتي في الله)

إن تقوى الله سبب لتفريج الكُرَب والخَلاص من مضار الفقر بل إن تقوى الله من أجل الأسباب لسعة الرزق بل إن يقين المسلم وتقواه يدفعان عنه الخواطر الشيطانية التي تثبطه عن التقوى والخوف من الله يحقق وعد الله إياه بأن يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب.

فكل مَن اتقى الله تعالى، ولازم مرضاة الله في جميع أحواله، فإن الله يثيبه في الدنيا والآخرة. ومن جملة ثوابه أن يجعل له فرجًا ومخرجًا من كل شدة ومشقة، وكما أن مَن اتقى الله جعل له فرجًا ومخرجًا، فمَن لم يتق الله، وقع في الشدائد والآصار والأغلال، التي لا يقدر على التخلص منها والخروج من تبعتها.

{وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٣]، أي: يسوق الله الرزق للمتقي، من وجه لا يحتسبه ولا يشعر به.

[التحرير والتنوير - تيسير الكريم الرحمن].

* * *

تعريف الصحابة للتقوى

قيل: يا بن مسعود! ما معنى التقوى؟ قال:

[أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر] أن يطاع الله فلا يعصى، هذا حق تقواه عز وجل، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، فمن كفر نعمة الله فما اتقى الله، ومن عصى الله فما اتقاه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن نسيه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، أنساه الله نفسه، ومستقبله، وولده، وبيته، وأسرته، ومكتبه، ومنصبه في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولذلك يقول عز من قائل: {وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٨١} [البقرة: ٢٨١].

وقف أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، وهو - كما يقول ابن كثير - في عهده (بعد موت عثمان) أزهد الناس، وأخشى الناس، وأعلم الناس؛ لأنه تربية رسول الله ﷺ ، وقف على منبر الكوفة، فسئل عن التقوى؟ قال: [هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل] اسمع لكلمات النور وحرارة الإيمان التي بعثها جيل محمد ﷺ في قلوب الناس، هي الخوف من الجليل، والجليل هو الله، والعمل بالتنزيل، فالذي يتقي الله ثم لا يعرف ماذا يتقي ولا تكون تقواه على بصيرة من الكتاب والسنة ما اتقى الله.

والرضا بالقليل، ألا تكون الدنيا أكبر همك، بل ترضى منها ما يكفيك؛ كالمسافر إذا أراد سفراً، والاستعداد ليوم الرحيل، هذا هو تعريفها عند علي رضي الله عنه وأرضاه.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يسأل عن التقوى، وقبل أن نأتي لسؤال عمر نقف مع عمر وقفة قصيرة:

عمر أحياه الله عز وجل وولد مرة ثانية في الحياة الدنيا، لأنه - كما أسلفت - أن مولد الكافر مولداً واحد، لكن موته مرتين، فعمر عاش رضي الله عنه قبل أن يسلم في الجاهلية لم يكن يعرف إلى أين يتجه ولماذا يعيش؟ كما يعيش كثير من الناس اليوم.

كثير من الناس اليوم يعيشون على الطعام والشراب، وعلى المنام والكلام، ولكنهم لا يعرفون معنى الحياة، يظنون أنها كأس، ومتعة، ولهو، وغناء، وطرب، وبعد عن الله عز وجل.

فلما أراد الله أن يحيي قلب عمر رضي الله عنه.

أتى رسول الله ﷺ بذاك القول العظيم بكتاب الله الكريم، فسمع عمر رضي الله عنه قوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: {طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ } [طه: ١ - ٢].

فاهتز لهذه الكلمات وسقطت كل ذرة من ذرات الشرك من جسمه، وأتى إيماناً كاملاً من أخمص قدميه إلى مشاش رأسه، فذهب

ليبايع الرسول ﷺ، وانضم إلى هذا الموكب الكريم الذي يتصل أول سنده بنوح عليه السلام، وآخر السند بمحمد ﷺ إلى آخر مؤمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(يقول الشيخ الشعراوى رحمه الله)

(فإذا كان اللباس المادي فيه مواراة وستر لفضوح الدنيا، فإن لباس التقوى يواري عنا فضوح الآخرة. أو لباس التقوى هو الذي تتقون به أهوال الحروب؛ إنّه خير من لباس الزينة والرياش لأنكم تحمون به أنفسكم من القتل، أو ذلك اللباس - لباس التقوى - خير من اللباس المادي وهو من آيات الله، أي من عجائبه، وهو من الأشياء اللافتة؛ فالإنسان منكم مكون من مادة لها احتياجات مادية وعورات مادية، وهناك أمور قيمية لا تنتظم الحياة إلا بها، وقد أعطاك الحق مقومات الحياة المادية، وزينة الحياة المادية، وأعطاك ما تحيا به في السلم والحرب، ومنهج التقوى يحقق لك كل هذه المزايا). [انتهى من تفسير الشعراوي].

* * *

حفظ الجوارح من تمام التقوى

القلب ملك الأعضاء:

- أحبتى في الله -

قال تعالى:{إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا } [الإسراء: ٣٦].

الفؤاد هو القلب، وهو لهذه الأعضاء كالملِك المتصرف في الجنود؛ فكلها تحت مشيئته وقهره؛ تكتسب منه الزيغ والاستقامة، كما أخبر رسول الله ﷺ: «ألا وإنَّ في الجسدِ مُضغَةً إذا صلحتْ صلحَ الجسدُ كلُّهُ، وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كلُّهُ؛ ألا وهي القلبُ» انظر فتح الباري (١/ ١٢٦).

يقول د. خالد الجبير:

وكما أن القلب لأعضاء الجسم هو الملك المتصرف فيها؛ إذا صلح معنويًا صلحت باقي أعضاء الجسم وجوارحه، كذلك إذا مرض القلب

عضويًا، وأصيب بأحد الأمراض التي تؤثر على وظيفته؛ فإن باقي أعضاء الجسم الأخرى تتأثر، فالرئة تمتلئ بالماء وتتأثر وظيفتها، ويتضخم الكبد وتتأثر وظيفته، وكذلك الكلى قد تتوقف، وتقل الهمة، وتزيد الغمة، وتتورم الأطراف، وينتفخ البطن، ويجهد المخ.. إذًا هو تأثير القلب؛ الذي هو فعلاً ملك الأعضاء، والمسيطر على صحتها؛ (إذا صلح صلحت، وإذا فسد فسدت) انتهى من محاضرة أمراض القلوب.

* * *

صلاح القلب

(قلت)

ومن هنا كان الحرص على سلامة القلب؛ فإنه دليل النجاة.

{يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

قال الفخر الرازي: [في هذا الاستثناء وجوه: أحدها: أنه إذا قيل لك: هل لزيد مال وبنون؟ فتقول: مالُهُ وبنوه سلامة قلبه؛ تريد نفي المال والبنين عنه وإثبات سلامة القلب له بدلاً عن ذلك، فكذا في هذه الآية. وثانيها: أن نحمل الكلام على المعنى ونجعل (المال والبنين) في معنى (الغنى)؛ كأنه قيل: يوم لا ينفع غنى إلا غنى مَن أتى الله بقلب سليم؛ لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه، كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه. وثالثها: أن نجعل (مَن) مفعولاً لـ (ينفع)، أي لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلاً سلم قلبه مع ماله؛ حيث أنفقه في طاعة الله تعالى، ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين، ويجوز على هذا: {إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾} [الشعراء: ٨٩] مِن فتنة المال والبنين.

أما (السليم) فالمراد منه سلامة القلب عن الجهل والأخلاق الرذيلة؛ وذلك لأنه كما أن صحة البدن وسلامته عبارة عن حصول ما ينبغي من المزاج والتركيب والاتصال، ومرضه عبارة عن زوال أحد تلك الأمور؛ فكذلك سلامة القلب عبارة عن حصول ما ينبغي له وهو العلم والخلق الفاضل، ومرضه عبارة عن زوال أحدهما.. فقوله: {إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾} أنْ يكون خاليًا عن العقائد الفاسدة والميل إلى شهوات الدنيا ولذاتها.

فإن قيل: فظاهر هذه الآية يقتضي أن مَن سلم قلبه كان ناجيًا، وأنه لا حاجة فيه إلى سلامة اللسان واليد.. جوابه: أن القلب مؤثر، واللسان والجوارح تبع؛ فلو كان القلب سليمًا لكانا سليمين لا محالة، وحيث لم يسلما ثبت عدم سلامة القلب. من كتاب مفاتيح الغيب للرازي.

قلت: [والقلب السليم هو الذي قد صارت السلامة صفة ثابتة له، وهو ضد المريض والسقيم والعليل. وقد اختلفت العبارات في معنى القلب السليم. والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم مِن كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومِن كل شبهة تعارض خبره؛ فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله ﷺ ا.هـ.

وقد جاء في كتاب إغاثة اللهفان أن القلب السليم هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادة ومحبة، وتوكلاً وإنابة، وإخباتًا وخشية ورجاءً.. وخلص عمله لله؛ فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله.. ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل مَن عدا رسوله ﷺ ؛ فيعقد قلبه معه عقدًا محكمًا على الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال من أقوال القلب؛ وهي العقائد، وأقوال اللسان؛ وهي الخبر عما في القلب، وأعمال القلب؛ وهي الإرادة والمحبة والكراهة وتوابعها، وأعمال الجوارح.. فيكون الحاكم عليه في ذلك كله؛ هو ما جاء به الرسول ﷺ.

قال بعض السلف: ما مِن فعلة وإنْ صغرت، إلا يُنشر لها ديوانان: لِمَ..؟ وكيف..؟

أي: لِمَ فعلتَ؟ وكيف فعلتَ؟ فالأول: سؤال عن علة الفعل وباعثه وداعيه: هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل، وغرض من أغراض الدنيا في محبة المدح من الناس، أو خوف ذمهم، أو استجلاب محبوب عاجل، أو دفع مكروه عاجل، أم الباعث على الفعل القيام بحق العبودية، وطلب التودد والتقرب إلى الرب سبحانه وتعالى، وابتغاء الوسيلة إليه..؟ ومحل هذا السؤال: أنه هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولاك، أم فعلته لحظك وهواك؟؟ والثاني: سؤال عن متابعة الرسول ﷺ في ذلك التعبد؛

أي: هل كان ذلك العمل مما شرعتُه لك على لسان رسولي، أم كان عملاً لم أشرعه، ولم أرضه؟؟

فالأول سؤال عن الإخلاص، والثاني عن المتابعة؛ فإن الله سبحانه لا يقبل عملاً إلا بهما.. وطريق التخلص من السؤال الأول بتجريد الإخلاص، وطريق التخلص من السؤال الثاني بتحقيق المتابعة، وسلامة القلب من إرادة تعارض الإخلاص، وهوى يعارض الاتباع.. فهذا حقيقة سلامة القلب الذي ضُمنت له النجاة والسعادة] [إغاثة اللهفان (بتصرف يسير)].

(قلت)

وفي القرآن مواضع متكررة فيها هذا الارتباط بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله، وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء.. جاء في موضع: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} [المائدة: ٦٥ - ٦٦].

وجاء في موضع: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} [هود: ٣].

وهذه القاعدة التي يقررها القرآن في مواضع متفرقة، قاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله، ومن سنة الحياة؛ كما أنّ الواقع العملي يشهد بتحققها على مدار القرون. (انتهى)

قال أبو سعيد الخدري: ومَن يبرأ مِن حوله وقوته بالرجوع إلى الله؛ يجعل له مخرجا مما كلفه بالمعونة له. وتأول ابن مسعود ومسروق الآية على العموم، وقال أبو ذر: قال النبي ﷺ: «إني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم»، وتلا: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢ - ٣]، فما زال يكررها ويعيدها.

وقال ابن عباس: مخرجًا من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة.

قال الزجاج: إذا اتقى وآثر الحلال والتصبر على أهله؛ فتح الله عليه إنْ كان ذا ضِيقة، ورزقه مِن حيث لا يحتسب.

[من كتاب الجامع لأحكام القرآن - الظلال].

وقد قيل لأحد الصالحين: إن الأسعار قد ارتفعت، فقال: أنزلوها بالتقوى؛ في إشارة منه لقوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦].

والله جل وعلا يضمن للخليقة جمعاء رزقها فضلا منه لا وجوبا عليه، ووعدا منه حقا، فهو لم يخلق الخلق ليضيعهم:{وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾} [هود: ٦].

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: " إن رُوحَ القُدُسِ نَفثَ في رُوعِي أنَّ نفسًا لن تموتَ حتى تستكملَ رزقَها، ألا فاتقوا الله وأجمِلوا في الطلبِ، ولا يحملنكم استبطاءُ الرزقِ أنْ تطلبوه بمعاصي الله؛ فإنه لا يُدرَكُ ما عندَ الله إلا بطاعتِهِ". [أخرجه الحاكم وابن حبان، وحسنه الألباني].

فإن العبد إذا أيقن أن الرزق بيد الله، وأنه آتيه لا محالة تفرغ لأداء المهمة التي خلقه الله من أجلها؛ وهي العبادة بمفهومها الشامل. وحينئذ يمكنه أن يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم؛ فلا يخشى فصلا من عمل، أو طردا من وظيفة، أو حرمانا من تجارة؛ فرزقه عند الله لا محالة.

وهو عندما يبذل سببا للحصول على الرزق؛ يبذله وهو عزيز النفس رافع الرأس، فليس لأحد منة عليه، بل المنة والفضل لله جميعا.

والله جل وعلا عندما قسم الأرزاق جعل بينها تفاوتا:{ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾} [الإسراء: ٣٠].

ولو أعطى الله الخلق فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان:{ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾} [الشورى: ٢٧].

إنه سبحانه وتعالى يرزق عباده بالقدر الذي فيه صلاحهم، فيُغني من لا يُصلحه إلا الغنى، ويَقْدِر على مَن لا يُصلحه إلا الفقر؛ بحكمته وعدله جل وعلا:{ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾} [الشورى: ١٢].

والرزق مكتوب للعبد وهو في بطن أمه: " إنَّ أحدَكم يُجمعُ خلقُه في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا، ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مُضغةً مثلَ ذلك، ثم يبعثُ اللهُ إليهِ مَلَكًا، ويُؤمَرُ بأربعِ كلماتٍ، ويُقالُ له: اكتبْ عملَه ورزقَه وأجلَه، وشقيٌّ أو سعيدٌ، ثمُ يُنفخُ فيه الروحُ ". [رواه البخاري ومسلم].

قلت: فوالله الذي لا إله إلا هو، لو اجتمعت الدنيا كلها، بقضّها وقضيضها، وجيوشها ودولها، وعسكرها وملوكها وأرادوا أن يمنعوا رزقا قدره الله لك، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولو أرادوا أن يسقوك شربة ماء، لم يكتبْها الله لك، فإنك ستموت قبل هذه الشربة.

* * *

من أسباب التقوى

الصيام من أكبر أسباب التقوى وحقيقة التقوى اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وإعداد الصوم لتقوى الله يظهر من وجوه كثيرة، منها: أنه يعود الإنسان الخشية من ربه في السر والعلن، إذ أن الصائم لا رقيب عليه إلا ربه، فإذا ترك الشهوات التي تعرض له من أكل نفيس، وشراب عذب، وفاكهة يانعة، وزوجة جميلة امتثالاً لأمر ربه شهرًا كاملاً، ولولا ذاك لما صبر عنها وهو في أشد الشوق إليها، فحري بمن يتكرر منه ذلك أن يتعود الحياء من ربه والمراقبة له في أمره ونهيه، وفي ذلك تكميل له وضبط للنفس عن شهواتها وشدة مراقبتها لبارئها فمما اشتمل عليه الصيام في التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها التي تميل إليها نفسه متقربًا بذلك إلى الله راجيًا بتركها ثوابه.

ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم؛ ولهذا ثبت في الصحيحين: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**».

رواه البخاري في النكاح برقم ٤٦٧٧، ومسلم في النكاح برقم ٢٤٨٥، والترمذي في النكاح برقم ١٠٠١.

ومنها: أن الغني إذا ذاق الجوع فربما أوجب له ذلك مواساة الفقراء، وهذه من خصال التقوى.

* * *

[التوحيد من أسباب التقوى]

من فضائل التوحيد:

التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة.

التوحيد الخالص يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة.

يحصل لصاحبه الهدى الكامل والتوفيق لكل أجر وغنيمة.

يغفر الله بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات.

يُدخل الله به الجنة.

التوحيد يمنع دخول النار بالكلية إذا كمل في القلب.

يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى حبة.

التوحيد هو السبب الأعظم في نيل رضا الله وثوابه.

جميع الأعمال متوقفة في قبولها وفي كمالها على كمال التوحيد.

يُسهل على العبد فعل الخيرات وترك المنكرات.

التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان.

التوحيد يخفف عن العبد المكاره ويهوِّن عليه الآلام.

يحرِّر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم.

التوحيد إذا كمل في القلب وتحقق يصير به القليل.

تكفَّل الله لأهل التوحيد بالفتح، والنصر في الدنيا.

* * *

الله عز وجل يدافع عن الموحدين

(أحبتي في الله)

إن التوحيد وظيفة المسلم في هذه الحياة فيبدأ حياته بالتوحيد ويودعها بالتوحيد، ووظيفته في الحياة إقامة التوحيد، والدعوة إلى التوحيد، لأن التوحيد يوحد المؤمنين ويجمعهم على كلمة التوحيد. فنسأل الله أن يجعل التوحيد آخر كلامنا.

* * *

من بعض فضائل التوحيد

١ -... قال الله تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾} [الأنعام: ٨٢].

... عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين، وقالوا أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: {يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣]».

صحيح: أخرجه أحمد (٣٧٨/١) (٣٥٨٩) قال: حدثنا أبو معاوية. وفي (٤٢٤/١) (٤٠٣١) قال: حدثنا ابن نمير. وفي (٤٤٤/١) (٤٢٤٠) قال: حدثنا وكيع. والبخاري (١٥/١) قال: حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا شعبة (ح) وحدثني بشر بن خالد أبو محمد العسكري، قال حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة. وفي (١٧١/٤)

فهذه الآية تبشر المؤمنين الموحدين الذين لم يلبسوا إيمانهم بشرك، فابتعدوا عنه، أن لهم الأمن التام من عذاب الله في الآخرة، وأولئك هم المهتدون في الدنيا.

٢ -... وقال ﷺ: (الإيمان بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق).

٣ -... جاء في كتاب (دليل المسلم في الاعتقاد والتطهير) لفضيلة الشيخ عبدالله خياط ما يلي: التوحيد يسبب السعادة ويكفر الذنوب، المرء بحكم بشريته وعدم عصمته قد تنزلق قدمه، ويقع في معصية الله، فإذا كان من أهل التوحيد الخالص من شوائب الشرك، فإن توحيده لله، وإخلاصه في قول لا إله إلا الله، يكون أكبر عامل في سعادته وتكفير ذنوبه ومحو سيئاته، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل).... أي أن جملة هذه الشهادات التي يشهدها المسلم بهذه الأصول تستوجب دخوله الجنة دار

النعيم، وإن كان في بعض أعماله مآخذ وتقصيرات، كما جاء في الحديث القدسي: قال الله تعالى: (يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة).

نواقض لا إله إلا الله:

على المسلم أن يتعلم هذه النواقض حتى لا يقع فيها، فيخرج من الإسلام الذي أكرمه الله به، فيموت كافراً، وأهم هذه النواقض: -

١ -... دعاء غير الله كدعاء الأنبياء أو الأولياء الأموات أو الأحياء الغائبين لقول الله تعالى: { وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ } [يونس: ١٠٦] - أي المشركين -.

... وقوله ﷺ: (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار) - الند: المثيل والشريك -.

٢ -... اشمئزاز القلب من توحيد الله، ونفوره من دعائه والاستغاثة به وحده، وانشراح القلب عند دعاء الرسل أو الأولياء الأموات أو الأحياء الغائبين، وطلب المعونة منهم لقوله تعالى عن المشركين: { وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ } [الزمر: ٤٥].

... (وتنطبق الآية على الذين يحاربون من يستعين بالله وحده ويقولون عنه وهابي، إذا علموا أن الوهابية تدعو للتوحيد).

٣ -... الذبح لرسول الله أو ولي لقول الله تعالى: { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ } [الكوثر: ٢]، أي اذبح لربك، وقوله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله».

٤ -... النذر لمخلوق على سبيل التقرب والعبادة له، وهي لله وحده، قالت امرأة عمران: { إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا } [آل عمران: ٣٥].

٥ -... الطواف حول القبر بنية التقرب والعبادة له، وهو خاص بالكعبة، لقول الله تعالى: {وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ } [الحج: ٢٩].

٦ -... الاعتماد والتوكل على غير الله، لقول الله تعالى: {فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ } [يونس: ٨٤].

٧ -... الركوع أو السجود بنية العبادة للملوك أو العظماء الأحياء أو الأموات إلا أن يكون جاهلاً لأن الركوع والسجود عبادة لله وحده.

٨ -... إنكار ركن من أركان الإسلام المعروفة كالصلاة والزكاة والصوم والحج، أو إنكار ركن من أركان الإيمان: وهي الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة.

٩ -... كراهية الإسلام، أو كراهية شيء من تعاليمه في العبادات أو المعاملات، أو الاقتصاد، أو الأخلاق لقوله تعالى: { ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ } [محمد: ٩].

١٠ -... الاستهزاء بشيء من القرآن، أو الحديث الصحيح، أو بحكم من أحكام الإسلام، لقوله تعالى: { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ } [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

١١ -... إنكار شيء من القرآن الكريم، أو الأحاديث الصحيحة مما يوجب الردة عن الدين إذا تعمد ذلك عن علم.

١٢ -... شتم الرب أو لعن الدين أو سب الرسول ﷺ ، أو الاستهزاء بحاله، أو نقد ما جاء به مما يوجب الكفر.

١٣ -... إنكار شيء من أسماء الله، أو صفاته، أو أفعاله الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة من غير جهل ولا تأويل.

١٤ -... عدم الإيمان بجميع الرسل الذين أرسلهم الله لهداية الناس، أو انتقاص أحدهم لقوله تعالى: { لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ } [البقرة: ٢٨٥].

(أحبتي في الله)

إن التقوى خير الزاد يوم التلاق وسبب النجاة وجالبة الأرزاق وأعظم أسباب التقوى التوحيد وهو أساس الإيمان ومفتاح الجنان ومغلاق النيران.

قال السرى رحمه الله: صحبت زنجيا في البرية فرأيته كلما ذكر الله

تغير لونه وابيض فقلت ياهذا أرى عجبا فقال يا أخى أما إنك لو ذكرت الله تغيرت صفتك.

قال الحكيم الترمذى رحمه الله: ذكر الله يرطب اللسان فإذا خلا عن الذكر اصابته حرارة النفس ونار الشهوة فتعس ويبس وامتنعت الأعضاء عن الطاعة كالشجرة اليابسة لا تصلح إلا للقطع وتصير وقود النار وبالتوحيد تحصل الطهارة التامة عن لوث الشرك فالنفس تدعو مع الشيطان إلى أسفل السافلين والله تعالى يدعو بلسان نبيه إلى أعلى عليين وقد دعا الانبياء كلهم فقبحوا الأوثان والشرك والدنيا وحسنوا عبادة الله والتوحيد والرغبة في حب الآخرة ورغبوا إلى الشكر والطاعة في الدنيا التي هى الساعة بل كلمح البصر لا يرى لها أثر ولا يسمع لها خبر فالعاقل يستمع إلى الداعى الحق ولايكذب الخبر الصدق فيصل بالتصديق والقبول والرضى إلى الدرجات العلى والراحة العظمى. (من كتاب تفسير روح البيان)

* * *

[العدل من أسباب التقوى]

(القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة: قاض قضى بالهوى فهو في النار وقاض قضى بغير علم فهو في النار وقاض قضى بالحق فهو في الجنة) فيه إنذار عظيم للقضاة التاركين للعدل والأعمال والمقصرين في تحصيل رتب الكمال قالوا: والمفتي أقرب إلى السلامة من القاضي لأنه لا يلزم بفتواه والقاضي يلزم بقوله فخطره أشد فيتعين على كل من ابتلي بالقضاء أن يتمسك من أسباب التقوى بما يكون له جنة ويحرص على أن يكون الرجل الذي عرف الحق فقضى به وكان المخصوص من القضاة الثلاثة بالجنة ويجعل داء الهوى عنه محسوما ولحظه ولفظه بين الخصوم مقسوما ولا يأل فيما يجب من الاجتهاد إذا اشتبه عليه الأمران ويعلم أنه إن اجتهد وأخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران وصوب الصواب

واضح لمن استشف بنور الله برهانه ويتوكل على الله في قصده ويتقي فإن الله يهدي قلبه ويثيب لسانه (من فيض القدير).

* * *

[من أسباب التقوى]

- محبة الله -

ولا شك في أن الاشتغال بهذه الأسباب الجالبة للمحبة مما يشغل القلب بطاعة الله ويبعده عن المعاصي، ثم إذا كملت المحبة فإن المحب لا يعصى محبوبه كما قيل:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه ::: هذا لعمرى في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ::: إن المحب لمن يحب مطيع

وإذا فتح للعبد هذا الباب الشريف، ودخل هذا القصر المنيف، فإنه تحبب إليه الطاعات

ويجد فيها منتهى راحته وسعادته.

قال النبى ﷺ : (وجعلت قرة عينى في الصلاة)

أخرجه أحمد ١٢٨/٣، ١٩٩، والنسائي (٣٩٤٩)، والحاكم ١٦٠/٢، من حديث أنس، رضي الله عنه. وقال الحافظ: إسناده حسن. وانظر التلخيص الحبير ١١٦/٣، وصحيح سنن النسائي (٣٦٨٠).

وكان يصلى حتى ترم ساقاه وتشقق قدماه فيقال له في ذلك فيقول ﷺ : (أفلا أكون عبداً شكوراً)

البخاري في التهجد، باب قيام النبى ﷺ حتى ترم قدماه ٣٨٠/١ (١٠٧٨).

فمحبة الله عز وجل من أعظم أسباب التقوى.

كما قال القائل:

وكن لربك ذا حب لتخدمه إن المحبين للأحباب خدام

فإن المحب يسر بخدمة محبوبه وطاعته، ولا تطاوعه نفسه على معصيته كما قال بعض الصالحين: إنى لا أحسن أن أعصى الله. أى أن جوارحه لا تأتى معه في المعصية، لمحبتها للطاعات، وبغضها للمعاصى.

كما نصحت إحدى الصالحات من السلف بنيها فقالت لهم:

" تعودوا حب الله وطاعته فإن المتقين ألفت جوارحهم الطاعة فاستوحشت من غيرها، فإذا أمرهم الملعون بمعصية، مرت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون ".

فنسال الله الغنى الكريم أن يمن علينا بمحبته وأن يوفقنا لأسباب فضله ورحمته.

٢ - ومما يعين على تقوى الله عز وجل أن يدرب العبد نفسه على المراقبة وأن يستشعر اطلاع الله عز وجل عليه فيستحى عند ذلك من المعصية ويجتهد في الطاعة:

قال الله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤].

قال ابن كثير رحمه الله: أى رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم، ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم، أ.هـ.

* * *

نصائح للمتقين

وقال سيفان بن عيينة: الحياء أخف التقوى، ولا يخاف العبد حتى يستحى، وهل دخل أهل التقوى إلا من الحياء (من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس) أى رأسه (وما وعى): ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة، وحتى لا يستعملها إلا فيما يحل (وليحفظ البطن وما حوى) أى: وما جمعه الجوف باتصاله به من القلب والفرج واليدين والرجلين،

فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف فلا يستعمل منها شيء في معصية الله، فإن الله ناظر إلى العبد لا يواريه شيء.

وعن أسامة بن شريك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : (ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت).

وعن ثوبان رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ : (لأعلمن أقواماً من أمتى يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منشورا، أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها).

أخرجه ابن ماجه (١٤١٨/٢، رقم ٤٢٤٥)، قال المنذرى (١٧٠/٣): رواته ثقات. وقال البوصيرى (٢٤٦/٤): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وأخرجه أيضًا: الرويانى (٤٢٥/١، رقم ٦٥١).

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (ثلاث مهلكات وثلاث منجيات: فقال: ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الغضب والرضا).

قال المناوى: قدم السر لأن تقوى الله فيه أعلى درجة من العلن لما يخاف من شوب رؤية الناس، وهذه درجة المراقبة وخشيته فيهما تمنع من ارتكاب كل منهى، وتحثه على فعل كل مأمور، فإن حصل للعبد غفلة عن ملاحظة خوفه وتقواه فارتكب مخالفة مولاه لجأ إلى التوبة ثم داوم الخشية.

وسئل النبى ﷺ عن الإحسان في الحديث المسمى بأم السنة فقال ﷺ : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

البخاري: الإيمان (٥٠)، ومسلم: الإيمان (٩)، والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٩١)، وابن ماجه: المقدمة (٦٤)، وأحمد (٤٢٦/٢).

قال النووى رحمه الله: " هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ ، لأنا لو قدرنا أن أحداً قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى، لم يترك شيئاً ما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به).

بل هو إشارة إلى أن من شق عليه أن يعبد الله كأنه يراه فليعبد الله على أن الله يراه ويطلع عليه فليستحى من نظره إليه، كما قال بعض

العارفين: اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك.

وقال بعضهم: خف الله على قدر قدرته عليك واستحى من الله على قدر قربه منك.

وصفوة الكلام أن يقال: مما يعين على التقوى التدرب على مراقبة الله عز وجل وإحساس القلب بقربة وإطلاعه، فيستحى العبد عند ذلك من المعصية ويبذل جهده في أداء الطاعة على أحسن وجوهها.

وهذه بعض الأثار في تقرير هذا المعنى:

ذكر عن أعرابى قال: خرجت في بعض ليالى الظلم فإذا أنا بجارية كأنها علم فأردتها عن نفسها فقالت: ويلك أما كان لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناهٍ من دين؟

فقلت: إنه والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت: فأين مكوكبها.

وسئل الجنيد بم يستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق إلى ما تنظر إليه.

وقال الحارث المحاسبى: المراقبة علم القلب بقرب الرب.

وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً ::: فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ::: ولا أن ما يخفى عليه يغيب

٣ - ومما يعين على التقوى معرفة ما في سبيل الحرام من المفاسد والآلام فليس في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصى.

قال ابن القيم رحمه الله: فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب.

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء، وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع وبدل بالقرب بعداً، وبالرحمة لعنة، وبالجنة ناراً تلظى، فهان على الله غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السقوط، فصار قوداً لكل فاسق ومجرم، رضى لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة، فعياذاً

بك اللهم من مخالفة أمرك، وارتكاب نهيك.

- ومما يعين على التقوى أن تتعلم كيف تغالب هواك وتطيع مولاك.

قال الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله: " إذا همت نفسك بالمعصية فذكرها بالله، فإذا لم ترجع فذكرها بأخلاق الرجال، فإذا لم ترجع فذكرها بالفضيحة إذا علم الناس، فإذا لم ترجع فاعلم أنك تلك الساعة انقلبت إلى حيوان ".

وقال ابن القيم رحمه الله: " وملاك الأمر كله الرغبة في الله وإرادة وجهه والتقرب إليه بأنواع الوسائل والشوق إلى الوصول إليه، وإلى لقائه، فإن لم يكن للعبد همة على ذلك فالرغبة في الجنة ونعيمها وما أعد الله فيها لأوليائه، فإن لم تكن له همة عالية تطالبه بذلك، فخشية النار وما أعد الله فيها لمن عصاه، فإن لم تطاوعه نفسه لشيء من ذلك، فليعلم أنه خلق للجحيم لا للنعيم، ولا يقدر على ذلك بعد قدر الله وتوفيقه إلا بمخالفة هواه. فلم يجعل الله طريقا إلى الجنة غير متابعته، ولم يجعل للنار طريقاً غير مخالفته.

قال الله تعالى: {فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾} [النازعات: ٣٧ - ٤١].

وقال تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾} [الرحمن: ٤٦].

قيل: هو العبد يهوى المعصية فيذكر مقام ربه عليه في الدنيا ومقامه بين يديه في الأخرة فيتركها لله.

وقد أخبر الله عز وجل أن اتباع الهوى يضل عن سبيله فقال الله تعالى: {يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ} [ص: ٢٦].

وقد حكم الله تعالى لتابع هواه بغير هدى من الله أنه

أظلم الظالمين فقال الله عز وجل: { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [القصص: ٥٠].

* * *

وقفات مع المتقين

وقفات مع عمر:

أتى عمر رضي الله عنه وانصبغ بهذا الدين، حتى إنه كان يقف على المنبر يوم الجمعة، وبطنه تقرقر من الجوع، وهو خليفة تحت يديه الذهب والفضة وكنوز الدنيا، ويقول لبطنه:

[قرقري أو لا تقرقري والله لا تشبعي حتى يشبع أطفال المسلمين].

يقول ابن كثير: ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه مرض شهراً كاملاً لما سمع قوله سُبحَانَهُ وَتَعالَى: { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ } [الصافات: ٢٤ - ٢٦]، لكن عمر رضي الله عنه في بردته البالية، وبعصاه، وبخوفه الذي يعيش فيه، اهتز له كسرى وقيصر فرقاً وخوفاً؛ لأنه خاف الله، ومن خاف الله خوف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء، ولذلك يقول الأول:

يا من يرى عمراً تكسوه بردته ::: والزيت أدم له والكوخ مأواه
يهتز كسرى على كرسيه فرقاً ::: من خوفه وملوك الروم تخشاه

يوم كنا نخاف الله، خوّف الله منا كل شيء، كانت ترهبنا الدنيا، وتخافنا المعمورة، ويدين لنا الكفرة، ويسلم لنا المعاندون، وتضعف أمامنا الجيوش الجرارة؛ لأنا خفنا الله.

* * *

مع سعد بن أبي وقاص:

وهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، لما اتقى الله وكان قائد جيش المسلمين في مواجهة كسرى، جاء كسرى بثلاثمائة ألف مقاتل، وجاء سعد بثلاثين ألفا. ثلاثون ألفاً مقابل ثلاثمائة ألف، فلما تلاقى الجمعان، أرسل سعد أحد شباب الإسلام، ألا وهو ربعي بن عامر، ذلك الشاب في الثلاثين من عمره، لا يملك من الدنيا شيئاً إلا ثوبه الذي عليه والرمح الذي بيده، والفرس التي يركبها، لكنه يملك أكبر طاقة في الحياة

الدنيا وفي الآخرة، طاقة لا إله إلا الله، وطاقة أنه يعرف الله، ويريد وجه الله، فدخل ربعي على رستم، فلما رآه رستم ضحك وضحك وزراء رستم الكافر الذي ما عرف الله طرفة عين.

فقال لـ ربعي: أجئتم تفتحون الدنيا بهذا الفرس المعقور، وبهذا الرمح المثلم، وبهذه الثياب الممزقة، فرفع ربعي رأسه الذي رفعه محمد ﷺ.

فقال ربعي: [نعم، ابتعثنا الله، لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام] وكانت الواقعة، ونصر الله جنوده الذين كانوا يسجدون له، ويركعون له ويسبحون بحمده، وهزم الله أعداءه الكفرة الملاحدة الفجرة.

ودخل سعد رضي الله عنه وقد فر كسرى صاحب الإمبراطورية العاتية، الذي ظن أنها لا تهزم أبد الدهر، فلما دخل سعد ورأى إيوان كسرى، إيوان العدوان، والظلم، والبغي، والفجور، قال سعد: الله أكبر، فانصدع الإيوان، انصدع كما يقول أهل السير، فدمعت عينا سعد فرحاً بموعود الله، وقال: {كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾} [الدخان: ٢٥ - ٢٩].

لما اتقينا الله رفع الله - سُبحَانَهُ وَتَعَالَى - رءوسنا في القرون المفضلة، ونصرنا ومهد لنا الدنيا، وأعلى ذكرنا ورفع شامتنا، فلما داخلتنا المعاصي، داخلتنا الذلة، وأصبحنا منزوين مستضعفين مستذلين، أصبح هم الواحد منا - إلا من رحم الله - أن يملأ بطنه، وأن يقضي شهوة فرجه، وأن يسكن بيتاً وارفاً، وأن يركب سيارة فاخرة، أهذه أمنيات المسلم؟!

أهذا هو الطموح الذي يريده الله ويريده رسول الله ﷺ ؟! لا والله!!

مع عبد الله بن عمرو الأنصاري

كان يأتي الصحابي من صحابة الرسول ﷺ قبل المعركة يقول لأهله: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، لن أعود إليكم بعد اليوم، فعل ذلك كثير منهم، ومنهم: عبد الله بن عمرو الأنصاري، أحد الشباب الأخيار في

المعركة الفاصلة بين الكفر والإيمان، التي شحذ لها أبو سفيان ثلاثة آلاف مقاتل، فلما التقوا في أحد في المدينة خرج أصحاب الرسول ﷺ ، وخرج معهم عبد الله بن عمرو الأنصاري واغتسل في صباح ذلك اليوم، وتطيب ولبس أكفانه، وأخذ سيفه، وقال لبناته: [أستودعكن الله الذي لا تضيع ودائعه، لا لقاء معكم إلا في جنة عرضها السماوات والأرض] فلما أتى موعود الله وعلم الله عز وجل أن هؤلاء النفر يريدون وجهه، رزق الله هذا الرجل الشهادة في سبيله، قال ابنه جابر: رأيت أبي وقد قُطِّع أمام الرسول ﷺ في معركة أحد. قال جابر: فجعلت أكشف عن وجهه وأبكي فقال لي رسول الله: (تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه).

أخرجه أحمد ٣ / ٢٩٨، والبخاري (١٢٤٤) في الجنائز: باب الدخول على الميت بعد الموت، و(٤٠٨٠) في المغازي: باب من قتل من المسلمين يوم أحد، ومسلم (٢٤٧١) (١٣٠) في فضائل الصحابة: باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام.

وفي تفسير ابن كثير بسند صحيح: أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى كلَّم هؤلاء النفر الشهداء - عبد الله بن عمرو وغيره من الشهداء - وقال: تمنوا علي - يقول: كلمهم الله بلا ترجمان مباشرة، قال: تمنوا علي - قالوا: نتمنى أن تعيدنا إلى الدنيا فنقتل فيك ثانية؟! لما وجدوا من طعم الشهادة ورفعتها وأجرها ومثوبتها - قال: إني كتبتُ على نفسي أنهم إليها لا يرجعون فتمنوا!! قالوا: نتمنى أن ترضى عنا فإنا قد رضينا عنك، قال: فإني قد أحللت رضاي عليكم فلا أسخط عليكم أبداً، قال الراوي: قال ﷺ : (فأخذ الله أرواحهم، فجعلها في حواصل طير خضر، ترد مياه الجنة فتشرب من أنهارها، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش، حتى يرث الله الأرض ومن عليها).

يا لتلك التقوى التي عاشها أولئك النفر الصالح البار الراشد، الذي رباه محمد ﷺ على سمع وبصر.

قال أحد الصالحين: يا بني لا تصاحب ثلاثة، قال: من هم يا أبتاه؟ قال: لا تصاحب الفاجر لأن الفاجر ملعون في السماء معلون في الأرض

فكيف تصاحب الملعون؟ ولا تصاحب عاق الوالدين لأن عقوق الوالدين يدخل معه قبره، ولا تصاحب الكذاب لأن الكذاب يقرب لك البعيد ويبعد عليك القريب، إذا نبحث عن صاحب التقوى ومن يخاف الله.

- ومن هنا يتبين لنا أن التقوى من أسباب الرزق لأن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته وتقواه.

- أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من عبادة المتقين (آمين).

* * *

[من مفاتيح الرزق: الاستغفار والتوبة]

أيها الإخوة والأخوات.

إذا كثُر الاستغفار في الأمة وصدَر عن قلوبٍ بربّها مطمئنة دفع الله عنها ضروباً من النقم، وصرَف عنها صنوفًا من البلايا والمحن.

{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾} [الأنفال: ٣٣].

روى الترمذي من حديث أبي موسى رضي الله عنه يرفعه إلى النبي أنه قال: «أنزل الله على أمّتي أمانين»، فذكر الآية: {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾} [الأنفال: ٣٣]، قال: «فإذا مضيتُ تركتُ فيهم الاستغفار» (٣).

بالاستغفار تتنزَّل الرحمات: {لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النمل: ٤٦].

أيها الإخوة، إن هناك صلةً قويّة بين طهارة الفرد والمجتمع من الذنوب والخطايا وقضاءِ الحاجات وتحقيقِ الرغبات، هناك ارتباطٌ متين بين القوة والثروة وبين الاستغفار.

الاستغفارُ جالبٌ للخَصب والبركة وكثرة النسل والنماء. الاستغفارُ مصدرٌ للعزة والمنعة، اقرؤوا إن شئتم في خبر نوح عليه السلام: {فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾} [نوح: ١٠ - ١٢].

وفي خبر عاد الشداد مع نبيهم هود عليه السلام: {وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ} [هود: ٥٢].

المستغفرون يمتِّعهم ربَّهم متاعاً حسناً من سعةِ الرزق وبسطِ الأمن ومدِّ العافيَة ورغَد العيش والقناعَة بالموجود وعدَم الحزن على المفقود. بالاستغفار يبلُغ كلُّ ذي منزل منزلته، وينال كلُّ ذي فضل فضلَه، اقرؤوا إن شئتم في خبر نبيّكم محمد: {وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥ} [هود: ٣].

في الاستغفار - بإذن الله - الفرجُ من كلّ همّ، والمخرجُ من كلّ ضيق، ورزقُ العبد من حيث لا يحتَسب، في الحديث: «**من لزم الاستغفارَ جعلَ الله له من كلِّ همّ فرجًا، ومن كلّ ضيقٍ مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**».

إن الاستغفارَ الحقَّ صدقٌ في العزم على ترك الذنب، والإنابةُ بالقلوب إلى علام الغيوب. إن الخيرَ كلَّه معلّق بصلاح القلوب وقبُول الإيمان، وحينئذ يأتي الغفران: {إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} [الأنفال: ٧٠].

ألا فاتقوا الله رحمكم الله، اتقوا الله ربَّكم، وتوجَّهوا إليه بقلوبكم، وأحسنوا به الظنّ. ارجعوا على أنفسكم بالمحاسبة، ومن صدَق في اللجوء صحَّت عنده التوبة. جانِبوا أهلَ الفحش والتفحُّش، ومجالسةَ أصحابِ الرَّدى، ومماراةَ السفهاء. احفَظوا للناس حقوقَهم: {وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ} [الأعراف: ٨٥].

- أحبتي في الله -

لا تفسد الأحوالُ ولا تضطربُ الأوضاعُ إلا بطغيان الشهوات واختلاط النيات واختلاف الغِيَر والمداهنات، لا يكون الفسادُ إلا حينَ يُترَك للناس الحبلُ على الغارب، يعيشون كما يشتهون، بالأخلاق يعبثون، وللأعراض ينتهكون، ولحدود الله يتجاوَزون، من غير وازعٍ ولا رادع، ولقد تقرَّر عند أهل العلم بما صحَّ من الأخبار عن رسول الله أنَّ منعَ

الزكاة وأكلَ الحرام وتركَ الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر أسبابٌ خاصة في منع القطر من السماء وعدم إجابة الدعاء. إذا كثُر الخبثُ استحقَّ القومُ الهلاكَ، وبكثرة الخبثِ تُنتقَص الأرزاق، وتُنزَع البركات، وتفشو الأمراض، وتضطرب الأحوال.

إنَّ للمعاصي شؤمَها، وللذنوب أثرها، فكم أهلكَت من أمَم، وكم دمَّرت من شعوب،:{وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾} [الأنبياء: ١١].

جاء رجل إلى الحسن فشكا إليه الجَدْب، فقال: استغفر الله، وجاء آخر فشكا الفقر، فقال له: استغفر الله، وجاء آخر فقال: ادع الله أن يرزقني ولدا، فقال: استغفر الله، فقال أصحاب الحسن: سألوك مسائل شتى وأجبتهم بجواب واحد وهو الاستغفار؟ فقال رحمه الله: ما قلت من عندي شيئا، إن الله يقول:{فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾} [نوح: ١٠ - ١٢].

وقال تعالى:{وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ} [هود: ٣].

(أحبتي في الله)

[هذه الآية الكريمة تدل على أن الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يمتع الله مَن فعل ذلك متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى؛ لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه.

والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا، وأن المراد بالأجل المسمى: الموت].

[أضواء البيان]

[وقد ابتلينا في العصر الحديث بالغفلة والشك، وذهبنا نظن أنَّ هذا الكلام ومثله إنما أريد به مجرد الترغيب والترهيب، لا أنه حقيقة واقعة، وقانون صادق.. ابتلينا بهذا فخسرنا كل شيء.. وقد كان سلفنا الصالح يفطنون إليها، ويوقنون بخيرها، ويستفتحون أبواب السماء بسرها؛

فيسعفهم الله بما يريدون..

رُوِي أنّ السماء أمسكت، والأرض أجدبت على عهد عمر بن الخطاب؛ فخرج مع الناس ليستسقي لهم، فاستغفر عمر ربه هنيهة، ثم عاد بالناس! فقالوا له: ما نراك استسقيت لنا؟! قال: لقد طلبت لكم الغيث بمجاديح [١] السماء التي يُستنزَل بها المطر].

* * *

[قصة فيها عبرة]

ذكر ابن قُدامة في كتاب " التوابين " أنه: لحق بني إسرائيل قحطٌ على عهد موسى؛، فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا كليم الله! ادْعُ لنا ربك أنْ يسقينا الغيث. فقام معهم، وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفًا أو يزيدون. فقال موسى؛: إلهي! اسقنا غيثك، وانشر علينا رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرضَّع، والبهائم الرُّتَّع، والمشايخ الرُّكَّع.. فما زادت السماء إلا تقشعًا، والشمس إلا حرارة.. فقال موسى: إلهي! إن كان قد خَلَق جاهي عندك؛ فبجاه النبي الأمي محمد الذي تبعثه في آخر الزمان.. فأوحى الله إليه: ما خَلَقَ جاهك عندي؛ وإنك عندي وجيه، ولكن فيكم عبد يبارزني منذ أربعين سنة بالمعاصي؛ فنادِ في الناس حتى يخرج مِن بين أظهركم؛ فبه منعتُكم..! فقال موسى: إلهي! وسيدي! أنا عبد ضعيف، وصوتي ضعيف؛ فأين يبلغ؛ وهم سبعون ألفًا أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه: منك النداء، ومني البلاغ.. فقام مناديًا وقال: يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله منذ أربعين سنة! اخرج مِن بين أظهرنا؛ فبك مُنعنا المطر..! فقام العبد العاصي، فنظر ذات اليمين وذات الشمال، فلم يَرَ أحدًا خرج؛ فعلم أنه المطلوب.. فقال في نفسه: إنْ أنا خرجتُ مِن بين هذا الخلق افتضحتُ على رءوس بني إسرائيل.. وإنْ قعدتُ معهم مُنعوا لأجلي! فأدخل رأسه في ثيابه نادمًا على فعاله، وقال: إلهي! وسيدي! عصيتُك أربعين سنة

---

(١) أراد عمر - رضي الله عنه - إبطال الأنواء والتكذيب بها؛ فجعل الاستغفار هو الذي يُستَسقَى به لا المجاديح والأنواء التي كانوا يستسقون بها. والمَجاديحُ واحدها مِجْدَحٌ وهو نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنه مُمْطَر به. [لسان العرب].

وأمهلتَني، وقد أتيتُك طائعًا؛ فاقبلني.. فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القِرَب.. فقال موسى: إلهي! وسيدي! بماذا سقيتَنا، وما خرج مِن بين أظهرنا أحد؟! فقال: يا موسى! سقيتُكم بالذي به مَنعتُكم! فقال موسى: إلهي! أرني هذا العبد الطائع. فقال: يا موسى! إني لم أفضحه وهو يعصيني، أأفضحه وهو يطيعني؟! أ.هـ من كتاب التوابين لابن قدامة.

* * *

لماذا نستغفر الله؟

نستغفر الله: لأن النبي ﷺ قال« **والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفروا الله تعالى فيغفر لهم** » رواه مسلم

نستغفر الله: لأننا أصحاب خطايا وذنوب فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

نستغفر الله: لأن إبليس عليه اللعنة قال وعزتك وجلالك لأغوينهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم والله برحمته وعفوه وكرمه يقول:

« **وعزتي وجلالي لأغفرن لهم ما داموا يستغفروني** ».

سبحان الله القائل: {قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾} [الزمر: ٥٣].

قل - أيها الرسول - لعبادي الذين تمادَوا في المعاصي، وأسرفوا على أنفسهم بإتيان ما تدعوهم إليه نفوسهم من الذنوب: لا تَيْئسوا من رحمة الله؛ لكثرة ذنوبكم، إن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت، إنه هو الغفور لذنوب التائبين من عباده، الرحيم بهم.

نستغفر الله:

لأن الله أمر أكرم الخلق عليه بحبيبنا محمد ﷺ أن يستغفر.

قال تعالى:{ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾} [محمد: ١٩].

ولقد حثنا المصطفى ﷺ : على الاستغفار والتوبة فقال:«أيها الناس

توبوا إلى الله واستغفروا فإني أستغفر الله في اليوم أكثر من مائة مرة وفي رواية سبعين مرة» رواه البخاري

يقول أبو هريرة - رضي الله عنه -: (ما رأيت أكثر استغفاراً من رسول الله ﷺ).

أخي المسلم يا عبد الله

كم نصيبك من الاستغفار في اليوم والليلة إذا كان حبيب الله ورسوله المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر الله في اليوم أكثر من مائة مرة.

وها هو عبد الله بن عمر يقول: كنا نعد للنبي ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول رب اغفرلي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم. عبد الله كن من: {ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ} [آل عمران: ١٦ - ١٧].

نستغفر الله ونتوب إلى الله:

لأننا محتاجون إلى رحمة الله ومغفرته وعفوه قال تعالى: {لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النمل: ٤٦].

نستغفر الله:

لأننا محتاجون للغيث والأمطار وما انقطعت الأمطار وأجدبت الأرض إلا بالذنوب والمعاصي ولن يأتي الغيث من رب السماء إلا بالتوبة والاستغفار.

نستغفر الله ونتوب إلى الله:

لأن منا من قطع الصلاة وتهاون بها لأن منا من حلف بغير الله وحلف كاذبة الإيمان المغلظة.

لأن منا من تعامل بالربا وباع واشترى غشا.

لأن منا من سكت عن قول الحق وخاف من مخلوق مثله.

لأننا ما أمرنا بالمعروف وما نهينا عن المنكر لأن منا من عق والديه

وقطع الرحم، وسل لسانه على إخوانه بالغيبة والنميمة والسخرية والاستهزاء.

دخل رجل على الحسن البصري يشكو قلة الأمطار والجدب فقال: أكثر من الاستغفار.

وجاء رجل آخر يشكو الفقر فقال أكثر من الاستغفار.

وجاء رجل آخر يشكو قلة الولد فقال له كثر من الاستغفار.

فسأله أحد تلامذته مستعجبا من الإجابة الواحدة للثلاثة الأسئلة فقال: أما قرأت قول الله تعالى:{فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾} [نوح: ١٠ - ١٢].

وعن مورِّق قال: كان رجل يعملُ السيئات، فخرج إلى البرية، فجمع ترابًا، فاضطجع عليه مستلقيًا، فقال: ربِّ اغفر لي ذنوبي، فقال: إنَّ هذا ليعرفُ أنَّ له ربًا يغفرُ ويُعذب، فغفر له.

* * *

حقيقة الإستغفار

وأما استغفارُ اللسان مع إصرار القلب على الذنب، فهو دُعاء مجرَّد إن شاء الله أجابه، وإن شاء ردَّه.

وقد يكون الإصرار مانعًا من الإجابة. وفي (المسند) من حديث عبد الله ابن عمرو مرفوعًا: «**ويلٌ للذين يصرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون**».

قال الضحاك: ثلاثةٌ لا يستجاب لهم، فذكر منهم: رجل مقيم على امرأة زنى كلما قضى شهوته، قال: ربِّ اغفر لي ما أصبتُ من فلانة، فيقول الربُّ: تحول عنها وأغفر لك، فأما ما دمت مقيمًا عليها، فإنِّي لا أغفر لك، ورجلٌ عنده مالُ قوم يرى أهله، فيقول: ربِّ اغفر لي ما آكل من مال فلان، فيقول تعالى: ردَّ إليهم مالهم وأغفر لك، وأما ما لم تردَّ إليهم فلا أغفر لك.

قال بعض العارفين: من لم يكن ثمرةُ استغفاره تصحيح توبته، فهو

كاذب في استغفاره. وكان بعضُهم يقول: استغفارُنا هذا يحتاج إلى استغفارٍ كثير.

فأفضل الاستغفار ما اقترن به تركُ الإصرار، وهو حينئذ توبةٌ نصوح، وإن قال بلسانه: أستغفر الله وهو غيرُ مقلع بقلبه، فهو داعٍ لله بالمغفرة، كما يقول: اللهمَّ اغفر لي، وهو حسن وقد يُرجى له الإجابة.

(أفضل أنواع الاستغفار):

وأفضل أنواع الاستغفار: أن يبدأ العبد بالثَّناء على ربِّه، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة. وبالجملة فدواءُ الذنوبِ الاستغفارُ.

أيها المسلمون بالاستغفار تدفع النقم والمحن والبلايا قال تعالى: { وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } [الأنفال: ٣٣].

فالله وضع لهذه الأمة أمانان من العذاب في الدنيا:

فالأمان الأول وجود الرسول ﷺ.

والأمان الثاني الاستغفار.

فبالاستغفار تزول الهموم وتفرج الكروب، ففي الحديث الصحيح عن ابن عباس عن النبي ﷺ : حيث قال: «**من لزم الاستغفار جعل له من كل هم فرجا ومن كل ضيقا مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب**».

وبالاستغفار والتوبة تنال القوة والتمكين للمؤمنين

قال تعالى: {وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ} [هود: ٥٢].

ويا قوم اطلبوا مغفرة الله والإيمان به، ثم توبوا إليه من ذنوبكم، فإنكم إن فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم متتابعًا كثيرًا، فتكثر خيراتكم، ويزدكم قوة إلى قوتكم بكثرة ذرياتكم وتتابع النِّعم عليكم، ولا تُعرضوا عما دعوتكم إليه مصرِّين على إجرامكم.

وبالاستغفار يتيسر العسير وتزول المصيبة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إني لأمر بالمسألة فتستعصي علي فأستغفر الله وأستغفر الله

وأستغفر الله فيفتح الله علي).

(أحبتي في الله) :

يروى عن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه: يابني عوِد لسانك اللهم اغفرلي فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً.

قال قتادة: أيها الناس إن هذا القران يدلكم على دوائكم ودائكم فأما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار.

وقال الحسن البصري: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة.

فالاستغفار سمة المؤمنين كلما أذنبوا وأساءوا استغفروا ورجعوا إلى الله لأنه وحده الغافر، قال تعالى: { **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾** } [آل عمران: ١٣٥].

والذين إذا ارتكبوا ذنبًا كبيرًا أو ظلموا أنفسهم بارتكاب ما دونه، ذكروا وعد الله ووعيده فلجأوا إلى ربهم تائبين، يطلبون منه أن يغفر لهم ذنوبهم، وهم موقنون أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، فهم لذلك لا يقيمون على معصية، وهم يعلمون أنهم إن تابوا تاب الله عليهم.

عباد الله: الاستغفار ليس للعاصين فقط بل لأصحاب الطاعات فالمصلون بعد إتمام الصلاة الخاشعة المطمئنة يستغفروا من كل نقص وزلل في الصلاة، وبعد رحلة الحج العظيمة والطواف والسعي ورمي الجمار

قال تعالى: { **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾** } [البقرة: ١٩٩].

وبعد أن من الله على نبيه بالنصر والتمكين والفتح المبين أمره بالإستغفار، قال تعالى: { **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ**

تَوَّابًا ﴿٣﴾} [النصر: ١ - ٣].

قال أبو ذر: لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار.

وقالت عائشة: طوبى لمن وجد في صحيفته يوم القيامة استغفار.

واعلموا أيها المسلمون أنه ليس كل من يستغفر يغفر له إلا بعد التوبة النصوح وعدم الإصرار على الذنب، فلا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار.

يقول الله تعالى في الحديث القدسي:

(ياعبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم).

وإن من واسع فضل الله على العباد أنه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وأنه تعالى يغفر الذنوب كلها، فعلى العبد ألا يقنط من رحمة ربه وإن عظمت ذنوبه وكثرت آثامه، فقد قال عز وجل: {وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ} [الحجر: ٥٦].

وروى الترمذي وغيره عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيك بقرابها مغفرة»**، رواه الترمذي.

والملك العظيم جلا وعلا ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة نزولا يليق بجلاله وكماله فيقول هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له هل من صاحب حاجة فأقضيها له.

إلهي أنت الذي تهب الكثير

وتجبر القلب الكسير وتغفر الزلات

وتقول هل من تائبٍ مستغفرٍ

أو سائل أقضي له الحاجات

(أحبتى في الله)

علمنا النبي ﷺ الاستغفار وهو دعاء من قاله حين يصبح ثلاثا فمات من يومه دخل الجنة ومن ليلته كذلك.

* * *

شرح حديث سيد الاستغفار

" اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ".

اللهم أنت ربي إقرار بأن الله هو المدبر المالك لكل شؤونه المحتاج إليه على الدوام

لا إله إلا أنت: إقرار بالوحدانية وهو وحده المستحق للطاعة والحب والخضوع.

خلقتني وأنا عبدك، فالله هو الذي خلق وهو الذي يرزق.

أبوء لك بنعمتك علي: أعترف بنعمتك علي بالليل والنهار عافيتني، سترتني، آويتني، هديتني، أمنتني، وفقتني فكيف لا أشكرك.

وأبوء بذنبي: أعترف وأقر بخطئي.

فاغفر لي: سامحني اعف عني استرني فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فلا ملجأ من الله إلا إليه ولا أمل إلا فيه جل وعلا

فضل الاستغفار:

عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال: إني كنت إذا سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ نفعني الله منه ما يشاء أن ينفعني.

وإذا حدثني أحد من الصحابة استحلفته فإذا حلف لي صدقته وإنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:«ما من عبد مؤمن أو قال ما من رجل يذنب ذنباً فيقوم فيتطهر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلاّ غفر الله له ثم قرأ هذه الآية: { وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ } [آل عمران: ١٣٥]» أخرجه الترمذي وأبو داود والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعا ولا يعرف لأسماء إلاّ هذا الحديث عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال:«من

لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب» أخرجه أبو داود، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم».

* * *

فضل الاستغفار للوالدين

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ :«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ» (١).

فَضْل الاسْتِغْفَار لِلْمُؤْمِنِيْن

- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً» (٢).

فَضْل الاسْتِغْفَار قَبْلَ الْقِيَامِ مِنَ الْمَجْلِس

- عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ :«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَإِنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ كَانَتْ كَالطَّابِعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ لَغْوٍ كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ» (٣).

- عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يَقُولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ

(١) أحمد [١٠٦١٨]، تعليق شعيب الأرنؤوط " إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود وهو ابن بهدلة وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح "، تعليق الألباني " حسن "، صحيح الجامع [١٦١٧]، الصحيحة [١٥٩٨].

(٢) مسند الشاميين [٢١٥٥]، تعليق الألباني " حسن "، صحيح الجامع [٦٠٢٦].

(٣) مستدرك الحاكم [١٩٧٠] كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، واللفظ له، تعليق الحاكم " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه "، سنن النسائي الكبرى [١٠٢٥٧]، تعليق الألباني " صحيح "، صحيح الجامع [٦٤٣]، الصحيحة [٨١].

أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلاً مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى؟ قَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ» [(١)].

(ذكر العلامة ابن باز رحمه الله كلاما نفيسا في فضل الاستغفار - قال الشيخ رحمة الله:

وورد في فضل الاستغفار والحث عليه آيات كثيرة، وأحاديث كثيرة منها حديث أبي سعيد رفعه: " قال إبليس: يا رب لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال الله تعالى: وعزتي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني " أخرجه أحمد، وحديث أبي بكر الصديق رفعه: " ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة " أخرجه أبو داود والترمذي وذكر السبعين للمبالغة، وإلا ففي حديث أبي هريرة الآتي في التوحيد مرفوعا " أن عبدا أذنب ذنبا فقال رب إني أذنبت ذنبا فاغفر لي فغفر له " الحديث " وفي آخره: " علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، اعمل ما شئت فقد غفرت لك ".

- انتهى من كتاب فتح البارى تعليق شيخنا ابن باز رحمه الله -.

- أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

* * *

من مفاتيح الرزق التوبة

(أحبتى في الله)

إن من أفضل مفاتيح الرزق التي يطرقها العبد بينه وبين الله سبحانه هو التوبة إليه والرضا على ما قدره الله تبارك وتعالى على العبد في الغنى والفقر

وإن من بركات التوبة أن الله تبارك وتعالى يبارك في رزق التائب إليه كيف لا وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم الرزق بسببه وإن من رحمة الله تبارك وتعالى أنه يقبل التوبة.

(١) أبو داود [٤٨٥٩] باب في كفارة المجلس، تعليق الألباني " حسن صحيح ".

ولنعلم جميعا أن الله خلق بني آدم معرَّضًا للخطيئات، ومعرَّضًا للتقصير في الواجبات، فضاعف له الحسناتِ، ولم يضاعِف عليه السيِّئات، قال الله تعالى: {مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾} [الأنعام: ١٦٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «إنّ الله كتب الحسناتِ والسيِّئات، فمن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبَها الله عندَه حسنةً كامِلة، فإن عمِلها كتبها الله عندَه عشرَ حسنات، إلى سبعمائة ضِعف، إلى أضعافٍ كثيرة، فإن همَّ بسيِّئة فلم يعملْها كتبَها الله حسَنة كامِلة، فإن عمِلها كتبها الله عنده سيِّئة واحدة»[(١)].

فشرَع الله لكسبِ الحَسَنات طرُقًا للخيرَات وفرائضَ مكفِّراتٍ للسيِّئات رافعةً للدّرجات، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله قال: «الصلواتُ الخمس والجُمعة إلى الجُمعة ورمضانُ إلى رمضان مكفِّرات لما بينهنّ إذا اجتُنِب الكبائر»[(٢)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «أربعون خَصلةً أعلاها مَنيحَة العَنز، ما مِن عاملٍ يعمَل بخصلةٍ منها رَجاءَ ثوابِها وتَصديقَ مَوعودِها إلاّ أدخله الله بها الجنّة»[(٣)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «الإيمان بضعٌ وسبعون – أو بضعٌ وستون – شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطّريق، والحياءُ شعبَة من الإيمان»[(٤)]، وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسولَ الله، أيُّ العمل أفضَل؟ قال: «الإيمانُ بالله والجِهاد في سبيلِه»، قلتُ: أيُّ الرِّقاب أفضل؟ قال: «أنفسُها عندَ أهلها وأكثرُها ثمَنًا»، قلتُ: فإن لم أفعل؟! قال: «تُعين صانعًا أو تصنَع لأخرَق»، قلت: يا رسولَ الله، أرأيتَ إن ضعفتُ

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب: من همّ بحسنة أو بسيئة (٦٤٩١) بنحوه، وأخرجه أيضا مسلم في الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة (١٣١).
(٢) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب: الصلوات الخمس (٢٣٣).
(٣) صحيح البخاري: كتاب الجنة وفضلها، باب: فضل المنيحة (٢٦٣١).
(٤) أخرجه البخاري في الإيمان، باب: أمور الإيمان (٩)، ومسلم في الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان (٣٥) واللفظ له.

عن بعضِ العمَل؟! قال: «تكفُّ شرَّك عن النّاس، فإنّها صدقةٌ مِنك على نفسِك» [(١)]، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروفِ شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طليق» [(٢)]، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ليرضَى عن العبدِ أن يأكُل الأكلةَ فيحمَده عليها، أو يشربَ الشربة فيحمَده عليها» [(٣)].

وكما شرع اللهُ كثرةَ أبوابِ الخير وأسباب الحسنات سدَّ أبوابَ الشرِّ والمحرَّمات، وحرَّم وسائلَ المَعاصي والسيِّئات، ليثقلَ ميزانُ البرِّ والخير، ويخِفَّ ميزانُ الإثم والشرِّ، فيكون العبد من الفائزين المفلحين، قال الله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: ٣٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «ما نهيتُكم عنه فاجتنِبوه، وما أمرتُكم به فأتوا منه ما استطعتم» [(٤)].

وجِماع الخير ومِلاك الأمر وسببُ السعادة التوبةُ إلى الله تعالى، قال عزَّ وجلَّ: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور: ٣١].

ومعنى التوبةِ هي الرجوعُ إلى الله والإنابةُ إليه مِن فعلِ المحرّم والإثم، أو مِن ترك واجبٍ أو تقصير فيه، بصدقِ قلبٍ ونَدمٍ على ما كان.

والتوبة النّصوحُ يحفَظ الله بها الأعمالَ الصّالحة التي فعَلها العبد، ويكفِّر الله تبارك وتعالى بها المعاصيَ التي وقعت، ويدفعُ الله بها العقوباتِ النّازلةَ والآتيَة، قال الله تعالى: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(١) أخرجه البخاري في العتق، باب: أي الرقاب أفضل (٢٥١٨)، ومسلم في الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال (٨٤) واللفظ له.
(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٢٦٢٦).
(٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (٢٧٣٤).
(٤) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله (٧٢٨٨)، ومسلم في الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر (١٣٣٧).

﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨]. روى ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية عن قتادة قال: " لم ينفَع قرية كفرت ثمّ آمنت حينَ حضرها العذاب فتُركت إلاّ قوم يونس، لمّا فقدوا نبيَّهم وظنّوا أنّ العذابَ قد دنا منهم قذَف الله في قلوبهم التّوبةَ، ولبِسوا المسوح، وألهَوا بين كلّ بهيمة وولدها - أي: فرّقوا بينهما -، ثمّ عجّوا إلى الله أربعين ليلة، فلمّا عرَف الله الصّدقَ من قلوبِهم والتّوبة والنّدامةَ على ما مضى منهم كشفَ الله عنهم العذابَ بَعد أن تدلّى عليهم " انتهى [١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

والتوبةُ واجبَة على كلّ أحدٍ مِن المسلمين، فالواقعُ فِي كبيرة تجِب عليه التّوبة لئلاّ يبغتَه الموتُ وهو على معصية، فيندم حين لا ينفع الندم، والواقعُ في صغيرةٍ تجِب عليه التّوبة لأنّ الإصرارَ على الصغيرة يكون من كبائر الذّنوب، والمؤدّي للواجباتِ التاركُ للمحرّمات تجِب عليه التّوبة أيضًا لما يلحَق العملَ مِن الشّروط وانتفاء موانع قبوله، وما يُخشَى على العمَل من الشّوائب المحذّر منها كالرّياء، عن الأغرّ بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيّها النّاس، توبوا إلى الله واستغفِروه، فإنّي أتوب إليه في اليوم مائةَ مرّة» [٢].

والتّوبة بابٌ عظيم تتحقّق بهِ الحسنات الكبيرةُ العظيمة التي يحبّها الله؛ لأنّ العبدَ إذا أحدَث لكلّ ذنبٍ يقَع فيه توبةً كثُرت حسناتُه ونقصَت سيّئاتُه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

(١) تفسير الطبري (١١/١٧١).
(٢) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب: استحباب الاستغفار (٢٧٠٢) بنحوه، ومرّة رواه عن الأغرّ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

أيّها المسلمون، تذكَّروا سعَةَ رحمةِ الله وعظيمَ فضلِه وحِلمِه وجودِه وكرمِه، حيثُ قبِل توبةَ التائبين، وأقال عثرةَ المذنبين، ورحِم ضعفَ هذا الإنسان المسكين، وأثابَه على التّوبة، وفتحَ له أبوابَ الطّهارة والخيرات، عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**إنَّ الله تعالى يبسُط يدَه بالليل ليتوبَ مسيءُ النّهار، ويبسط يدَه بالنّهار ليتوبَ مسيءُ الليل**»[1].

والتّوبة من أعظمِ العبادات وأحبِّها إلى الله تعالى، من اتّصفَ بها تحقَّق فلاحُه وظهَر في الأمور نجاحُه، قال تعالى: { فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾} [القصص: ٦٧].

وكفى بفضلِ التّوبة شرفًا فرحُ الرّبِّ بها فرحًا شديدًا، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**للهُ أشدُّ فرحًا بتوبةِ عبدِه من أحدِكم سقَط على بعيره وقد أضلّه في أرض فلاة**»[2].

والتّوبة من صفاتِ النبيّين عليهم الصلاة والسلام ومن صفات المؤمنين، قال الله تعالى: { لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾} [التوبة: ١١٧]، وقال تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: { قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣]، وقال تعالى عن داود عليه الصلاة والسلام: {وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ} [ص: ١٧]، وقال عزّ وجلّ: { ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾} [التوبة: ١١٢]. ألا ما أجلّ صفةَ التّوبة التي بدَأ الله بها هذه الصفاتِ المُثلى من صفاتِ الإيمان.

والتّوبة عبادةٌ للهِ بالجوارِح والقلب، واليومُ الذي يتوبُ الله فيه على

(١) صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات، باب: التوبة (٦٣٠٩) واللفظ له، ومسلم في التوبة، باب: من الحض على التوبة (٢٧٤٧).

العبدِ خيرُ أيّام العُمُر، والسّاعة التي يفتَح الله فيها لعبدِه بابَ التّوبة ويرحمُه بها هي أفضلُ ساعاتٍ في الدّهر؛ لأنّه قد سعِد سعادةً لا يشقى بعدها أبدًا، عن كعب بن مالك رضي الله عنه في قصّة توبَة الله عليه في تخلّفه عن غزوة تبوك أنّه قال: فلمّا سلّمتُ على رسول الله قال وهو يبرُق وجهُه من السّرور: «**أبشِر بخيرِ يوم مرّ عليك منذ ولدَتك أمّك**»[1].

معشرَ المسلمين، إنّها تُحيطُ بِكم أخطارٌ عظيمة، وتنذِركم خطوبٌ جَسيمة، وقد نزَل مِن أعداء الإسلام بالمسلمين نوازلُ وزلازل، وأصابتهُم الفتَن والمِحن، وإنّه لا مخرَجَ لهم من هذه المضايِق وهذه الكربَات إلاّ بالتّوبة إلى الله والإنابَة إليه، فالتّوبة واجبةٌ على كلّ مسلِم على وجهِ الأرض من الذّنوب صغارِها وكبارِها؛ ليرحمَنا الله في الدّنيا والآخرة، ويكشِف الشرورَ والكرُبات، ويقيَنا عذابَه الأليم وبطشَه الشّديد.

قال أهلُ العِلم: إذا كانتِ المعصيةُ بينَ العبد وبين ربّه لا حقّ لآدميٍّ فيها فشروطُها أن يقلِعَ عن المعصيةِ وأن يندَمَ على فعلها وأن يعزمَ أن لا يعودَ إليها أبدًا، وإن كانتِ المعصيةُ تتعلّق بحقّ آدميٍّ فلابدَّ مع هذه الشّروط أن يؤدّيَ إليه حقَّه أو يستحلّه منه بالعفو.

والتّوبة من جميع الذّنوب واجبَة، وإن تابَ من بعضِ الذّنوب صحّت توبتُه من ذلك الذّنب، وبقيَ عليه ما لم يتُب منه.

فتوبوا إلى الله أيّها المسلمون، وأقبِلوا إلى ربٍّ كريم، أسبَغَ عليكم نعمَه الظاهرةَ والباطنَة، وآتاكم من كلّ ما سألتموه، ومدّ في آجالِكم، وتذكّروا قصصَ التائبين المنيبين الذين مَنّ الله عليهم بالتّوبة النّصوح بعد أن غرقوا في بحارِ الشهوات والشّبهات، فانجَلت غشاوةُ بصائِرهم، وحيِيَت قلوبُهم، واستنارت نفوسُهم، وأيقظهم اللهُ من موتِ الغفلةِ، وبَصّرَهم مِن عمَى الغَيّ وظلماتِ المعاصي، وأسعدَهم من شقاءِ الموبِقات، فصاروا مَولودِين من جَديد، مستبشرين بنعمةٍ من الله وفضل، لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوء وَاتَّبَعُواْ رِضْوانَ الله وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ [آل عمران:

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب: حديث كعب بن مالك (٤٤١٨)، ومسلم في التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك (٢٧٦٩).

١٧٤].

بسم الله الرحمن الرحيم: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾} [التحريم: ٨].

بـارَك الله لـي ولكم فـي القرآن العظيم، ونفعَنـي وإيّـاكم بما فيه من الآياتِ والذّكر الحكيم، ونفعنا بهَدي سيّد المرسلين وبقولِه القويم، أقول قولي هذا، وأستَغفر الله العظيم لـي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

* * *

[من فضائل التوبة والرجوع إلى الله سبحانه]

قال ربنا جل ذكره: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ} [البقرة: ٢٢٢].

قال القاسمي: " وفي ذكر التوبة إشعار بمساس الحاجة إليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه ".

وقال الزمخشري: " إن الله يحب التوابين الذين يطهرون أنفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ".

ومحبة الله للتوابين دليلها فتح الباب لهم لئلا يقنطوا من رحمة الله سبحانه فيقبلوا عليه، ويلوذوا ببابه، لينالوا من فضل التوبة وبركتها.

ثانيًا: قال سبحانه: {إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾} [النساء: ١٧ - ١٨].

وفي هاتين الآيتين بشارة لمن أراد التوبة، وَفَتْحُ بابِها إلى قبيل الموت، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ". وقوله: " ما لم يغرغر ". أي ما لم تبلغ روحه

حلقومه، فتكون بمنزلة الشيء يتغرغر به، أي ما لم يتيقن الموت لأن التوبة المقبولة هي التي تكون قبل الموت، أما عند تحقق وقوع الموت فلا يعتد بها.

قال الشيخ حافظ بن حكمي:

وتقبل التوبة قبل الغرغرة ::: كذا أتى في الشرعة المطهرة

ولذلك اجتمع أربعة من أصحاب النبي ﷺ فقال أحدهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم**». وقال الثاني: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم**». فقال الثالث: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة**». والضحوة ارتفاع أول النهار، وقيل: ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى حين تشرق الشمس. لسان العرب: ص٢٥٥٩. فقال الرابع: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه**». أخرجه أحمد.

فمن فضل الله على عباده أنه أذن لهم في التوبة وفتح بابها ما لم يأت الموت وتنتهي الحياة، كما أنه جل شأنه رغب في التوبة قبل أن يأتي الموت، وحتى لا يقول العبد حين يعاين الهلاك بعد الموت: {رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ} [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

عند ذلك يأتيه الرد القاطع الذي يليق بحاله: {كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ} [المؤمنون: ١٠٠].

ثالثًا: قال الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ} [التحريم: ٨].

فالله تعالى يرغب أهل الإيمان في التوبة، لأنهم هم الذين يستجيبون لأمره ولأنهم هم أحق الناس بالتوبة، أي بالرجوع إلى الله، ونيل ثواب التوبة الذي لا يحصل عليه إلا أهل الإيمان، وكذلك رغبهم سبحانه دون

غيرهم، وهذا لاختصاصهم بالفضل وتوجيههم للخير، وحضهم على التوبة النصوح، قال مجاهد: النصوح أن يتوب من الذنب فلا يعود إليه، قيل: توبة نصوح أي صادقة يقال نصحته: أي صدقته، وقيل: نصوح: أي بالغة في النصح، مأخوذ من النصح وهو الخياطة، كأن العصيان يخرق والتوبة ترقع، والنصح: الخيط، وقيل: نصوحًا أي خالصة، يقال: نصح الشيء إذا خلص، ونصح له: أخلص له القول. (شرح السنة للبغوي ٥ - ٨١).

وقال القاسمي: أي توبة ترقع الخروق، وترتق الفتوق، وتصلح الفاسد، وتسد الخلل (محاسن التأويل للقاسمي: ١٦ - ٥٨٦٨).

وسئل الحسن البصري عن التوبة النصوح فقال: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك معاصي الجوارح، وإضمار أن لا يعود.

وقال القرطبي: اختلفت عبارة العلماء وأرباب القلوب في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولاً، فقيل: هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن في الضرع، وروى عن عمر وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم ورفعه معاذ إلى النبي ﷺ.

وقال فتح الموصلي: علاماتها ثلاث: مخالفة الهوى وكثرة البكاء، ومكابدة الجوع والظمأ، وقال سهل بن عبد الله التستري: هي التوبة لأهل السنة والجماعة لأن المبتدع لا توبة له بدليل قوله ﷺ: " حجب الله على كل صاحب بدعة أن يتوب ". الطبراني في الأوسط ٤٣٦٠.

وعن حذيفة: بحسب الرجل من الشر أن يتوب من الذنب ثم يعود فيه، وأصل التوبة النصوح من الخلوص، ويقال هذا عسل ناصح إذا خلص من الشمع، وقيل: هي مأخوذة من النصاحة وهي الخياطة، وهي وجهان: أحدهما: لأنها توبة قد أحكمت طاعته وأوثقتها كما تحكم الخياط الثوب بخياطته ويوثقه، والثاني: لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء الله وألصقته بهم كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه إلى بعض.

فهذه التوبة النصوح أي التي لا يتاب منها من فضلها أنها تكفر الذنوب والخطايا وسبب من أسباب دخول الجنة، ولذلك قال جل شأنه: { إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾

جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾} [مريم: ٦٠ - ٦١]، وقال سبحانه: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾} [طه: ٨٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليتمنين أقوام لو أكثروا من السيئات» قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «الذين بدل الله سيئاتهم حسنات»**.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«كل شيء يتكلم به ابن آدم فإنه مكتوب عليه فإذا أخطأ خطيئة فأحب أن يتوب إلى الله عز وجل فليأت رفيقه فليمدد يديه إلى ربه عز وجل ثم يقول: اللهم إني أتوب إليك منها لا أرجع إليها أبدًا فإنه يغفر له ما لم يرجع في عمله ذلك». البيهقي في السنن** الكبرى: ١٠ - ١٥٤.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فتعرض عليه صغار ذنوبه وتنحى عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: أين لي ذنوب ما أراها هاهنا؟»** قال أبو ذر: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه". مسلم: ١ - ١٧٧.

انظر إلى حال ذلك الرجل وهو مقر لا ينكر من صغار ذنوبه التي تعرض عليه شيئًا وهو مشفق من كبار ذنوبه، وهو لا يتكلم ولا يذكر شيئًا سوى الإقرار لأنه يخشى أن تظهر الكبار، فلما سترها الله عليه وجاءت رحمة الله رب العالمين ليعطى مكان كل سيئة حسنة، عند ذلك فقط سأل عن كبار ذنوبه راجيًا الثواب لتبدل هي الأخرى حسنات، فضحك النبي ﷺ من طمع ذلك العبد في رحمة ربه، بعد أن كان مشفقًا على نفسه من الكبار، طلبها حتى تزداد حسناته فسبحان الذي بدل السيئات حسنات بعفوه وكرمه وإحسانه.

قال أبي طويل شطب الممدود أنه أتى النبي ﷺ فقال: أرأيت من عمل الذنوب فلم يترك منها شيئًا وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها فهل لذلك من توبة؟ قال: «فهل أسلمت؟» قال: فأما أنا فأشهد أن لا إله

إلا الله وأنك رسول الله، قال: «**تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيرات كلهن**»، قال: وغدراتي وفجراتي، قال: «**نعم**». قال: الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى.

فالتوبة النصوح تذهب السيئات وتمحوها بفضل الله وعفوه وكرمه بل تتبدل السيئات إلى حسنات، ويجعلها الله تعالى سببًا في دخول الجنة التي وعد الله عباده، وهذا يدل على فضل وشرف ومنزلة التوبة.

(أحبتى في الله)

توبوا إلى الله فإنه يحب التوابين، وتطهروا من الذنوب والمعاصي فإنه يحب المتطهرين، واستغفروا الله فإنه خير الغافرين: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ـخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ} [التحريم: ٨].

(علامات التوبة النصوح):

التوبة النصوح إخلاص لله، وإقلاع عن الذنوب والمعاصي، وندم على فعلها، وعزم على عدم العودة إليها، ليست التوبة مجرد قول باللسان بأن يقول: الله تب علي وهو مصر على المعصية، أو يقول ذلك وهو عازم على العودة إلى المعصية، أو غير مبال بما سلف من الذنوب، لابد من تواطؤ القلب واللسان والجوارح على التوبة، يخاف ذنوبه الماضية، ويخشى أن تهلكه، ويذكر الله بلسانه، ويعمل بطاعة ربه بجوارحه، يسأل الله بقلب خاشع ولسان ضارع، أن يقبل منه وينجيه.

أيها المسلمون: أيأمن أحدكم الموت أن يفاجئه في أي وقت؟ أيأمن أحدنا مكر الله؟ أيأمن أحدنا عذاب الله أن يأتي ليلاً أو نهاراً؟ إن أحداً من الناس لا يأمن ذلك، فما بالنا نسوف ونؤخر التوبة والرجوع إلى الله: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾} [الأعراف: ٩٧ - ٩٩].

التوبة يا عباد الله لها وقت لابد أن تقع فيه، فإن تأخرت لم تنفع صاحبها، إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بروحه، فإذا بلغت الروح

الحلقوم فلا توبة: {إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾} [النساء: ١٧ - ١٨].

توبوا إلى الله قبل أن يفاجئكم الموت، وتذكروا نعم الله عليكم، اشكروه عليها، ولا تبارزوه بالمعاصي فتأمنوا مكر الله، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

عباد الله: انظروا إلى من حولكم كيف حلت بهم المصائب والبلايا والنكبات بسبب بعدهم عن دين الله وطاعته، وليس ما أصابهم ببعيد عنكم إذا فرطتم، أفلا تخافون الله وتخشونه، أفلا تتوبون إلى الله وتستغفرونه: {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ تَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾} [المائدة: ٧٤]، إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته: {وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾} [هود: ١٠٢].

ما بال القلوب قد قست، وأعرضت عن دين الله، تسمع المواعظ فلا تنتهي عن المعاصي، وتسمع داعي الله فلا تستجيب له، ولا تلبي نداءه: {يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾} [الأحقاف: ٣١].

إن أعظم عقوبة يصاب بها المرء قسوة القلب، وإن أبعد القلوب من الله القلب القاسي لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، ولقد عاب الله على أقوام قسوة قلوبهم، فقال: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: ٧٤].

أيها الناس: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، واستعدوا للعرض الأكبر على الله، وأروا الله من أنفسكم خيراً، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

توبوا إلى الله فقد أمركم الله بها: {وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١]، ورغبكم فيها: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ} [البقرة: ٢٢٢]، وإن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر..

(أيها الأحبة في الله)

إن التوبة واجبة من كل ذنب، صغير أو كبير، وكل الناس خطاء، وخير الخطائين التوابون، والله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته، وما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة.

ورَحِم الله القرطبي حيث قال في تفسير قول الله عز وجل: {وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ١٣٥].

"قوله تعالى: {وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ} [آل عمران: ١٣٥]، أي: ليس أحدٌ يغفر المعصية ولا يزيل عُقُوبتَها إلا الله: {وَلَمْ يُصِرُّواْ} [آل عمران: ١٣٥]، أي: ولم يثبتوا ويعزموا: {وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ١٣٥]، وقال مجاهد أي: ولم يمضوا... الإصرار هو العزم بالقلب على الأمر وترك الإقلاع عنه، ومنه صَرُّ الدنانير: أي الربط عليها... قال سهل بن عبد الله: الإصرار هو التسويف، والتسويف: أن يقول: أتوب غدا، وهذا دعوى النفس كيف يتوب غدا وغدا لا يملكه سهل؟!...

(الباعث على التوبة)

قال علماؤنا: الباعث على التوبة وحل الإصرار إدامة الفكر في كتاب الله العزيز الغفار وما ذكره الله سبحانه من تفاصيل الجنة ووعد به المطيعين وما وصفه من عذاب النار وتهدد به العاصين ودام على ذلك حتى قوي خوفه ورجاؤه فدعا الله رَغباً ورَهباً، والرغبة والرهبة ثمرةُ الخوفِ والرجاء، يخاف من العقاب ويرجو الثواب والله الموفق للصواب. وقد قيل: إنَّ الباعثَ على ذلك تنبيهٌ إلَهيٌّ يُنبِّه به من أراد سعادتَه لِقُبحِ الذنوبِ وضَرَرِها؛ إذ هي سُمومٌ مُهلِكَةٌ. قلت: وهذا خلاف في اللفظ لا في المعنى فإنَّ الإنسانَ لا يتفكرُ في وَعدِ الله ووَعِيدِه إلا بتنبيهِه؛ فإذا نظر

العبدُ بتوفيقِ الله تعالى إلى نفسِه؛ فوجدها مشحونةً بذنوبٍ اكتسبَها وسيئاتٍ اقترفَها وانبعثَ منه الندمُ على ما فرطَ وترك مثل ما سبق مخافةَ عُقوبةِ الله تعالى صدقَ عليه أنه تائبٌ؛ فإن لم يكن كذلك كان مُصِراً على المعصية ومُلازِماً لأسبابِ الْهَلَكة، قال سهل بن عبد الله: علامة التائب أن يشغله الذنبُ عن الطعام والشراب كالثلاثة الذين خُلِّفوا) من كتاب الجامع لأحكام القرآن ٤/٤١١ - ٤١٢.

(أحبتى في الله)

- إتماما للفائدة وقفت بفضل الله علىّ كلاما نفيسا للتوبة للإمام الغزالى أنقله إليكم من كتاب الإحياء (بتصرف)

- تحت عنوان -

- وجوب التوبة على الدوام - للإمام الغزالى)

قال رحمه الله:

- وجوب التوبة على الدوام وفي كل حال فهو أن كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فإن خلا في بعض الأحوال عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المذهلة عن ذكر الله فإن خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نقص وله أسباب وترك أسبابه بالتشاغل بضدها رجوع عن طريق إلى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص وإنما يتفاوتون بالمقادير، فأما الأصل فلا بد منه ولهذا قال عليه السلام: «إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة» الحديث ولذلك أكرمه الله تعالى بأن قال: {لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح: ٢]، وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره

- وإنما أطلقنا الوجوب في كل حال والتوبة عن بعض ما ذكر من الفضائل لا الفرائض لأنا نعني بالواجب ما لا بد منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول إليه كما يقال الطهارة واجبة في

صلاة التطوع أي لمن يريدها فإنه لا يتوصل إليها إلا بها وجه المرآة عند تراكمه خبثا

- كما قال تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)} [المطففين: ١٤]، فإذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة إذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وأفسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الأريان التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في المرآة قطع الأنفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الأريان وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام«أتبع السيئة الحسنة تمحها» فإذن لا يستغني العبد في حال من أحواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات

- ولقد صدق أبو سليمان الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على تفويت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا أن يحزنه ذلك إلى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وإنما قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهرة نفيسة وضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة وإن ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منها أشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها فإنها صالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتنقذك من شقاوة الأبد وأي جوهر أنفس من هذا فإذا ضيعتها في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا فإن كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك أعظم من كل مصيبة ونوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد رفع الناس عن التدارك كما قال تعالى: {وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا

جَآءَ أَجَلُهَا} [المنافقون: ١٠ - ١١] وقد قيل في معنى الآية: إنه يقول بلسان حاله يا ملك الموت أخرني يوما أتوب فيه إلى ربي وأتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الأيام فلا يوم فيقول فأخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتزهق نفسه ولمثل هذا يقال:{وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ } [النساء: ١٨].

وقوله تعالى:{ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ } [النساء: ١٧].

معناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال ﷺ :«أتبع السيئة الحسنة تمحها» ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين

- أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو

- الثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو فيأتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم بيان أن التوبة الصحيحة مقبولة

- اعلم أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة فإن نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة كما لا طاقة لظلام الليل مع بياض النهار وكما أن استعمال الثوب في الأعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول فإنما عليك التزكية والتطهير وأما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الأزلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله:{قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾} [الشمس: ٩].

- فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم أن الشمس تطلع

والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول إلا أن يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب أصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن به فهذا حال امتناع أصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية.

- هذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه ببعض آيات وأخبار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة ولا يوثق به قال تعالى: {غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ} [غافر: ٣]، وقال سبحانه: {وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ} [الشورى: ٢٥]، وقال ﷺ: «**إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار ولمسيء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**» وبسط اليد كناية عن طلب التوبة وقال ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**» (انتهى من كتاب الإحياء لأبى حامد الغزالى ج٤/٣٣٦).

* * *

من قصص التائبين

- أيها الأحبة إليكم نماذج من قصص التائبين الذين أنابوا إلى ربهم وأسلموا له، فقبلهم الله تعالى وتاب عليهم، وختم لهم بخير.

- قصة عبد الله بن مسلمة القعنبي

- وأبدأ بهذه القصة العجيبة، وهي قصة عبد الله بن مسلمة القعنبي، وكان هذا من رجال الحديث النبوي، ومن تلاميذ الإمام مالك، وهو رجلٌ ثقة معروف وإمام مشهور، ماذا كان تاريخ هذا الرجل؟ وكيف كانت حياته في الماضي؟ إننا نسمع العجب العجاب، كان هذا شاباً مراهقاً طائشاً لا هم له إلا مجالسة السفهاء ومعاقرة الخمر وإيذاء الناس في الشوارع وغير ذلك من الأعمال التي يقوم بها السفهاء، وكان يلبس ثياباً

تليق بالعصاة من الشباب المراهقين في ذلك العصر.

- وفي أحد الأيام كان واقفاً عند باب بيته، ومعه سكين كالعادة، فمر به رجل على حمار وحوله مجموعة من الشباب الذين يظهر من سيماهم الصلاح والاستقامة والاشتغال بطلب العلم، فقال القعنبي لمن حوله: من هذا الرجل الذي أقبل؟ قالوا: هذا شعبة بن الحجاج، قال: ومن هو شعبة ابن الحجاج؟ وكانوا بالبصرة، وشعبة إمام علم، لا يخفى على أحد من أهل البصرة، إلا أن القعنبي لم يكن يعرفه لانشغاله بأمور أخرى، كما يجهل كثيرٌ من الشباب الضائعين في هذا العصر أخبار العلم والعلماء والدعاة وغير ذلك، فقالوا له: هذا شعبة بن الحجاج قال: ومن شعبة؟ قالوا: إمام من أئمة المحدثين، فتقدم هذا الغلام السفيه إلى شعبة، وقال له: حدثني، اقرأ علي حديثاً حتى أرويه عنك، فقال: لستَ من أهل الحديث، أنت لا تستودع العلم والحديث ولكن قل عظني، وغضب هذا الغلام ورفع السكين، وقال له: حدثني وإلا ضربتك بهذا السكين! فلما رأى شعبة هذا الموقف؛ حدثه حديثاً يناسب المقام، فقال: حدثني منصور عن ربعي عن أبي مسعود أن النبي ﷺ قال: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» وهذا الحديث مناسب لحال هذا الغلام الذي لم يستح، فأقدم على تهديد هذا العالم الجليل بأن يحدثه وإلا جرحه بالسكين التي كانت في يده، فقرأ عليه قول النبي ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

- ورجع هذا الشاب إلى بيته، وقد أثر فيه هذا الحديث الذي سمعه أعظم التأثير، وقَلَبَ شخصيته قلباً تاماً، فرجع إلى البيت شخصية أخرى، وكأنه ليس هو الشاب الذي خرج قبل خمس دقائق، رجع تائباً إلى الله عز وجل خجلاً من الله تعالى، فأراق الخمور التي كانت موجودة في بيته، وكسر أوانيها، وكسر آلات اللهو والطرب التي كانت عنده موجودة وكان على موعد مع بعض جلسائه وندمائه من الفساق، فقال لأمه: إذا جاء زملائي فأدخليهم في البيت وأكرميهم وأخبريهم بما حصل مني، حتى لا يعودوا إلي مرة أخرى، ثم خرج من البصرة إلى المدينة، ولازم الإمام مالك بن أنس، حتى كان من أخص تلاميذه، وروى عنه كثيراً من الحديث، ثم رجع إلى البصرة ليروي الحديث عن شعبة وغيره من

العلماء بمدينته الأولى البصرة، ولكنه حين رجع إلى البصرة، وجد أن شعبة قد مات، وهكذا لم يرو القعنبي عن شعبة إلا ذلك الحديث الذي تحمله عنه وهو في زمن فسقه وسفاهته: (إذا لم تستح فاصنع ما شئت).

توبة كعب بن مالك وأبي محجن الثقفي

- من أعاجيب القصص في هذه الأمة، قصة كعب بن مالك رضي الله عنه وتوبته وتوبة أصحابه من التخلف عن غزوة تبوك، وهي قصة طويلة في صحيح البخاري ومسلم، لا أريد أن أطيل بذكرها.

- ولكني أذكر توبة أبي محجن الثقفي رضي الله عنه، وكان أبو محجن رجلاً لا يتورع عن شرب الخمر مع أنه مسلم، حتى إنه كان وهو في الجاهلية يتغنى بالخمر ويقول: إذا متُّ فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقُها ولا تدفنني بالفلاة فإنني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقُها أي أنه يريد إذا مات أن يدفنوه إلى جنب كرمة، أي: شجرة عنب حتى تروي عروقُها عظامَه بعد الموت حنيناً إلى الخمر، حتى وهو ميت، وظل هذا الرجل مصراً على شرب الخمر بعد الإسلام مع أنه أسلم، فكانوا يجلدونه في الخمر، ثم سجنوه لما لم يفد فيه الجلد، وكان مسجوناً في بيت سعد بن أبي وقاص في العراق قرب القادسية، فثارت معركة القادسية بين جند المسلمين وجند الفرس، واحتدم وطيس المعركة، وكان أبو محجن فارساً قوياً غيوراً على الإسلام، وإن كانت فيه هذه المعصية، فكان ينظر إلى المتقاتلين ويتحرق على القتال في سبيل الله عز وجل، ثم ينظر بين قدميه، فيجد هذه السلاسل والقيود التي أثقلته، فلا يستطيع أن يتحرك بها، فحزن حزناً شديداً على عدم استطاعته أن يقاتل، وقال وكان شاعراً قوياً قال:

كفى حزناً أن تطرد الخيل بالقنا ::: وأترك مشدودا علي وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغلقت ::: مصاريع دوني قد تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوةٍ ::: فقد تركوني واحدا
لا أخا ليا ولله عهد لا أخيس بعهده ::: لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

أي أنه يعاهد الله عزوجل إذا فرجت عنه هذه الضائقة، ألا يزور الحانات،

ولا يشرب الخمر مرة أخرى، وكانت زوجة سعد بن أبي وقاص واسمها سلمى قريبة منه تسمعه، فناداها وقال لها: اسمعي مني قد اشتدت المعركة بين المسلمين والفرس، ففكي وثاقي وسلميني هذه الفرس التي تسمى البلقاء، وهي فرس سعد بن أبي وقاص، وقد كانت مربوطة، ودعيني أقاتل مع المسلمين، فإن قتلت فما أنا بأول من قتل، وإن نجوت فإني أعاهدك بالله عز وجل أن أعود حتى أجعلك تضعين القيد في رجلي ويدي مرة أخرى، فقالت: إني أخاف ألا تعود فقال: أعاهدك أن أعود إن نجوت.

- ففكت وثاقه، وأعطته البلقاء فرس سعد، فركبها وذهب إلى الفُرس، فبدأ يصول ويجول فيهم يمنة ويسرة، ويقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وينتقل من الميمنة إلى الميسرة إلى القلب، وهو لا يعرض له أحد من الفرس إلا قتله حتى بدءوا يهابونه، ويتحامون منه، والمسلمون ينظرون إليه، ويقولون: من هذا؟! من هذا الفارس الذي لا نعرفه؟! وكان سعد وهو قائد المعركة يقول: والله لولا أن أبا محجن في الأسر لقلت: إن هذا أبو محجن، ولولا أن فرسي البلقاء مربوطة، لقلت: إن هذا فرسي البلقاء.

- فلما انتهت المعركة، رجع أبو محجن إلى سلمى، وجعلها تضع القيد في رجله مرة أخرى، فلما جاء سعد كان يحدث زوجته عن أخبار المعركة وقال لها: لقد ظهر فارس عجيب على فرس عجيبة، لولا أن أبا محجن في الأسر، لقلت: هو أبو محجن، ولولا أن فرسي مربوطة، لقلت: هي فرسي، فقالت له: هو والله أبو محجن، وهي والله فرسك، وأخبرته بالقصة، فذهب سعد إلى أبي محجن، وفك وثاقه بيديه، وقال له: لا جرم والله لا جلدناك في الخمر أبداً، ولا حبسناك فيها أبداً، فقال أبو محجن: وأنا والله أيضاً لا شربت الخمر أبداً، ثم تاب إلى الله عز وجل توبة نصوحاً.

توبة القاتل مائة نفس:

- وكذلك أخبرنا النبي ﷺ عن قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، كما في الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد أن رجلاً كان جباراً طاغية معه سيفه، لا يمر برجل فيتشاكس معه ويختلف معه إلا قتله،

فسأل وقد تحركت في نفسه التوبة إلى الله عز وجل، وخاف من الموت، وأن يلقى الله على هذه الحال السيئة، وتذكر أنه مهما تمتع بشبابه وقوته وصحته فإنه آيل إلى الهرم والمرض والعجز والشيخوخة والموت والقبر والجزاء والحساب، فخاف من ذلك كله.

- وبدأ يسأل الناس: أيها الناس! هل تعلمون أحداً من أهل العلم أسأله عن حالي؟ فدُل على راهب من الرهبان، فجاء إليه وقال له: إني قتلت تسعة وتسعين نفسا فهل لي من توبة؟ قال له: أنّى لك التوبة؟! اخرج لا تلوث صومعتي، وأراد أن يطرده، فغضب هذا الرجل وقتل الراهب فأكمل به المائة، ثم بدأ يسأل مرة أخرى: هل لي من توبة؟ فدل على عالم، وهو أعلم أهل الأرض يومئذٍ، فجاء إليه وقال له: إني قتلت مائة نفس، فهل لي من توبة؟ قال: من يحول بينك وبينها؟! ولكن لا تعد إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء فلا ترجع إلى البلد الذي جئت منه المدينة التي خرجت منها؛ بل اذهب إلى قرية كذا، وكذا؛ فإن لها قوماً يعبدون الله عز وجل فاعبد الله تعالى معهم، فخرج من بيت هذا العالم فمات في الطريق، وأوحى الله عز وجل إلى القرية التي هاجر إليها أن تقاربي - اقتربي إلى الرجل - وأوحى إلى القرية التي هاجر منها أن تباعدي، فلما قاسوا ما بين القريتين وجدوه أقرب إلى القرية التي هاجر إليها بشبر، وفقبضت روحه ملائكة الرحمة، وقبض عبداً تائباً صالحاً منيباً إلى الله عز وجل.

توبة الغامدية – رضي الله عنها –

- تأتي فتقول يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني وإنه ردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك أن تردني كما رددت ماعزا فوالله إني لحبلى قال أما لا فاذهبي حتى تلدي فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة قالت: هذا قد ولدته قال اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على خالد فسبها فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها فقال: **«مهلا يا خالد فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»** ثم أمر

بها فصلى عليها ودفنت (١) رواه مسلم ح ٢/٤٣٨٦.

توبة مالك بن دينار – رحمه الله –

- العابد الزاهد الذي كان في أول أمره على السكر والمكر يقول - رحمه الله - رزقني الله بنتا أحببتها حبا جما ثم توفيت وهي تلعب بين يدي فحزنت حزنا شديدا عليها وطال حزني وأخذت أتذكر أيامي معها ثم من شدة الحزن أحضرت الخمر فشربت حتى خررت صريعا ولما نمت رأيت رؤيا أن القيامة قد قامت ورأيت أهوالها وأن الناس تجري وأنا أجري وأحس بلهيب النار من خلفي فلما التفت وإذا هو ثعبان عظيم ينفث على ظهري وكلما أسرعت في الجري أسرع خلفي واشتد بي الكرب والتعب والخوف حتى رأيت جبلا وحيدا فيه شرفات وفتحات وفيه بنيات فلما رأيته اتجهت إليه فلما رأينني تلك البنيات صرخن يا فاطمة أدركي أباك فقالت أبي وأشارت إلى الثعبان فوقف ثم مدت يدها وصعدت إليها وجلست هي بين يدي وقالت يا أبتاه:{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾} [الحديد: ١٦]، عدة مرات ثم أفقت من نومي وإذا بي أسمع المؤذن ينادي لصلاة الفجر (حي على الصلاة حي على الفلاح) فتبت إلى الله وتوضأت واتجهت إلى المسجد وإذا الإمام الشافعي يقرأ في الصلاة قول الله تعالى:{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ} [الحديد: ١٦] فالحمد لله الذي منّ عليّ بالتوبة بعد غفلتي ورقادي قبل يوم مماتي.

(من قصص التائبين) – المعاصرين –

نماذج من قصص التائبين والخارجين من الفن:

وإتماما للفائدة أعرض عليكم من خلال هذا العنصر بعض القصص والأحداث - على ما فيها - لأولئك الذين خرجوا من هذا الوسط، ومن هذا المجال، ثم أعقب عليها ببعض المعالم والقضايا المهمة، التي أحببت أن أبرزها في أذهانكم.

يوسف إسلام

لعل من الأسماء المشهورة عند الجميع اسم ذلك المغني البريطاني، الذي كان اسمه " كات استيفنز " ثم أسلم، وسمي بـ يوسف إسلام، وأذكر أن هذا الرجل قد زار المملكة، وأجرت معه جريدة الجزيرة مقابلة مطولة، وكذلك نشرت عنه مجلة النور الكويتية مقالاً طويلاً مترجماً، أقتطف منه قولها: إن هذا الرجل كان مغنياً، يسمعه الملايين من المعجبين به، واشتهر بأغانيه العاطفية والشعبية، وقد قام بجولات عديدة لإقامة الحفلات الموسيقية في أمريكا وأوروبا والبرازيل وغيرها، وحقق هذا الرجل شهرة عالمية واسعة.

ويصف الرجل موسيقاه التي كان يتعاطاها خلال فترة جاهليته بأنها كانت تعبيراً عن الشعور بالظلام الذي يحس به، ويقول: إنه اختار عنوان " خطوات في الظلام " لآخر عمل له قام به عام ١٩٨٤م، وقال: إن تلك الأعمال تسجل فترة كان يشعر فيها بأنه يسير في مكان مظلم لا يعرف حقيقته، ويقول: منذ وقت طويل بدأت أبحث عن السعادة والهداية والسلام؛ ولذلك كتب على غلاف التسجيل " إن روحي ظمأى إلى الحقيقة ".

وبداية تعرف هذا الرجل بالإسلام كانت عام ١٩٧٦م، حين عاد أخوه من القدس، فأهداه نسخة من القرآن الكريم، ومنذ ذلك الوقت بدأ يوسف إسلام - لاحقاً - يتردد على مسجد في لندن متنكراً لا يعرفه أحد، ولشدة ما كانت دهشة المسلمين حين عرفوا أن هذا الرجل الغريب الذي يتردد على المسجد هو " كات استيفنز " الذي أصبح فيما بعد يوسف إسلام! ويقول هذا الرجل: إنه ظل فترة - بعد ما تعرف على الإسلام - يمارس بعض الأعمال الفنية والأغاني والموسيقى وغيرها، ثم يقول: بدا لي أن استمراري في هذا العمل لم يكن يؤدي إلى نتيجة، فإنه لابد لي من أحد أمرين: إما أن أتخصص في هذا العمل الذي أجد فيه هوايتي ورغبتي وهو الغناء والموسيقى، وإما أن أتخلى عن هذا العمل لأتفرغ للإسلام والعمل للإسلام.

وبعد ما أعلن هذا الرجل إسلامه اختار الطريق الأخير، وهو أن يترك الفن والغناء إلى غير رجعة بإذن الله، ويتفرغ للدعوة إلى الله عز

وجل والتعرف على الإسلام.

وفعلاً سار في هذا الطريق، وزار عدداً من البلاد الإسلامية كالمغرب والسعودية وغيرها، وبعد ما عاد إلى بلده بريطانيا بدأ يمارس نشاطاً إسلامياً قوياً، إذ أسس مدرسة تستقبل أولاد المسلمين، وذلك في مقاطعة في شمال لندن اسمها مقاطعة برنت ويدرس في هذه المقاطعة ما يزيد على مائة وأربعين طفلاً، يتعلمون فيها تعاليم الإسلام، وظل الرجل متجهاً إلى الصلاة والصيام وقراءة القرآن، وشغل وقته في هذه الأعمال المفيدة.

كذلك فكر الرجل في أن يسجل أشرطة أناشيد إسلامية للصغار وغيرهم، تكون بعيدة عن الموسيقى وعن كل ما حرم الله عز وجل.

وهذه القصة التي عاشها وشهدها هذا البطل المسلم يوسف إسلام تكشف عن جوانب مهمة: أن هذا الرجل صرف جهده الذي كان يصرفه في الغناء، إلى الإسلام وإلى الدعوة إلى الله عز وجل وإلى تعليم أولاد المسلمين، وإلى الدعوة إلى الله عز وجل في وطنه، مع أن الرجل بطبيعة الحال لم يكن مسلماً قبل ذلك، وإنما هداه الله عز وجل إلى الإسلام؛ فتخلى عن هذا النشاط الذي أحس بأنه يتناقض مع المبادئ التي آمن بها، ولذلك يقول: إنه شعر أن أمامه أحد طريقين: إما أن يتجه بكليته إلى الإسلام، ويرفض هذا اللون من الفن، وإما أن يستمر في هذا الأمر.

ومعنى ذلك أنه لن يكسب في الجانب الآخر شيئاً، لكن الله عز وجل وفقه لاختيار الطريق الصحيح، طريق الإسلام.

وبعد ذلك أدرك أنه حتى الموسيقى يرفضها الإسلام؛ فصار يفكر في إعداد أناشيد إسلامية للصغار سالمة حتى من هذه الموسيقى.

مارلين مونرو:

ولعل هذه القصة - وإن كانت قصة رجل مسلم - تذكرنا بقصة تلك المرأة التي كان اسمها " مارلين مونرو "، وكانت ممثلة مشهورة في الولايات المتحدة، بل في العالم.

هذه المرأة بعد ما كسبت الأضواء، والشهرة، وملايين المشاهدين والمشاهدات في أنحاء العالم، وكان الناس يتصورون أنها أسعد امرأة، وجدت منتحرة في غرفتها، وبعد البحث والتفتيش وجدوا في صندوق المحفوظات في أحد البنوك في نيويورك، وجدوا ورقة أو رقعة مكتوبة بخطها، وهي نصيحة تقدمها هذه الممثلة لإحدى الفتيات التي كانت تسألها عن رأيها في أقرب طريق إلى الشهرة، وإلى النجاح في هذا العمل الذي هو التمثيل، وتقول في هذه الرسالة التي كتبتها لتلك الفتاة: احذري من يخدعك بالأضواء! إنني أتعس امرأة في العالم! إنني أتعس امرأة على ظهر هذه الأرض! لم أستطع أن أكون أماً، إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة!.

وبطبيعة الحال هذه المرأة التي انتحرت لم تكن امرأة مسلمة كما ذكرت لكم، لكن في انتحارها وهي في أوج مجدها الفني دلالة كبيرة على أن كثيراً من النفوس تتطلع إلى الفرار من هذا الجحيم، الذي يسمى أحياناً بالوسط الفني.

مارشيلا

أما الممثلة الإيطالية " مارشيلا " فإن الله عز وجل قد هداها إلى طريق الإسلام، وأعلنت إسلامها، وسمت نفسها فاطمة محمد عبد الله، ولعل في هذا الاسم دلالة على أنها تعد أن فاطمة بنت النبي ﷺ هي المثل الأعلى لها؛ لذلك اختارت اسمها ليكون الاسم الجديد لها.

تقول هذه المرأة: أسلمت من أجل البساطة والسماحة، فمشهد الناس الطيبين يدخلون إلى ساحة المسجد المتواضع، ويصلون في خشوع؛ لقد فعل ذلك في نفسي فعل السحر، وحرك كوامن كانت مترسبةً في أعماقي، إنني أحس أنني كنت مسلمة حتى قبل أن أعلن إسلامي، وتقول: أنتم في بساطة تؤمنون بالله عز وجل، وبالرسول ﷺ وباليوم الآخر، وأن الرسول ﷺ ما هو إلا بشر اختاره الله تعالى ليبلغ الرسالة إلى الناس، وكما فهمت فإن القرآن ينظم حياة الناس حتى يعيشوا في سعادة وتعاون وإخاء، بعيداً عن المظاهر الكاذبة، ومظاهر التكلف والرياء.

تقول هذه المرأة: أحس كأنني ولدت من جديد، وخرجت من أعماقي تاركة غلافي القديم.

إنها تحس بأن جسدها التي كانت تستخدمه في جذب أنظار المشاهدين أنه كان غلافاً قديماً قد تخلت عنه، ولبست غلافاً جديداً بعد ما شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ثم تقول: اسألوا الذين كانوا يعرفونني: كم كانت دهشتهم كبيرة حين أدركوا مدى السعادة التي كنت أحس بها بعد ما دخلت في الإسلام، ونطقت الشهادتين؟!

هالة الصافي:

وهناك خبر عجيب ومؤثر، نشرته المجلة العربية عن إحدى المشتغلات في هذا المجال، وهي " هالة الصافي " وهذا الخبر أقرؤه عليكم؛ لما في عباراتها ولحروفها من القوة والتأثير: - تقول في أسلوب مؤثر عبر لقاء صحفي معها: في أحد الأيام كنت أؤدي رقصة في أحد فنادق القاهرة المشهورة، وشعرت وأنا أؤدي هذا العمل بأنني عبارة عن جثة، ودمية تتحرك بلا معنى، ولأول مرة أشعر بالخجل، وأنا شبه عارية أرقص أمام الرجال ووسط الكئوس، فتركت المكان وأسرعت، وأنا أبكي في هيستريا حتى وصلت إلى حجرتي وارتديت ملابسي، وانتابني شعور لم أحسه طيلة حياتي التي بدأتها منذ كان عمري خمس عشرة سنة - تعني حياتها الفنية - فأسرعت لأتوضأ وصليت، وساعتها شعرت لأول مرة بالسعادة والأمان، ومن يومها ارتديت الحجاب رغم كثرة العروض وسخرية بعضهم، وأديت فريضة الحج، ووقفت أبكي لعل الله يغفر لي الأيام السوداء.

وتختم قصتها المؤثرة قائلة: هالة الصافي ماتت، ودفن معها ماضيها، أما أنا فاسمي سهير عابدين، ربة بيت، أعيش مع ابني وزوجي، ترافقني دموع الندم على أيام قضيتها من عمري بعيداً عن خالقي، الذي أعطاني كل شيء ولم أعطه أي شيء، إنني الآن مولودة جديدة، أشعر بالراحة والأمان بعد أن كان القلق والحزن صديقي رغم الثراء، والسهر، واللهو!

وتضيف: قضيت كل السنين الماضية صديقة للشيطان، لا أعرف سوى اللهو والرقص، أمتع الناس، كنت أعيش حياة كريهة حقيرة، وكنت دائماً عصبية، الآن أشعر أنني مولودة جديدة، أشعر أنني في يد أمينة تحنو علي وتباركني يد الله سبحانه وتعالى.

وبغض النظر عما في كلماتها من عبارات لا نوافقها عليها، نتحفظ عليها، مثل قولها: الله الذي أعطاني كل شيء، ولم أعطه أي شيء، فالله تعالى ليس بحاجة لنا لنعطيه شيئاً، فالله تبارك وتعالى إنما يريد منا أن نقدم لأنفسنا فحسب.

كذلك قولها: إنها تشعر أنها في يد أمينة تحنو عليها هي يد الله تبارك وتعالى، مع أن مقصودها ظاهر ومعروف، وبغض النظر عن هذه الألفاظ والعبارات فإن في هذه القصة من الدلالة القوية على تأثر هذه المرأة ورجوعها إلى الله تبارك وتعالى ما فيها، ونسأل الله تعالى لها، ولجميع التائبين والتائبات أن يثبتهم على الطريق المستقيم.

شمس البارودي:

هناك ممثلة أخرى مشهورة، وهي شمس البارودي التي هي الأخرى لفتت أنظار ملايين من المشاهدين في العالم الإسلامي، وكان لها دور كبير في انحرافهم.

هذه المرأة تابت إلى الله عز وجل، وقد أجرت معها إحدى المجلات مقابلة ذكرت فيها قصة توبتها، وكيف أنها كانت في بيت محافظ إلى حد ما، وبعد ما تخرجت من الدراسة الثانوية كانت على مفترق طرق، لكنها اختارت اللحاق بمعهد الفنون؛ بسبب أن معدلها قليل، ثم تركته واتجهت إلى التمثيل.

وتقول: إنها كانت تحس أنها تجر جراً إلى هذا الميدان، وأنها قد مثلت أدواراً كثيرة وهي غير راضية عنها، وبعد ما استنار قلبها أصبحت ترفض هذه الأدوار أول الأمر، وتحافظ على الصلاة، ولا تقوم إلا بأدوار محددة بصحبة زوجها، ثم تطور بها الأمر فاتجهت إلى بيت الله الحرام، وأدت فريضة الحج والعمرة، وبعد ما ذهبت إلى المسجد النبوي تقول:

إنها انتابتها في داخل المسجد نوبة بكاء طويلة، استمرت معها لوقت طويل، وكان من حولها يحفون بها ويغبطونها على هذا الوضع الذي يقولون عنه: إن الله تبارك وتعالى قد فتح عليها، وبعد هذه النوبة من البكاء صممت على ارتداء الحجاب على رغم معارضة من حولها، وعدم وجود من يعينها، وعلى ترك هذا الميدان الذي هو ميدان التمثيل تركاً نهائياً.

وهذه المرأة أصبحت تؤدي دوراً طيباً في التأثير على بعض من يفكرن في اللحاق بموكب التائبات، وهذه المرأة تتحدث عن الانفصام الذي كانت تحسه بين شخصيتها الحقيقية وشخصيتها المتكلفة التي كانت تؤديها أمام أعين المشاهدين.

تقول: كنت أحس بانفصام بين شخصيتي الحقيقية وبين الدور الذي أؤديه أمام أعين المشاهدين.

جين فوندا:

وهناك مثل أخير أضربه، وليس لامرأة مسلمة، لكنه لممثلة أمريكية شهيرة اسمها جين فوندا، وهذه المرأة من أشهر الممثلات اللاتي قمن بأدوار رديئة، وسيئة، ومغرية للمراهقين.

هذه الممثلة أصدرت تصريحاً تطالب فيه بالحد من تيار الفساد والانحلال الخلقي الذي يجتاح الولايات المتحدة الأمريكية، وحذرت من مغبة إباحة نشر الكتب القذرة والأفلام البذيئة، وطالبت بحظر نشر هذه الأشياء، وقالت: إننا إن لم نحظرها فإننا سنشهد انهيار هذه الأمة، أية أمة؟! إنها أمريكا، تقول هذه المرأة: يجب المبادرة في الحال بتعقب وكف أيدي الذين يتاجرون بالفساد الخلقي وتقديمهم للمحاكمة.

إن هذه المرأة تطلق صيحة ليس من منطلق الحفاظ على الأخلاق والقيم الإسلامية لا! بل من منطلق الحفاظ على الأمة الأمريكية، وأن هذا التيار الإباحي الذي ينتشر عبر المجلات وعبر الأفلام يعرض هذه الأمة القوية للخطر؛ ولذلك تطالب بمنع نشر هذه الكتب والأفلام البذيئة والرديئة، ومحاكمة الذين يقومون بها، وبالتالي تطالب بمعاقبة المؤسسات

الكبيرة التي تؤثر في المجتمع حتى تكف عن مخاطبة الغرائز، وتتجه نحو البناء الأخلاقي.

معالم حول هذه القصص والنماذج

أيها الإخوة: هذه القصص والنماذج توقفنا على عدد من المعالم، يجب ألا تغيب عن البال، وإنني حين أعرض هذه الأمثلة ليس كل ذلك حفاوة بالفنانين والفنانات، فإن هؤلاء إنما هم مسخ من البشر لا يستحقون أي حفاوة بهم، وإن كنا نعلم جميعاً أن التائب إلى الله عز وجل يستحق من المسلمين جميعاً العناية به، لكن تخصيصهم بالعناية ليس له وجه، فليس المقصود هو مجرد العناية بهؤلاء، لكن المقصود أمر وراء ذلك هو أن الهداية بيد الله وحده فمن أقبل على الله أقبل الله عليه: {وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾} [محمد: ١٧].

- أسأل الله أن يتوب علينا وعلى جميع المسلمين في جميع أقطار الأرض وأن يتقبل منا توبتنا إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

* * *

- من مفاتيح الرزق - التوكل على الله -

(أحبتى في الله)

التوكل على الله تعالى

تعريف التوكل في اللغة والاصطلاح:

التوكل من مادة (وكل) يقال: وكل بالله وتوكل عليه واتكل: استسلم له. ووكل إليه الأمر وَكْلاً ووكولاً: سلمه وتركه. ورجل وُكلة إذا كان يكل أمره إلى الناس. ورجل وَكل ووَكُلَه وتُكَلَه أي: عاجز يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه. والوكيل الذي يقوم بأمر موكله. وفسر بعضهم الوكيل بالكفيل كالراغب الأصفهاني. والتوكل إظهار العجز والاعتماد على غيرك، والاسم التكلان. قال أبو السعادات: يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان إذا اعتمدت عليه، ووكّل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقةً بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه. أ. هـ.

وفي الاصطلاح (أي الشرع) اختلفت عبارات السلف في تعريف التوكل على الله تبعاً لتفسيره تارة بأسبابه ودواعيه وتارة بدرجاته وتارة بلازمه وتارة بثمارته وغير ذلك من متعلقاته. وسبب هذا الاختلاف أن التوكل من أحوال القلوب وأعمالها وهي صعبة أن تحد بحد أو تحصر بلفظ.

قال ابن عباس: التوكل هو الثقة بالله. وصدق التوكل أن تثق في الله وفيما عند الله فإنه أعظم وأبقى مما لديك في دنياك. قال الحسن: إن من توكل العبد أن يكون الله هو ثقته - الإمام أحمد: هو قطع الاستشراف بالإياس من الخلق، وقال: وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله جل ثناؤه والثقة به - عبدالله بن داود الخريبي: أرى التوكل حسن الظن بالله - شقيق ابن إبراهيم: التوكل طمأنينة القلب بموعود الله عز وجل - الحسن: الرضا عن الله عز وجل - علي بن أحمد البوشنجي: التبرئة من حولك وقوتك وحول مثلك وقوة مثلك - ابن الجوزي عن بعضهم: هو تفويض الأمر إلى الله ثقةً بحسن تدبيره - ابن رجب الحنبلي: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا

والآخرة كلها - ابن حجر: وقيل: هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب - عبدالله ابن محمد بن عبدالوهاب: هو إسناد العبد أمره إلى الله وحده لاشريك له في جميع أموره الدينية والدنيوية. - وقيل: هو حالٌ للقلب ينشأ عن معرفته بالله والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ فيوجب له اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وطمأنينةً به وثقةً به ويقيناً بكفايته لما توكل عليه فيه. - عبد القادر الجيلاني: التوكل هو الخروج من الحول والقوة مع السكون إلى رب الأرباب. - عبد القادر الجيلاني: تفويض الأمور إلى الله عز وجل والتنقي من ظلمات الاختيار والتدبير إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير فيقطع العبد ألاّ تبديل للقسمة فما قُسم له لا يفوته وما لم يُقدّر له لا يناله فيسكن قلبه إلى ذلك ويطمئن إلى وعد مولاه -

الإمام أحمد: التوكل عمل القلب، ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولاعمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات. -

وقيل: علم القلب بكفاية الرب للعبد -

وقيل: التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب وهو ترك الاختيار والاسترسال مع مجاري الأقدار -

سهل: التوكل الاسترسال مع الله مع ما يريد -

وقيل: هو الرضا بالمقدور - التوكل هجر العلائق ومواصلة الحقائق -

وقيل: التوكل نفي الشكوك والتفويض إلى مالك الملوك -

ذو النون: خلع الأرباب وقطع الأسباب (يريد قطعها من تعلق القلب بها وليس منع مباشرة الجوارح للأسباب) -

أبو سعيد الخراز: التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب -

أبو تراب النخشبي: هو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية فإن أُعطي شكر وإن مُنع صبر - أبو يعقوب النهرجوري: التوكل على الله بكمال الحقيقة ما وقع لإبراهيم

الخليل عليه السلام في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام: أما إليك فلا -

سهل: التوكل قلب عاش مع الله بلا علاقة - وقيل: التوكل أن يستوي عندك الإكثار والإقلال -

وقيل: هو ترك كل سبب يوصلك إلى مسبَّب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك " فيه غلط ".

وقيل: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية - وقيل: التوكل هو التسليم لأمر الرب وقضائه -

وقيل: هو التفويض إليه في كل حال - ابن عطاء: التوكل ألا تظهر في انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها -

وقيل: التوكل هو الأخذ بالأسباب والكفر بها - ابن جزي: التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضار ورفعها بعد وقوعها -

التوكل تمام اليقين بالله - وقيل: هو سكون القلب إلى كفاية الله تعالى، وتفويض الأمور إلى الله تعالى لكفايته، والاعتماد عليه تعالى لعلمه وقدرته -

وقيل: التوكل يجمع بين العمل والأمل مع هدوء قلب وطمأنينة نفس، واعتقاد جازم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. -

أبو حيان: والتوكل هو تفويض الأمر إلى من يملك الأمر ويقدر عليه -

ابن عاشور: التوكل إسناد المرء مهامّه وشأنه إلى من يتولى عمله - ابن عاشور: انفعال قلبي عقلي يتوجه به الفاعل إلى الله راجياً الإعانة ومستعيذاً من الخيبة والعوائق - الفخر الرازي: التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق -

صديق حسن خان: التوكل هو اعتماد العبد على الله في كل الأمور

والأسباب وسائط أمر بها من غير اعتماد عليها -

الصاوي: التوكل هو وثوق القلب بالله تعالى في جميع الأمور من غير اعتماد على الأسباب وإن تعاطاها -

وقيل: هو اعتماد القلب على الله في كل الأمور مع إتيان الأسباب المشروعة للبلوغ إلى المطلوب مما هو خير ومعروف وأمر إدراك المطلوب على الله تعالى مع الرضا بما يتم من ربح أو خلافه ونجاح وغيره -

القرطبي: تفويض الأمور بالكلية إلى الله تعالى والاعتماد في كل الأحوال على الله تعالى - وقيل: عبارة عن الاعتصام بالله في جميع الأمور ومحله القلب والحركة بالظاهر لا تنافي توكل القلب بعد ما تحقق للعبد أن التقدير من قبل الله فإن تعسر شيء فبتقديره - صديق حسن خان: هو تفويض الأمور إلى الله - ذو النون المصري: التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة -

أبو عبدالله القرشي: التعلق بالله في كل حال -

الغزالي: الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع سكون النفس إلى مسبب السبب لا إلى السبب.

أبو طالب المكي: التوكل نظام التوحيد وجماع الأمر - وقيل: التوكل ترك الإيواء إلاّ إلى الله -

ابن مسروق: التوكل الاستسلام لجريان القضاء في الأحكام - أبو سليمان الداراني: إذا بلغ (يعني العبد) غاية من الزهد أخرجه ذلك إلى التوكل.

درجات التوكل (من كلام ابن القيم في مدارج السالكين):

١ - الأولى: معرفة الرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته واليقين بكفاية وكيله وأنَّ غيره لايقوم مقامه في ذلك.

٢ - الثانية: إثبات الأسباب ورعايتها والأخذ بها.

٣ - الثالثة: رسوخ القلب في مقام التوحيد.

٤ - الرابعة: اعتماد القلب على الله واستناده إليه وسكونه إليه بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب ولا سكون إليها، وطمأنينته بالله والثقة بتدبيره.

٥ - الخامسة: حسن الظن بالله عز وجل.

٦ - السادسة: استسلام القلب لله وانجذاب دواعيه كلها إليه وقطع منازعته.

٧ - السابعة: التفويض: هو إلقاء العبدِ أمورَه كلها إلى الله، وإنزالها به طلباً واختياراً، لا كرهاً واضطراراً. والتفويض هو روح التوكل ولبّه وحقيقته.

٨ - الثامنة: الرضا

ويمكن اعتبار درجاتٍ للتوكل كما يلي:

١ - الأولى: أن يكون المتوكل حاله في حق الله سبحانه والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل (هذا توكل العامة).

٢ - الثانية: حال المتوكل مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى أحد سواها ولا يعتمد إلا إياها والفرق بين هذه الدرجة والأولى أن هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته، بل إلى المتوكل عليه فقط وهي أقوى من الأولى.

٣ - الثالثة: أعلاها، وتكون باستسلام القلب لله وانجذاب دواعيه كلها إليه وقطع منازعته، ويكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه (وهو توكل الخاصة).

أقسام التوكل (مجاله ومتعلقاته) (مراتبه):

١ - توكلٌ العبد على الله في استقامة نفسه وإصلاحها دون النظر إلى غيره.

٢ - توكلٌ العبد على الله في استقامة نفسه وكذلك في إقامة دين الله

في الأرض ونصره وإزالة الضلال عن عبيده وهدايتهم والسعي في مصالحهم ودفع فساد المفسدين ورفعه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ - توكلٌ على الله في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية كالرزق والزواج والذرية والعافية والانتصار على العدو الظالم أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

وبين القسم الثاني والثالث من الفضل ما لا يحصيه إلا الله فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الثالث تمام الكفاية ومتى توكل عليه في النوع الثالث دون الثاني كفاه أيضاً لكن لا يكون له عاقبة المتوكل فيما يحبه ويرضاه.

٤ - توكلٌ على الله في جلب محرم من إثم أو فاحشة أو دفع مأمور به.

أهمية التوكل ومنزلته من العقيدة والإيمان والسلوك:

التوكل على الله خلق عظيم من أخلاق الإسلام وهو من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين وهو نظام التوحيد وجماع الأمر كما أنه نصف الدين والإنابة نصفه الثاني ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها وهو مفتاح كل خير لأنه أعلى مقامات التوحيد وعبادة من أفضل العبادات. وهو فريضة يجب إخلاصه لله تعالى وعقيدة إسلامية لقوله تعالى:{وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} [المائدة: ٢٣]، فإن تقديم المعمول يفيد الحصر: أي وعلى الله فتوكلوا لا على غيره. إن التوكل شرط من شروط الإيمان ولازم منلوازمه ومقتضياته؛ فكلما قوي إيمان العبد كان توكله أكبر وإذا ضعفالإيمان ضعف التوكل قال الله عز وجل:{وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ}
[آل عمران: ١٢٢]. وفي الآية الأخرى:{ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤} [يونس: ٨٤]، فجعل دليل صحة الإسلام التوكل. وهو من أشرف الرتب وأعلى المقامات من أعمال القلوب التي هي أصل الإيمان الذي هو أجل وأعظم ما تعبد الله تعالى به. والتوكل من أجمع

أنواع العبادة وأعظمها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة. والتوكل مقترن بمراتب الدين الثلاث (الإيمان والإسلام والإحسان) وشعائره العظام. والتوكل مقام جليل القدر عظيم الأثر جعله الله سبباً لنيل محبته قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩]. وجمع الله بينه وبين الهداية والحق والدعاء. التوكل أصل من أصول العبادة التي لا يتم توحيد العبد إلا به جاء الأمر به في كثير من الآيات مثل قوله تعالى: {فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: ١٢٣]، وقوله عز وجل: {وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ} [الفرقان: ٥٨]، وهو من سمات المؤمنين الصادقين قال تعالى: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾} [الأنفال: ٢]. وفي حديث: (أربع لا يعطيهن الله إلا من أحب: الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا) رواه الطبراني وهو في إتحاف السادة. وقال علي: يا أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي مما سواه.

فائدة: عندما نتأمل مقالة علي بن أبي طالب رضي الله عنه نجد أنه يربط التوكل بالثقة واليقين بالله، وإلا فلا توكل ما لم يكن معه اليقين. واليقين هو أن العبد يعمل لله خالصاً ولا يطلب به عرض الدنيا ولا رضا المخلوقين وأن يكون في نفس الوقت آمناً بوعد الله وهو الرزق. وقيل لبعض الحكماء: ما الفرق بين اليقين والتوكل؟ قال: أما اليقين فهو أن تصدق الله بجميع أسباب الآخرة، والتوكل أن تصدق الله بجميع أسباب الدنيا. وقال لقمان لابنه: يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه أناس كثير، فإن استطعت أن تكون سفينتك فيها الإيمان بالله وحشوها العمل بطاعة الله عز وجل وشراعها التوكل على الله، لعلك تبحر. وعن سعيد بن المسيب قال: التقى عبدالله بن سلام وسلمان فقال أحدهما لصاحبه: إن مت قبلي فالقني فأخبرني ما لقيت من ربك وإن مت لقيتك فأخبرتك، فقال أحدهما للآخر أو تلقى الأموات الأحياء قال: نعم أرواحهم تذهب في الجنة حيث شاءت، قال: فمات فلان فلقيه في المنام، فقال: توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط. أخرجه ابن منده وأورده ابن رجب في أهوال القبور والسيوطي في شرح الصدور. ومما يدل على أهميته أن الله أمر به نبيه

ﷺ والأنبياء قبله، وجعله شعاراً لعباده المؤمنين والثناء عليهم. ومن فضل التوكل في القرآن أن الله أمر فيه رسوله بالتوكل في تسع آيات وكذلك أمر المؤمنين عامة بالتوكل وكذلك التوكل خلق الرسل جميعاً وكذلك تبيين القرآن لفضل التوكل. وكذلك ورد فضل التوكل في السنة. عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»** رواه البخاري ومسلم وأحمد.

وعن الأوزاعي قال: كان من دعاء النبي ﷺ : **«اللهم إني أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك»** قال شعيب الأرنؤوط: ضعيف أخرجه أبو نعيم في الحلية عن الأوزاعي مرسلاً والحكيم الترمذي عن أبي هريرة. وعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: **«اللهم اجعلني ممن توكل عليك فكفيته واستهداك فهديته واستغفرك فغفرته»** مروي في كنز العمال ومسانيد الجامع الكبير.

وصفة التوكل من أبرز صفات المؤمنين الجليلة لأن اعتماد القلب على الأسباب الظاهرة واعتقاد أنها هي المؤثرة يخل بصحة الإيمان وسلامته بل هو في حقيقته شرك بالله تعالى. والتوكل على الله تعالى سلوك نفسي وقلبي يقتضيه الإيمان الصحيح الماثل في ساحة التصور الموجه للسلوك. ومما يدل على أهمية التوكل حاجة المسلم إليه حاجة شديدة وخصوصاً في قضية الرزق أو كان صاحب دعوة وحامل رسالة وطالب إصلاح، ومما يدل على أهميته أيضاً ضرورته للعبد وعدم استغنائه عنه طرفة عين من عدة جهات:

١ - من جهة فقر العبد وعدم ملكه شيئاً لنفسه فضلاً عن غيره من المخلوقين.

٢ - من جهة كون الأمر كله بيد الله تعالى.

٣ - من جهة أن تعلق العبد الزائد بما سوى الله مضرة عليه.

٤ - من جهة أن اعتماد العبد على المخلوق وتوكله عليه يوجب له

الضرر من جهته عكس ما أمّله منه.

* * *

من أقوال السلف
في بيان أهمية التوكل وارتباطه بالإيمان

ابن عباس: التوكل جماع الإيمان.

سعيد بن جبير: التوكل على الله نصف الإيمان.

قال أبو الدرداء: ذروة الإيمان الإخلاص والتوكل والاستسلام للرب عز وجل -.

وقال أبو محمد سهل: ليس في المقامات أعز من التوكل.

قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان.

سهل بن عبدالله: من طعن في الاكتساب فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

أحمد: التوكل عمل القلب.

الجنيد بن محمد: التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب.

فضيل بن عياض: التوكل قوام العبادة والتوكل من أوجب واجبات القلب.

ابن القيم: إن التوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله، أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. وأما عمله: فسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه وتفويضه وتسليمه أمره إليه ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه. والتوكل من أقوال القلب وأفعاله التي كل منها حسنة وسيئة بنفسها يحصل بها الثواب والعقاب بما يكون في القلوب، وإن لم يظهر على الجوارح. ولا يستقيم توكل العبد حتى يصلح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول. وكذلك لا يحصل تحقيق التوكل حتى يؤمن العبد بكمال ربوبية الله تعالى وما تتضمنه من كمال الملك والتدبير والسلطان والقدرة والتصرف والمشيئة والقيومية والإحاطة

وملك الضر والنفع، فذلك من أقوى أسباب ودواعي التوكل ولهذا نجد في كثير من الآيات ربط التوكل بالربوبية. وكذلك كل من كان بالله تعالى وصفاته أعلم كان توكله أكمل، والآيات التي بينت تعلق التوكل بأسماء الله وصفاته كثيرة. ويستحيل أن يتم توكل العبد حتى يتم له أمران لهما صلة تامة بتوحيد الألوهية وهما: حسن الظن بالله عز وجل والتفويض. والآيات التي ربطت العبادة والإنابة بالتوكل قد صورت العلاقة بين الإلهية والتوكل وهي كثيرة. فالتوكل على الله عبادة يجب إخلاصه لله فصرفه لغيره شرك ينافي التوحيد.

{وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} [المائدة: ٢٣]، إن كنتم مؤمنين بالله ومصدقين به فلا تعتمدوا في جميع أموركم إلا عليه وحده. إن الإقرار بالربوبية والألوهية هو أول دليل على أنه وحده سبحانه المستحق أن يُفرد بالتوكل: {قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا} [الملك: ٢٩]، {إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦} [هود: ٥٦]، {وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان: ٥٨]. وقرن تعالى التوكل بالربوبية والألوهية معاً ومن ذلك قول الحق: {قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ} [الرعد: ٣٠]، وقوله: {رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩} [المزمل: ٩]، وقوله: {وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ} [آل عمران: ١٢٢]؛ فالألوهية مقتضية للتبتل إليه تعالى بالكلية وقطع التعلق بالمرة عما سواه من البرية. والتوكل من أكثر مقامات الإيمان صلةً بأسماء الله وصفاته ولذلك عرف بعضهم التوكل بأنه: المعرفة بالله وصفاته. ومن الآيات: {وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان: ٥٨]، {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١} [الأنفال: ٦١]، وربط التوكل بصفتي (العزيز) و(الحكيم) في قوله تعالى: {وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ} [الأنفال: ٤٩]. كذلك الآيات التي يذكر فيها القضاء والقدر تذيل بالتوكل إذ يستحيل أن يحصل توكل حتى يعلم المسلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئة الله وقدرته، وأنها تنتهي كلها إلى علمه، فلا بد من الإيمان بقضاء الله وقدره، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وتحقيق التوكل مترتب على تحقيق الإيمان بالقدر قال تعالى: {وَمَن

يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: ٣]، وقال: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١)} [التوبة: ٥١]، {وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧)} [يوسف: ٦٧]. إن القضاء والقدر والتوكل من أساسيات الدين، والقضاء والقدر سابق للتوكل، والقدر أشمل وأعم من التوكل، والقضاء والقدر جالبان للراحة والطمأنينة والسعادة وسلوك الطريق المستقيم، والتوكل داخل في الإرادة الشرعية والقضاء والقدر داخل في الإرادة الكونية، والتوكل واتخاذ الأسباب يدفعان القضاء والقدر. واقترن لفظ العبادة بالتوكل في مواضع منها: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥]، و{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: ١٢٣]، والتوكل داخل في معنى العبادة. واقترن التوكل بالتقوى في مواضع منها: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [المائدة: ١١]، {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٢ - ٣]، فسرّ اقتران التوكل بالتقوى هو سرّ اقتران الاستعانة بالعبادة. وكذلك فإن التوكل سبب ولكنه ليس كافياً في حصول المراد، بل يحتاج معه إلى التقوى. وكلاً منهما يعتمد امتثال المأمور واجتناب المحظور. واقترن التوكل بالإنابة في مواضع {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨]، {قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} [الرعد: ٣٠].

{ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [الشورى: ١٠].

{رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [الممتحنة: ٤].

قال ابن عاشور: والإنابة الرجوع والمراد بها هنا الكناية عن ترك الاعتماد على الغير. وكلاهما يحتاج للآخر ويجب أن يفرد العبد ربه بكليهما. واقترن الصبر بالتوكل على الله في مواضع منها: {الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢)} [النحل: ٤٢]، فالصبر مبدأ السلوك إلى الله تعالى والتوكل هو آخر الطريق ومنتهاه. قال تعالى: {وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [إبراهيم: ١٢]، فالصبر والتوكل من

أقوى الأسلحة في مواجهة الشدائد والصعاب في طريق الدعوة وتحمل أعبائها، وقيل الصبر خاص بوقت المصيبة والتوكل في أمر مستقبل، والصبر في حاجة للتوكل لأنه (أي الصبر) من العبادات، وكلاهما من أمهات الصفات التي يجب على المؤمن الاتصاف بها، وقيل الصبر في أمر مملوك يحتاج للتحمل والتوكل خاص بأمر غيبي كوني يحتاج للاعتماد على الله والثقة بتدبيره، والتوكل على الله هو نتيجة للصبر. والتوكل على الله في إقامة الدين ودعوة الناس إليه يحتاج إلى همة عالية، فهو من أعظم مقامات التوكل وأرفعها كما هي همم الرسل والأنبياء وبعدهم الصحابة رضي الله عنهم. قال الله تعالى: {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨]. قال ابن عباس: " حسبنا الله ونعم الوكيل " قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس: {إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ} [آل عمران: ١٧٣].

عوائق التوكل:

١ - الجهل بمقام الله من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات.

٢ - الغرور والإعجاب بالنفس.

٣ - الركون للخلق والاعتماد عليهم في قضاء الحاجات.

٤ - حب الدنيا والاغترار بها مما يحول بين العبد والتوكل لأنه عبادة لاتصح مع جعل العبد نفسه عبداً للدنيا.

* * *

قوادح التوكل:

من أهمها التفات القلب إلى الأسباب وتعلقه بغير الله تعالى. وتلك الأسباب على ثلاث درجات:

١ - التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطاً مطرداً لا يتخلف كالطعام فتركها ضرب من الجنون.

٢ - ليست متيقنة بل هي ظنية كالرقى والاكتواء؛ فالتعلق بها مضعف للتوكل وكماله. وقيل إن الرقية والكي يقدحان في التوكل

فكرهوهما دون غيرهما وقيل أنهما لا يقدحان في كمال التوكل ولا ينافيانه وقول ثالث بأنه يفرق بين فعل الرقية بنفسه أو بغيره وبين طلبها وهو الراجح إن شاء الله، ونأتي لمسألة حكم التداوي فالأصل فيها الجواز وأنه لا يقدح في التوكل بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة. وفيه أقوال (أي التداوي): مباح وتركه أفضل ومستحب وواجب، وقيل ما غلب على الظن نفعه مع احتمال الهلاك بعدمه فهو واجب وما غلب على الظن نفعه ولاهلاك محقق بتركه فهو أفضل وما تساوى فيه الأمران فتركه أفضل، وقد ادّعى قوم أن ترك التداوي والعلاج من التوكل، وعدوا فعل التداوي قادحاً في التوكل ورد أهل العلم زعمهم هذا.

- الموهومة: ليست معتبرة شرعاً ولا قدراً كالتطير (وهو التشاؤم بكل مرئي ومسموع ومعلوم) وتعليق التمائم والحروز فالالتفات لها خوفاً وطمعاً بالاستدلال على أمر غيبي، مناف لتحقيق التوكل وكمال التوحيد. وهناك أحاديث يثبت ظاهرها التشاؤم بأشياء معينة كالمرأة والدار والدابة وقد جمع العلماء بينها وبين أحاديث النهي عن الطيرة. وبالنسبة للتفاؤل هل هو من الطيرة أم لا؟ على قولين. والدرجة الثانية والثالثة جمعها حديث ابن عباس في حديث عرض الأمم على النبي ﷺ وفي آخره قوله (سبقك بها عكاشة).

البخاري رقم (٣٤١٠) في الأنبياء: باب وفاة موسى، ورقم (٥٧٠٥) في الطب: باب من اكتوى أو كوى، ورقم (٥٧٥٢) باب من لم يرق، ورقم (٦٤٧٢) في الرقاق: باب (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)، ورقم (٦٥٤١) باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، ومسلم رقم (٢٢٠) في الإيمان: باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، والترمذي رقم (٢٤٤٨) في صفة القيامة: باب رقم (١٧) وأحمد في " المسند " ١/ ٢٧١، والدارمي رقم (٢٨١٠) في الرقاق: باب يدخل الجنة سبعون ألفا من أمتي بغير حساب. انظر ما قال الحافظ في " الفتح " ٠٦/١١ - ٤٠٩.

* * *

[أمور تنافي التوكل على الله]

ومن الأشياء التي تنافي أصل التوكل:

١- التعلق بسبب لا تأثير له كالأموات والغائبين والطواغيت فيما لا يقدر عليه إلا الله

٢- اعتقاد أن السبب سواء المشروع أو المحرم فاعل بنفسه دون الله فذلك شرك أكبر.

ومما ينافي كمال التوكل الواجب:

١- التوكل في الأسباب الظاهرة العادية على أي شخص قادر حي فيما يقدر عليه.

٢ - الاعتماد على أمر ليس سبباً شرعاً مع اعتقاد أن الضرّ والنفع بيد الله وحده كالتطير والتمائم والتولة. وهناك الوكالة الجائزة وهي: توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وُكل فيه بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه. وهناك أمور عدها العلماء منافية لكمال التوكل المستحب كالكي والاسترقاء. فهناك علاقة بين إثبات النفع والضر لله تعالى من جهة، والتوكل عليه والاستعانة من جهة أخرى، فلا يُتصور توكل العبد إلا بمن يعتقد فيه الضر والنفع قال تعالى: {قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ } [الزمر: ٣٨]. ومما ينافي التوكل والتوحيد تعليق النجاح بالأسباب فقط.

والتطير قادح في التوكل، وذلك أن المتوكل على الله يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه قال تعالى: { قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ٥١]، وأما المتطير فهو في خوف وفزع دائم الاضطراب والقلق من أمور مخلوقة لا تملك لنفسها ضرا ولانفعاً.

* * *

علاقة التوكل بالأسباب

مواقف الناس من الأسباب على أربعة أقسام:

١ - الالتفات إلى الأسباب بالكلية واعتماد القلب والجوارح عليها من غير نظر لمسببها: كنظرة الماديين والعقلانيين فوقعوا في الشرك لأنهم أثبتوا موجداً مع الله مستقلاً بالضر والنفع، وهذا باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع كما أن الأسباب قد تتخلف عن مسبباتها بإذن الله كما يشهد لذلك الحس.

٢ - الإعراض عن الأسباب بالكلية: كنظر غالب الصوفية للتوكل، فهم لا يرون تحقيق التوكل إلا في ترك الأسباب بالكلية فتركوا التكسب والعمل والاحتراز والاحتياط والتزود في السفر والطعام ويرون ذلك كله منافياً للتوكل، ولهم شبه ضعيفة أجاب عنها العلماء المحققون كمحمد بن الحسن الشيباني في كتابه (الاكتساب في الرزق المستطاب) والخلال في كتابه (الحث على التجارة والصناعة والعمل) والحارث المحاسبي في كتابه (المكاسب) وابن تيمية وابن الجوزي وابن القيم وابن مفلح وابن رجب. كما أن الإعراض عن الكسب والخمول بدعوى التوكل له آفات ومفاسد يصعب حصرها. وهذا الموقف أي (الإعراض عن الأسباب بالكلية) حكم عليه العلماء بأنه قدح في الشرع.

٣ - نفي تأثير الأسباب بالكلية: وصف العلماء هذا القول بأنه (نقص في العقل) وهو قول القدرية الجبرية، وهم يرون أن الله لم يخلق شيئاً سبباً ولا جعل في الأسباب قوى وطبائع تؤثر. وغرضهم الرد على القدرية النفاة لكنه ردوا باطلاً بباطل. وهذا الموقف فاسد باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع.

٤ - قيام الجوارح بالأسباب واعتماد القلب على مسبب الأسباب سبحانه وتعالى: هذا مذهب أهل السنة والجماعة وهو الحق الذي دل عليه الشرع والعقل وهو الوسط في كل مذهب فأثبت للأسباب تأثيراً في مسبباتها لكن لا بذاتها بل بما أودعه الله فيها من القوى الموجبة، وهي

تحت مشيئته وقدرته فإن شاء منع اقتضائها وإن شاء جعلها مقتضية لأحكامها، فهم (أي أهل السنة والجماعة) يوجبون الأخذ بالأسباب ويعتقدون عدم منافاتها للتوكل؛ بل إن التوكل من أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار ونفي الفقر ووجود الراحة. ويرون ضرورة الأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد عليها، ويكون التوكل بالقلب على الخالق مع اتباع الأسباب في ظاهر الحال فقط. والأخذ بالأسباب ثم الاعتماد على الله عز وجل هو مذهب أهل الحق من سلف الأمة.

قال تعالى: {وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾} [يوسف: ٦٧].

وفي جانب الرزق قال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾} [الملك: ١٥]. قال في مدارج السالكين (... لا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية). والسبب الذي أُمر العبد به أمر إيجاب أو أمر استحباب هو عبادة الله وطاعته له ولرسوله والله فرض على العباد أن يعبدوه ويتوكلوا عليه كما قال تعالى: {فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ} [هود: ١٢٣]، وقال: {وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾} [المزمل: ٨ - ٩].

وقال: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ} [الطلاق: ٢ - ٣] والمقصود أن الله لم يأمر بالتوكل فقط بل أمر مع التوكل بعبادته وتقواه التي تتضمن فعل ما أمر وترك ما حذر. فمن ظن أنه يرضي ربه بالتوكل بدون فعل ما أمره به كان ضلالا كما أن من ظن أنه يقوم بما يرضي الله عليه بدون التوكل عليه كان ضلالا، وأن من ظن أن التوكل يغني عن الأسباب المأمور بها فهو ضال ولهذا كمن ظن أنه يتوكل على ما قدر عليه من السعادة والشقاوة بدون أن يفعل ما أمره الله به، فإن كانت أسباب مقدورة له وهو مأمور بها فعلها مع التوكل على الله كما يؤدي الفرائض وكما يجاهد العدو ويحمل السلاح ويلبس جبة الحرب ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن

يفعل ماأُمر به من الجهاد. فإن قيل كيف يطلب ما لا يعرف مكانه؟ جوابه: أن يفعل السبب المأمور به ويتكل على الله فيما يخرج عن قدرته مثل الذي يشق الأرض ويلقي الحب ويتوكل على الله في إنزال المطر ونبات الزرع ودفع المؤذيات. ومن ترك الأسباب المأمور بها فهو عاجز مفرط منموم. والتوكل باعتبار تعلقه بالأسباب ينقسم إلى قسمين:

١ - توكل اضطرار

٢ - توكل اختيار.

و من الأدلة على ارتباط التوكل بالأخذ بالأسباب: من القرآن

{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ} [النساء: ٧١].

{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ } [الأنفال: ٦٠].

{ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾} [الجمعة: ١٠].

{ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ } [الأنفال: ٦٩].

{وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ } [البقرة: ١٩٧].

وقوله تعالى: { فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ} [آل عمران: ١٥٩].

{ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ} [آل عمران: ١٢٣].

{وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾} [مريم: ٢٥].

{ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ} [النساء: ٧٨].

{وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ } [الأنبياء: ٨٠].

{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ} [النساء: ٧١].

ومن السنة حديث (وجعل رزقي تحت ظل رمحي)

رواه أحمد وابن أبي شيبة وذكره البخاري تعليقاً والهيثمي في المجمع

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ على ناقة له، فقال: يا رسول الله أدعها وأتوكل؟ فقال: «**اعقلها وتوكل**».

(رواه الترمذي وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم والبيهقي وابن حبان).

وعن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً**».

رواه أحمد وابن المبارك في الزهد والترمذي في الزهد وابن ماجه في الزهد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية وغيرهم.

خماصاً: جياعاً، بطاناً: ممتلئات البطون.

والمعنى الإجمالي للحديث: أن التوكل الصحيح هو تفويض الأمر إلى الله عز وجل، والثقة بحسن النظر فيما أمر به، فلو أن المسلمين يتوكلون على الله جل ثناؤه في كل شئونهم لرزقهم كالطير تماماً ولكن بعضهم يعتمد على قوته وحذره ويحلف بالباطل وكل هذا خلاف التوكل. وعن المقدام بن معدي يكرب عن النبي ﷺ قال: «**ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**» رواه البخاري وابن ماجه وأحمد والبيهقي في الشعب.

وعن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته.... رواه البخاري ومسلم.

ولقي عمر بن الخطاب ناساً من أهل اليمن فقال من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، فقال أنتم المتكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ويتوكل على الله. وفي ذلك الرد البليغ على من يتركون الأسباب تقاعساً بدعوى التوكل على الله، ولو صدقوا لأحسنوا العمل.

أما التواكل فهو: ترك الكسب والطمع في المخلوقين والاعتماد عليهم بالتخلي عن الأسباب التي وضعها الله عز وجل والانقطاع عن السعي والتقاعد عن العمل وانتظار النتائج من الخلق أو القدر أو الاتكال على الله أن يخرق له العوائد. ولأصحاب هذا المفهوم أدلة. والتواكل خسة همة

وعدم مروءة لأنه إبطال حكمة الله التي أحكمها في الدنيا من ترتب المسببات على الأسباب. ولقد حارب الإسلام التواكل وحذر منه، وهو حرام ليس من الشرع أصلاً وهو مخالف للنصوص.

* * *

من ثمار التوكل على الله

١ - تحقيق الإيمان: قال تعالى: {وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} [المائدة: ٢٣].

٢ - طمأنينة النفس وارتياح القلب وسكونه.

٣ - كفاية الله المتوكل جميع شئونه: لقوله تعالى: {وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ} [الطلاق: ٣]. قال ابن القيم: أي كافيه ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا بأذى لا بد منه: كالحر والبرد والجوع والعطش وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبداً. وهذا أعظم جزاء أن جعل الله تعالى نفسه جزاء المتوكل عليه وكفايته، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السماوات والأرض ومن فيهن لجعل الله له مخرجاً وكفاه رزقه ونصره، ولحديث: **«إذا خرج الرجل من باب بيته كان معه ملكان موكلان به فإذا قال: بسم الله قالا: هديت فإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله قالا: وقيت فإذا قال: توكلت على الله قالا: كفيت قال: فيلقاه قريناه فيقولان: ماذا تريدان من رجل قد هدي ووقي وكفي» رواه الترمذي وابن ماجه وروى أبو داود نحوه وكذلك أحمد. وروى ابن ماجه في الزهد عن عمرو بن العاص يرفعه: «إن من قلب ابن آدم بكل وادي شعبة فمن اتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأي وادي هلك ومن يتوكل على الله كفاه الله الشعب».**

٤ - من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار. قال ابن عباس: {حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس: {إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ} [آل عمران: ١٧٣]. قوله: {وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣] أي نعم الموكول إليه كما قال تعالى: {وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ

ٱلنَّصِيرُ} [الحج: ٧٨]، ومخصوص نعم محذوف تقديره (هو). قال ابن القيم رحمه الله: هو حسب من توكل عليه وكافي من لجأ إليه وهو الذي يؤمن الخائف ويجير المستجير فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه، تولاه وحفظه وحرسه وصانه، ومن خافه واتقاه، أمنّه مما يخاف ويحذر وجلب إليه ما يحتاج إليه من المنافع.

عن بهيم العجلي عن رجل من أهل الكوفة قال: بينا أنا في بستان لي إذ خُيل إلي شخص أسود ففزعت منه فقلت: حسبي الله ونعم الوكيل فساخ في الأرض (غاص فيها) وأنا أنظر إليه وسمعت صوتاً من ورائي يقرأ هذه الآية: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ} [الطلاق: ٣]، فالتفت فلم أر شيئاً.

وكتب عامل أفريقية إلى عمر بن عبد العزيز يشكو إليه الهوام (دواب الأرض المؤذية) والعقارب فكتب إليه وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول: { وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ } [إبراهيم: ١٢].

٥- يورث محبة الله تعالى للعبد لقوله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران: ١٥٩].

٦- يورث قوة القلب وشجاعته وثباته وتحديه للأعداء ويورث القوة الروحية لحديث (... ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله...) رواه ابن أبي حاتم وعبدالله بن أحمد في الزهد والحاكم وابن أبي الدنيا والطبراني وأبو نعيم وأبو يعلى والبيهقي في الزهد من حديث ابن عباس وضعفه العراقي في تخريج الإحياء وحسنه المناوي في التيسير تبعا للسيوطي.

٧- ويورث العزة قال تعالى: { وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ } [الشعراء: ٢١٧]، {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [الأنفال: ٤٩].

٨- {إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ } [آل عمران: ١٦٠].

٩- {وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: ٨١]. قال الحسن: العز والغنى يجولان في طلب التوكل فإذا ظفرا أوطنا.

١٠- يورث الصبر والتحمل ولهذا اقترن الصبر بالتوكل على الله في

مواضع من القرآن منها: { ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ } [النحل: ٤٢]، { لَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ } [إبراهيم: ١٢].

١١- يورث النصر والتمكين، ولهذا قرن الله تعالى بينه وبين التوكل في قوله: { إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ } [آل عمران: ١٦٠].

١٢- { وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [الأنفال: ٤٩].

١٣- يقوي العزيمة والثبات على الأمر. قال تعالى: { فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ } [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: { قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَا } [التوبة: ٥١].

ولحديث (إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل) عزاه ابن كثير لابن مردويه.

١٤- يقي من تسلط الشيطان. قال تعالى: { إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ } [النحل: ٩٩]، وفي حديث «**إذا خرج الرجل من باب بيته كان معه ملكان موكلان به فإذا قال: بسم الله قالا: هديت فإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله قالا: وقيت فإذا قال: توكلت على الله قالا: كفيت قال: فيلقاه قريناه فيقولان: ماذا تريدان من رجل قد هدي ووقي وكفي**». رواه الترمذي وابن ماجه وروى أبو داود نحوه وكذلك أحمد

١٥ - من أسباب دفع السحر والحسد والعين. قال تعالى: { وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ } [يوسف: ٦٧].

- يورث الرزق. قال تعالى: { إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ } [آل عمران: ١٧٣].

وعن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً**». رواه أحمد وابن المبارك في الزهد والترمذي في الزهد وابن ماجه في الزهد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية وغيرهم.

١٦- يطرد داء العجب والكبر

١٧- يطرد التطير والأمراض القلبية كالتشاؤم ولبس الحلقة والخيط قال ابن مسعود: " وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل" بعد أن ذكر حديث النبي ﷺ :«الطيرة شرك» رواه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

١٨- يورث الرضا بالقضاء. قال ابن القيم: فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله.

١٩ - سبب في دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب لحديث ابن عباس في السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب. متفق عليه.

٢٠- الأمل.

٢١- دخول الجنة بوجوه مضيئة على صفة القمر؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:«يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر...».

٢٢ - هم أول من يدخل الجنة لحديث«أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة» رواه البخاري ومسلم.

٢٣- الثقة بالله وعدم اليأس.

٢٤ - الثبات على الحق. قال تعالى:{ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾} [النمل: ٧٩].

٢٥ - صدق الجهاد والإقدام على معالي الأمور.

نماذج عملية في التوكل واتخاذ الأسباب:

ترتيبات رسول الله ﷺ للهجرة للمدينة من استئجار دليل مشرك ليدله على طريق الهجرة للمدينة وغير ذلك - موقفه في غزوة بدر الكبرى - ظاهر رسول الله ﷺ يوم أحد بين درعين - ما حدث له بذات الرقاع من رفع الأعرابي سيف النبي ﷺ عليه. رواه البخاري ومسلم - دخل رسول الله ﷺ مكة والبيضة على رأسه - كان يحمل الزاد والمزاد إذا سافر في

جهاد أو حج أو عمرة وجميع أصحابه.

إبراهيم عليه السلام في قصة حرقه بالنار - موسى عليه السلام في لحاق فرعون وقومه له عند البحر - أصحاب الكهف والرقيم في نومهم بالكهف تاركين الكفر وأهله. كان الأنبياء يفعلون أسباباً يحصل بها الرزق.

(أحبتي في الله)

إن من أعظم أسباب الرزق ومفاتحه، التوكل على الله، الأحد الفرد الصمد، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**لو أنكم كنتم توَكَّلون على الله حقَّ توكلِه لرُزِقتُكم كما يُرزَقُ الطيرُ، تَغدو خِماصًا وتَروحُ بِطانًا**»، [رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني].

وقال الله تعالى: {**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا**} [الطلاق: ٣].

والمراد بالتوكل اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية: {۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا} [هود: ٦]، مع الأخذ بالأسباب. فإن التوكل عليه سبحانه مفتاح لكل خير.

وحقيقة التوكّل هو اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولابد - مع هذا الاعتماد واليقين - من مباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وتعطيل هذه الأسباب يعد قادحًا في نفس التوكل معطلاً للحكمة والشرع [(١)].

ويأتي التوكل بعد حصول التقوى كأثر من آثارها ولازم من لوازمها، ولذا قال تعالى: {وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ} [المائدة: ١١]، وقال تعالى: {**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ**} [الطلاق: ٢ - ٣].

فهكذا جعل الله تعالى - في هاتين الآيتين - التوكل بعد التقوى الذي

(١) زاد المعاد (١٥/٤) بتصرف.

هو قيام الأسباب المأمور بها، فحينئذ إن توكل على الله فهو حسبه وكافيه.

قال القرطبي: " التوكل هو: الثقة بالله والإيقان بأن قضاءه ماض واتباع سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لا بد منه من الأسباب من مطعم ومشرب، وتحرز من عدو وإعداد... " (١) أهـ. وقال الإمام القشيري: " اعلم أن التوكل محله القلب، وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب، بعدما يحقق العبد أن الرزق من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسَّر شيء فبتيسيره " (٢).

وقد ذكر الله تعالى موقف الرسول ﷺ وأصحابه عندما خوفهم بعض الناس - كيدًا بهم - عدوَّهم قريشًا ومن معهم بأنهم قد جمعوا لهم إذ قال تعالى: {ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران: ١٧٣ ، ١٧٤]. فهكذا خوفهم بعض الناس من عدوهم مشركي مكة ومن معهم فما كان من المؤمنين إلا أن قالوا: {حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣]، توكلوا على الله بعد الأخذ بالأسباب فكفاهم الله ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم من المشركين عقب أُحُد فانقلبوا بنعمة السلامة، وزيادة من فضل الله مما شروا وتجروا من السوق فربحوا (٣).

وقد كان رسول الله ﷺ سيد المتوكلين على ربه، يأمر بالتوكل على الله والانقطاع إليه بعد الأخذ بالأسباب في كل الأحوال، وتصديق ذلك من سنته ﷺ ما جاء في حديث عمران بن الحصين - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها»**. أخرجه الطبراني في الأوسط (٤) والصغير (٥) ومن طريقه أبو بكر الخطيب (١)، وأخرجه أيضًا البيهقي

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٠/٤).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩/٧).
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٧٢/١) باختصار شديد.
(٤) المعجم الأوسط (٢١٥/٤ - ٢١٦).
(٥) المعجم الصغير (١١٦/١).

[٢]، وابن أبي حاتم [٣]، بهذا اللفظ وقال الطبراني عقبه في الصغير: لم يروه عن هشام بن حسان إلا الفضيل بن عياض، تفرد به إبراهيم بن الأشعث الخراساني. وقال الهيثمي [٤] بعد أن عزاه للطبراني في الأوسط: فيه إبراهيم ابن الأشعث صاحب الفضيل، وهو ضعيف، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يُغرب ويخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات.

قلت: ويشهد لهذا الحديث ما ذكر بعده من أحاديث كما يشهد له ظاهر القرآن، والله أعلم.

وحديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعًا عند كل من: أبي داود [٥]، والترمذي [٦]، وأحمد [٧]، والطبراني [٨]، والحاكم [٩] بلفظ: " من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل "، وفي لفظ آخر: " من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمنًا من أن لا تسهل حاجته، ومن أنزلها بالله آتاه الله برزق عاجل أو بموت آجل ". اللفظ الأول للترمذي، واللفظ الآخر لأحمد، والباقون بنحوه عندهما. وقال الترمذي بعده: " حديث حسن صحيح غريب ". وقال الحاكم عقبه: " حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي.

... فبين في هذا الحديث أن من حصل له حاجة شديدة من فقر أو ضيق معيشة فعرضها على الناس وأظهرها بطريق الشكاية لهم، وطلب إزالة فاقته منهم لم تسدَّ فاقته ولم تقض حاجته، وهكذا كلما سد حاجة أصابته أخرى أشد منها. لكن إذا أنزلها بالله واعتمد على مولاه فإن الله

(١) تاريخ بغداد (١٩٦/٧).
(٢) شعب الإيمان (٢٨/٢، ١٢٠).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣٦٦٠/١٠).
(٤) مجمع الزوائد (٣٠٣/١٠ - ٣٠٤).
(٥) السنن، كتاب الزكاة، باب في الاستعفاف (١٢٢/٢).
(٦) الجامع. كتاب الفتن،، باب ما جاء في هم الدنيا (٦١٧/٦ - ٦١٨).
(٧) المسند (٣٨٩/١، ٤٤٢).
(٨) المعجم الكبير (١٥/١٠).
(٩) المستدرك (٤٠٨/١).

يعجل له ويسرع برزق عاجل أي يسار وغنى، أو بموت قريب له غني فيرثه [1].

... وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: " كنت خلف النبي ﷺ يومًا، فقال: «يا غلام إني أعلِّمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفَّت الصحف» أخرجه الترمذي [2] وأحمد [3] وهذا اللفظ للترمذي، ولفظ أحمد قريب منه، وقال الترمذي بعده: حديث حسن صحيح.

كما ذكر الترمذي بعده بنفس الباب حديث أنس - رضي الله عنه -: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكل» يريد ناقته. وقال الترمذي عقبه: " حديث غريب من حديث، أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه ".

وعن حبة وسواء ابني خالد - رضي الله عنهما - قالا: دخلنا على النبي ﷺ وهو يعالج شيئا، فأعناه عليه، فقال: " لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمر، ليس عليه قشر، ثم يرزقه الله عز وجل " عند كل من: بن ماجه [4]، وابن حبان [5]، وأحمد [6]، والطبراني [7]، واللفظ عندهم إلا ابن حبان فهو عنده بنحوه. وقال البوصيري [8]: " إسناد حديثهما صحيح رجاله ثقات "، لكن قال ابن حجر

(١) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٦/٦١٨ - ٦١٩) بتصرف.
(٢) الجامع، كتاب القيامة، باب منه (٧/٢١٩ ، ٢٢٠).
(٣) المسند (١/٢٩٣، ٣٠٧).
(٤) السنن، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (٢/١٣٩٤).
(٥) الصحيح (الإحسان) (٨/٣٤) رقم (٣٢٤٢) ولفظ ابن حبان: (لا تنافسا في الرزق ما هزت رؤوسكما...).
(٦) المسند (٣/٤٦٩).
(٧) المعجم الكبير (٤/٧ - ٨).
(٨) مصباح الزجاجة (٣/٢٨٤).

(١): " روى الحديث ابن ماجه بإسناد حسن ".

قلت: والقلب إلى تحسينه أميل، وذلك لأن سلاَّم[٢] بن شرحبيل أحد رواته مقبول عند الحافظ ابن حجر، ولم يوثقه سوى ابن حبان، لكنه من التابعين الذين لم يعرفوا بكبير رواية ولم يشتهروا فتقادم العهد بهم، وصعب الاطلاع على حالهم فأجاز العلماء روايتهم واحتملوها.

وروى الترمذي[٣]، وابن ماجه[٤]، وأحمد[٥]، والحاكم[٦] حديث حديث عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله يقول: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو[٧] خماصا[٨]، وتروح[٩] بطانا»[١٠]. هذا لفظ ابن ماجه وأحمد في الموضع الثاني، وكذا الحاكم، وعند الترمذي وأحمد في الموضع الأول " لو أنكم كنتم توكلون " والباقي بنحوه. وقال الترمذي عقبه: " هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه "، وقال الحاكم: " صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ولم يتعقبه الذهبي.

وهكذا يتضح مما سبق أن التوكل والانقطاع إلى الله سبب في حصول الرزق والبركة فيه وقضاء الحاجات، ورفع الحرج والضيق بإذن الله تعالى.

* * *

(١) الإصابة (٣٠٤/١) ترجمة حبة بن خالد.
(٢) انظر ترجمة سلام هذا في التهذيب (٢٨٥/٤)، تقريب التهذيب (ص ٢٦١).
(٣) الجامع، كتاب الزهد، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا (٨/٧).
(٤) السنن، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (١٣٩٤/٢).
(٥) المسند (٣٠/١، ٥٢).
(٦) المستدرك (٣١٨/٤).
(٧) الغدو: هو: السير أول النهار نقيض الرواح. النهاية في غريب الحديث (٣٤٦/٣).
(٨) خماصًا: أي ضامرة البطون جياعًا. النهاية في غريب الحديث (٨٠/٢).
(٩) تروح: من الرواح آخر النهار. النهاية في غريب الحديث (٢٧٢/٢) بتصرف.
(١٠) بطانًا: أي ممتلئة البطون. النهاية في غريب الحديث (١٣٦/١).

[من مفاتيح الرزق صلة الرحم]

(أحبتى في الله)

إن من أفضل الأسباب المؤدية إلى كثرة المال والرزق في الدنيا: صلة الرحم. نعم صلة الرحم. والمقصود بالرحم هم الأقارب، وهم كل من بينك وبينهم نسب من جهة الولادة سواءً كان ذلك من طريق الأب أو الأم.

وصلة الرحم معناه تقديم الإحسان بكل أنواعه حسية ومعنوية، وسواءً كانوا صغاراً أو كباراً نساءً أو رجالاً يسكنون في بلدك أو بعيدون عنك، روى الامام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**» ولهذا بوب البخاري رحمه الله فقال: باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم.

* * *

فضل صلة الرحم

١٢٢١ - عَنْ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**صِلَةُ الْقَرَابَةِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَجَلِ**» (١).

١٢٢٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَلاَ يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ**» (٢).

١٢٢٣ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُعَظِّمَ اللهُ رِزْقَهُ، وَأَنْ يَمُدَّ فِي أَجَلِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» (٣).

---

(١) المعجم الأوسط [٧٨١٠]، تعليق الألباني " صحيح "، صحيح الجامع [٣٧٦٨].

(٢) أحمد [١٠٢٧٧]، تعليق شعيب الأرنؤوط " إسناده حسن "، تعليق الألباني " حسن "، الترغيب والترهيب [٢٥٣٨].

(٣) متفق عليه، البخاري [١٩٦١] باب من أحب البسط في الرزق، مسلم [٢٥٥٧] باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، أحمد [١٢٦١٠]، واللفظ له، تعليق شعيب الأرنؤوط " حديث صحيح ".

١٢٢٤ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ :«أَنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ(١) آخِذَةٌ بِحُجْزَةِ(٢) الرَّحْمَنِ يَصِلُ مَنْ وَصَلَهَا وَيَقْطَعُ مَنْ قَطَعَهَا»(٣).
(أحبتي في الله)

وقد ذكره الله تعالى مع الأمر بالعدل والإحسان قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾} [النحل: ٩٠].

وقال تعالى أيضا:{ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ} [الإسراء: ٢٦].

وكما أمر أولي الفضل أن ينفقوا على أقاربهم فقال تعالى:{ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾} [النور: ٢٢].

وكذلك وردت نصوص كثيرة من أحاديث النبي ﷺ الدالة على الحث بصلة الأرحام، فمنها ما روى أبو أيوب الأَنْصَارِيُّ أَنَّ رَجُلا قَالَ: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ: مَا لَهُ مَا لَهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : أَرَبٌ مَا لَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«تَعْبُدُ الله لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ»، ذَرْهَا، قَالَ: كَأَنَّهُ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ(٤).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«خَلَقَ الله الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتْ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ؟ قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ. قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَاكِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:{ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن

---

(١) شجنة: متشابكة متماسكة.
(٢) بحجزة الرحمن: الحجزة: الوسط وهو موضع شد الإزار، والمعنى هنا: التجأت إليه اعتصمت واستجارت به.
(٣) البخاري [٥٦٤٢] باب من وصل وصله الله، أحمد [٢٩٥٦]، واللفظ له، تعليق شعيب الأرنؤوط " صحيح وهذا إسناد حسن "، تعليق الألباني " صحيح "، الصحيحة [١٦٠٢].
(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب فضل صلة الرحم، برقم: (٥٩٨٣).

تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾} [محمد: ٢٢] [(١)].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: قَالَ الله: «أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِن اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ» [(٢)].

* * *

والإحسان إلى الأرحام: القيام بصلتهم بالمعروف بالمال وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء، وبالزيارات، والهدايا والنفقات، وبالعطف والحنان، ولين الجانب، وبشاشة الوجه، والإكرام والاحترام، وكل ما تعارف الناس عليه من صلة، والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة.

قَالَ الْقُرْطُبِيّ: الرَّحِم الَّتِي تُوصَل عَامَّة وَخَاصَّة، فَالْعَامَّة رَحِم الدِّين وَتَجِب مُوَاصَلَتهَا بِالتَّوَادُدِ وَالتَّنَاصُح وَالْعَدْل وَالإِنْصَاف وَالْقِيَام بِالْحُقُوقِ الْوَاجِبَة وَالْمُسْتَحَبَّة. وَأَمَّا الرَّحِم الْخَاصَّة فَتَزِيد لِلنَّفَقَةِ عَلَى الْقَرِيب وَتَفَقُّد أَحْوَالهمْ وَالتَّغَافُل عَنْ زَلَّاتهمْ. وَتَتَفَاوَت مَرَاتِب اِسْتِحْقَاقهمْ فِي ذَلِكَ كَمَا فِي الْحَدِيث. قال بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ» [(٣)].

وَقَالَ ابْن أَبِي جَمْرَة: تَكُون صِلَة الرَّحِم بِالْمَالِ، وَبِالْعَوْنِ عَلَى الْحَاجَة، وَبِدَفْعِ الضَّرَر، وَبِطَلَاقَةِ الْوَجْه، وَبِالدُّعَاءِ. وَالْمَعْنَى الْجَامِع إِيصَال مَا أَمْكَنَ مِن الْخَيْر، وَدَفْع مَا أَمْكَن مِن الشَّرّ بِحَسَبِ الطَّاقَة، وَهَذَا إِنَّمَا يَسْتَمِرّ إِذَا كَانَ أَهْل الرَّحِم أَهْل اِسْتِقَامَة، فَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا أَوْ فُجَّارًا فَمُقَاطَعَتهمْ فِي الله هِيَ صِلَتهمْ، بِشَرْطِ بَذْل الْجَهْد فِي وَعْظهمْ، ثُمَّ إِعْلَامهمْ إِذَا أَصَرُّوا أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ تَخَلُّفهمْ عَن الْحَقّ، وَلا يَسْقُط مَعَ ذَلِكَ صِلَتهمْ بِالدُّعَاءِ لَهُمْ بِظَهْرِ

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وتقطعوا أرحامكم، برقم: (٤٨٣٢).
(٢) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، برقم: (١٦٩٤).
(٣) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في بر الوالدين، برقم: (١٨٩٧).

الْغَيْب أَنْ يَعُودُوا إِلَى الطَّرِيق الْمُثْلَى [١].

وقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في البر وصلة الأرحام كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ دَعَا رَسُولُ الله ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلالِهَا» [٢].

قال النووي: قَوْله ﷺ : «فَإِنِّي لا أَمْلِك لَكُمْ مِن الله شَيْئًا» مَعْنَاهُ: لا تَتَّكِلُوا عَلَى قَرَابَتِي فَإِنِّي لا أَقْدِر عَلَى دَفْع مَكْرُوه يُرِيدهُ الله تَعَالَى بِكُمْ.. وَمَعْنَى الْحَدِيث: سَأَصِلُهَا، شُبِّهَتْ قَطِيعَة الرَّحِم بِالْحَرَارَةِ وَوَصْلهَا بِإِطْفَاءِ الْحَرَارَة بِبُرُودَةٍ [٣].

* * *

ومن الإحسان إليهم دعوتهم إلى الإيمان إن كانوا كفاراً، وإلى الاستقامة والثبات على الصالحات إن كانوا مسلمين؛ كما حرص النبي ﷺ على إيمان عمه أبي طالب، فعَن ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ. فَقَالَ: «أَيْ عَمِّ! قُلْ: لا إِلَهَ إلا الله كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله». فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَزَالا يُكَلِّمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ». فَنَزَلَتْ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾} [التوبة: ١١٣]، وَنَزَلَتْ: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص: ٥٦]» [١].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ٤١٨/١٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}، برقم: (٢٠٤).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي، (المجلد الأول)، ١٩٢/١.

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، برقم: (٣٨٨٤).

وهذا يدل على شدة حرصه ﷺ على إيصال النفع لعمه مكافأةً لما قدم له من العون والنصرة في الجهود الدعوية، ولكن قضاء الله فوق إرادة كل أحد فلم يوفق للإيمان ومات على الكفر متعصبا لجاهليته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعَمِّهِ: «قُلْ: لا إِلَهَ إلا الله أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالَ: لَوْلا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ. فَأَنْزَلَ الله: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ } [القصص: ٥٦] (١).

(أحبتي في الله)

إن صلة الرحم - سبب رئيسى لزيادة الرزق ووفرتة بل والبركة فية - وأيضا سبب في دخول الجنة وصلة الله للعبد في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: { وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ } [الرعد: ٢١ - ٢٢].

وفي الصحيحين عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بما يدخلني الجنة ويباعدني عن النار فقال النبي ﷺ: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصل رحمك» فلما أدبر قال النبي ﷺ: «إن تمسك بما أمرته به دخل الجنة».

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله».

وصلة الرحم سبب لكثرة الرزق وطول العمر وحصول البركة لصاحبه بعمل الصالحات فيه.

قال النبي ﷺ: «من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه» متفق عليه.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يغرغر، برقم: (٢٥).

ومن بركة صلة الرحم وفضلها أن أجر الصدقة على المحتاج من ذي القرابة والرحم مضاعفة على أجر الصدقة على المحتاجين من غيرهم، فهي للرحم المحتاج صدقة وصلة

ويشهد لذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وحديقة، وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية{لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾} [آل عمران: ٩٢].

قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول:{لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢].

وإن أحب مالي إلي (بيرحاء) وإنها صدقه لله تعالى، أرجو برها ونخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ : **«بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وإني سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين».**

وقال ﷺ : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فيقل خيراً أو ليصمت»** رواه البخاري ومسلم.

(أحبتى في الله)

إذا كان لصلة الرحم كل هذا الأجر في الدنيا وفي الآخرة، فلا ريب أن لقاطع الرحم عقوبة، تعدل في شدتها شدة منكره وإثمه الذي فعله، وذلك لما يترتب على قطع الرحم من تقطيع لأواصر المجتمع المسلم وتفكيك لعراه، وخلخلة لبنيانه، وانفراط لعقده. لذا فقد جاء التهديد والوعيد والعقوبة الشديدة لمن قطع رحمه في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وهذه العقوبة - إخوة الإسلام - منها ما هو معجل في الدنيا لقول الرسول ﷺ : **«ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم».**

وتتمثل هذه العقوبة العاجلة في عدم قبول الأعمال الصالحة، إذ ترد

على صاحبها، وهي خسارة فادحة للمسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «**إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم**» حديث حسن رواه الإمام أحمد.

وتعظم الخسارة لمن أصرّ على قطع رحمه بطرده من رحمة الله حيث يدخل تحت لعنة الله تعالى والعياذ بالله، ولا خير في عمل وكسب بدون رحمة الله تعالى وحفظه وبركته قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم. أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت بلى. قال فذلك لك**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**اقرؤوا إن شئتم:** {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾} [محمد: ٢٢ - ٢٣]».

ثم تكون العقوبة الأخروية - إخوة الإسلام -، وإنها لأعظم عقوبة يعاقب بها إنسان قط، وهي الحرمان من الجنة. ووالله ليس لمن حرم من الجنة من موئل إلا النار إلا من رحم الله.

فقد ورد عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قاطع. قال سفيان: يعني قاطع رحم**» رواه البخاري ومسلم.

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق، وإن هذه الرحم شجنة من الرحمن عز وجل، فمن قطعها حرّم الله عليه الجنة**».

وهذا في حق من استحل قطيعة الرحم والعياذ بالله.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا قطيعة الرحم وقوموا بصلتها ابتغاء مرضاة الله تعالى ورجاء الأجر والثواب منه جل في علاه ولا تقابل من قطعك بالقطيعة واصبر واحتسب، فليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل إذا قطعت رحمة وصلها

* * *

(أحبتي في الله)

إن المسلم عندما يصل أرحامه يقوم بأمر أوجبه الله تعالى عليه، يطلب به الأجر والمثوبة من ربه لا من أرحامه. لذلك فالصلة الحقيقية هي التي تبتدئ بالإحسان دون انتظار مكافئ من القول أو الفعل صادر من ذوي القربى وأعظم منها الصلة التي تستمر على الرغم من إساءة ذوي القربى ومقابلة إساءتهم بالإحسان.

ولا شك - عباد الله - أن ذلك شديد على النفس، ولا يقدر عليه إلاّ من وفقه الله، قال الشاعر في هذا:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة ::: على النفس من وقع الحسام المهندِ

ولا ريب أن مثل هذا الواصل يستحق من الله تعالى كل عون ونصر وتأييد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيؤون إلي وأحلم عليهم ويجهلون علي؟! فقال: «**إن كنت كما قلت فكأنما تسُفُّهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**» رواه مسلم. ومعنى: «**تسفهم المل**» أي: كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم. ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم الفظيع في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه.

والبعض يسأل: وإن كانت القرابة كافرة فهل تجوز صلتهم؟ فيقال: إن كانوا ممن يناصبون الإسلام العداء، بأية صورة من صور العداوة وأساليبها فلا تجوز صلتهم، بل تجب مقاطعتهم ومعاداتهم، وإلا فلا مانع من صلتهم والإحسان إليهم من غير أن يكون لهم ولاء في القلب، قال تعالى: {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾} [الممتحنة: ٨].

وقد يسأل سائل فيقول كيف نستطيع أن نصل أرحامنا وهم كثير وفي أماكن متفرقة، ونحن في زمن تزاحمت فيه الأعمال والحقوق والواجبات،

ففي هذه الحالة يبدأ المسلم بالأولى فالأولى، والأقرب فالأقرب، ويمكن الجمع بينهم بحسب الحال، فمنهم من يمكن زيارته لقربه منه، ومنهم من يوصل بالمراسلة بالبريد، ومنهم من يتصل به بالهاتف، ومنهم من يهدى إليه بعض الهدايا، ومنهم من يسافر إليه وذلك باستغلال أيام الإجازة والعطلفي صلة الأرحام وزيارتهم والأنس بهم، ومن يتحرّ الخير يعطه، وكما قال تعالى: {فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ} [التغابن: ١٦].

فإذا بذل الإنسان جهده في صلة رحمه وفقه الله تعالى لذلك ويسر أمره وأعانه.

فاتقوا الله عباد الله في أنفسكم، وصلوا أرحامكم، واحذروا قطعها، وتذكروا دائماً ما أعده الله تعالى للواصلين من الثواب وللقاطعين من العقاب.

(أخي في الله)

لعلك أخي المسلم تستغرب إذا وجدت بعض المسلمين قد فتح الله لهم أبواب تلو أبواب من الرزق وهم قليلو النشاط والخبرة قياساً بغيرهم من أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة، ولكنك إذا فتشت عن حاله وجدته ممن يصل رحمه، بل لا تستغرب أخي الحبيب إذا أخبرتك بأن بعض العصاة والفساق بل وبعض الفجرة قد تنمو أموالهم بسبب صلة الرحم،

روى ابن حبان في صحيحه بسند جيد عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة له من قطيعة الرحم، والخيانة، والكذب، وإن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا».

إن هذا الحديث يفسر لنا ظاهرة ربما كانت موضع استغراب عند كثيرين، نعم أيها الأحبة: «إن أهل البيت ليكونوا فجره، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا».

- يقول الشيخ عبد الرحمن السعدى -

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من أحبَّ أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثَره، فليَصِلْ رحمه**» متفق عليه.

هذا الحديث فيه: الحث على صلة الرحم، وبيان أنها كما أنها موجبة لرضى الله وثوابه في الآخرة، فإنها موجبة للثواب العاجل، بحصول أحب الأمور للعبد، وأنها سبب لبسط الرزق وتوسيعه. وسبب لطول العمر. وذلك حق على حقيقته؛ فإنه تعالى هو الخالق للأسباب ومسبباتها.

وقد جعل الله لكل مطلوب سبباً وطريقاً يُنال به. وهذا جار على الأصل الكبير، وأنه من حكمته وحمده، جعل الجزاء من جنس العمل، فكما وصل رحمه بالبر والإحسان المتنوع، وأدخل على قلوبهم السرور، وصل الله عمره، ووصل رزق، وفتح له من أبواب الرزق وبركاته، ما لا يحصل له بدون هذا السبب الجليل.

وكما أن الصحة وطيب الهواء وطيب الغذاء، واستعمال الأمور المقوية للأبدان والقلوب، من أسباب طول العمر. فكذلك صلة الرحم جعلها الله سبباً ربانياً، فإن الأسباب التي تحصل بها المحبوبات الدنيوية قسمان: أمور محسوسة، تدخل في إدراك الحواس، ومدارك العقول. وأمور ربانية إلهية قَدَّرها مَنْ هو على كل شيء قدير، ومَنْ جميع الأسباب وأمور العالم منقادة لمشيئته، ومَنْ تكفل بالكفاية للمتوكلين، ووعد بالرزق والخروج من المضائق للمتقين. قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ} [الطلاق: ٢ - ٣]. وإذا كان النبي ﷺ يقول: «ما نقصت صدقة من مال» [(١)] بل تزيده. فكيف بالصدقة والهدية على أقاربه وأرحامه؟

(انتهى كلام الشيخ السعدى رحمة الله علية)

* * *

(١) أخرجه: البخاري في " صحيحه " رقم: ٢٠٦٧، ٥٩٨٦، ومسلم في " صحيحه " رقم: ٢٥٥٧.

[عقوبة قاطع الرحم في الدنيا]

للإمام البخاري من كتاب الأدب المفرد

باب إثم قاطع الرحم

عن جبير بن مطعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخلُ الجنة قاطعُ رحم». صحيح - صحيح أبي داود (١٤٨٨)، غاية المرام (٤٠٧): [خ: ٧٨ - ك الأدب، ١١ - ب إثم القاطع. م: ٤٥ - ك البر والصلة والآداب، ح ١٨، ١٩].

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرحم شَجْنَةٌ من الرحمن تقول: يا رب إني ظُلِمتُ يا رب إني قُطِعتُ يا رب إني إني، فَيُجِيبُها ألا ترضين أن أقطع من قطعَك وأصل من وصلكِ؟». حسن - التعليق الرغيب (٣/٢٢٦).

عن أبي هريرة (أنه كان يتعوذ من إمارة الصبيان والسفهاء، فقال سعيد بن سمعان فأخبرني ابن حسنة الجُهني أنه قال لأبى هريرة ما آية ذلك؟ قال: (أن تقطع الأرحام ويطاع المُغْوِى ويُعْصَى المرشد) صحيح دون رواية الجهني - الصحيحة (٣١٩١).

٣٣ - باب عقوبة قاطع الرحم في الدنيا.

عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ ذنب أحْرَى أن يُعَجِلَ الله لصاحِبِه العقوبة في الدنيا مع ما يُدَّخرُ له في الآخرة من قَطيعة الرحم والبغي». صحيح - الصحيحة (٩١٨، ٩٧٨): [د: ٤٠ - ك الأدب، ٤٣ - ب في النهي عن البغي. ت ٣٥ - ك القيلمى، ٥٧ - ب حدثنا على بن حجر. جه: ٣٧ - ك الزهد، ٢٣ - ب البغي، ح ٤٢١١].

٣٤ - باب ليس الواصل بالمكافئ.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ليس الوَاصلُ بالمُكافِئ ولكن الواصلَ الذي إذا قُطِعت رَحِمُه وصلها». صحيح - صحيح أبي داود (١٤٨٩)، غاية المرام (٤٠٨):[خ: ٧٨ - ك الأدب، ١٥ - ب ليس الواصل بالمكافئ].

٣٥ - باب فضل من يصل ذا الرحم الظالم.

عن البراء قال: جاء أعرابى فقال: يا نبي الله علمني عملا يدخلنى

الجنة قال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة أعتق النَّسمة وفُكَّ الرَّقبة» قال أو ليستا واحدا؟ قال: «لا عتق النَّسمة أن تعتق النَّسمة، وفك الرقبة ان تُعين على الرَّقبة والمنيحةُ الرغوب والفيء على ذِي الرَّحم، فإن لم تُطق ذلك فأمُر بالمعروف وإنه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فَكُف لسانك إلا من خير». صحيح - التعليق الرغيب (٢/٤٧)، «المشكاة» (٣٣٨٤).

٣٦ - باب من وصل رحمه في الجاهلية ثم أسلم.

عن حكيم بن حزام أنه قال للنبي ﷺ: أرأيت أمورا كُنْتُ أتحنث بها في الجاهلية من صلة وعتاقة وصدقة فهل لي فيها أجر؟ قال رسول الله ﷺ: «أسْلمتَ على ما سَلَفَ من خير». صحيح - السلسلة الصحيحة (٢٤٨): [خ: ٢٤ - ك الزكاة، ٢٤ - ب من تصدق في الشرك ثم أسلم. م: ١ - ك الإيمان، ح ١٩٤ و١٩٥ و١٩٦].

٣٧ - باب صلة ذي الرحم المشرك والتهديَّة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأى عمر حلة سِيَرَاء فقال: يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفود إذا أتوك. فقال: (يا عمر إنما يلبس هذه من لا خلاق له) ثم أُهْدِى للنبي ﷺ منها حُلل فَأَهْدَى إلى عمر منها حُلة فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله بعثت إلى هذه وقد سمعتك قلت فيها ما قلت. قال: «إني لم أُهْدِهَا لك لِتَلْبَسها إنما أهديْتُها إليك لتبيعها أو لتكسوها» فأهداها عمر لأخ له من أُمِه مشرك. صحيح - صحيح أبي داود (٩٨٧): [خ: ١١ - ك الجمعة، ٧ - ب يلبس أحسن ما يجد. م ٣٧ - ك اللباس والزينة، ح٦، ٧، ٨، ٩].

٣٨ - باب تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم.

(ث ٢٣) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر: (تعلموا أَنْسَابَكم ثم صِلُوا أَرْحَامَكم والله إنه ليكونُ بين الرجل وبين أخيه الشيءُ ولو يعلم الذي بينَه وبينَه من دَاخِلَةِ الرَّحم لأوزَعَهُ ذلك عن انتهاكه). حسن الإسناد، وصح مرفوعا - السلسلة الصحيحة (٢٧٧).

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: احفظوا أنْسَابكم تصِلوا

أرحَامَكُم فإنه لا بُعْدَ بالرحم إذا قَرُبَت وإن كانت بَعِيدَةً ولا قُرْب بها إذا بُعِدَت وإن كانت قريبة، وكَلُّ رحم آتيةٌ يوم القيامة أمام صاحِبها تشهد له بصلةٍ، إن كان وصلها، وعليه بِقَطيعةٍ إن كان قطعها. حسن الإسناد، وصح مرفوعا - السلسلة الصحيحة (٢٧٧).

(انتهى من كتاب الأدب المفرد للبخارى)

(أحبتى في الله)

كل ذلك في العقوبة الأخروية.

وأما تعجيل العقوبة في الدنيا فإن الله سبحانه وتعالى قد يعجل العقوبة في الدنيا على بعض الذنوب، ومن ذلك تعجيل عقوبة قاطع الرحم والظالم وحالف الأيمان الكاذبة، فقد ورد في ذلك أحاديث منها:

١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس شيء أُطيعَ الله فيه، أعجل ثواباً من صلة الرحم، وليس شيء أعجل عقاباً من البغي وقطيعة الرحم واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع**» رواه البيهقي ٣٥٠/١٠، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٧٠٦/٢، وبلاقع، جمع بلقع وبلقعة، وهي الأرض القفر التي لا شجر فيها، ذكره الزبيدي ونقل عن بعض العلماء، أن معنى الحديث " أي يفتقر الحالف ويذهب ما في بيته من المال، أو يفرق الله شمله ويغيّر ما أولاه من نعمة " تاج العروس ٣٠/١١.

٢ - وفي رواية أخرى: «**إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم، وإن أهل البيت ليكونون فجاراً، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا وصلوا أرحامهم، وإن أعجل المعصية، عقوبة البغي والخيانة، واليمين الغموس يذهب المال ويثقل في الرحم، ويذر الديار بلاقع**» رواه الطبراني في الأوسط وقال الشيخ الألباني: إنه صحيح بمجموع طرقه وشواهده.

* * *

سؤال وجواب في عقوبة قاطع الرحم

أخشى أن أَصِلَها فيقاطعني إخوتها!

المجيب سعد بن عبد الله الماجد

عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

التصنيف الفهرسة/ الاستشارات/ استشارات اجتماعية / العلاقات الأسرية/مشكلات أسرية.

التاريخ ٢٧/٠١/١٤٢٧هـ

السؤال

لي عمة أخطأتْ في حق أخواتها، وهنّ الآن قاطعات لصلتها، وأنا محتارة لو كلمتها سوف تقاطعني جميع عماتي، فما الحل في ذلك؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فعمتكِ من أرحامكِ الذين عليكِ صلتهم، والعمل على برهم:

١ - قطيعة الرحم من الإفساد في الأرض، قال الله تعالى:{ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾} [محمد: ٢٢ - ٢٣].

وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال له مه قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب.. ثم قال رسول الله ﷺ اقرأوا إن شئتم: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾} [محمد: ٢٢]» [رواه البخاري: ٤٤٥٥].

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله». [رواه مسلم: ٤٦٣٤].

٢ - قاطع الرحم لا يدخل الجنة، فعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع» قال ابن أبي عمر قال سفيان يعني قاطع رحم. [رواه مسلم: ٤٦٣٦].

٣ - قاطع الرحم كالقاتل المتعمد، فعن أبي خراش السلمي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه». [رواه أبو داود: ٤٢٦٩].

٤ - قاطع الرحم لا يرفع له عمل صالح من صلاة وصوم وغيرها.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا». [مسلم: ٤٩٥٦].

أختي الكريمة، هل تريدين أن تكوني ممن حلَّت عليه عقوبة قاطع الرحم؟

إن المدة التي سمح الشرع في الهجر هي ثلاث ليال فأقل كما جاء في الحديث، وعن ابن الزبير أن النبي ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال». [رواه البخاري: ٥٦١١].

وعن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». [رواه البخاري٥٦١٣].

والرجل والمرأة في ذلك سواء مخاطبون بأوامر الشرع.

فعليك بالتوبة وصلة رحمك، ولا تلتفتي إلى من يأمرك بمعصية الله؛ لأنه لا طاعة له. في الحديث عن علي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: " لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف ". [النسائي: ٣١٤٥].

وعليك برضا الله عز وجل، ففي الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى

الناس». [الترمذي: ٢٣٣٨].

فعليك بالتوبة والمبادرة إلى الاتصال بعمتك وإصلاح ما بينكما، ومن ثم العمل على التوفيق بينها وبين أخواتها اللاتي هن عماتك! والصبر في ذلك واحتساب الأجر، فها أنتِ علمتِ وبلغكِ حكم الشرع، فليس لك بعد ذلك حجة بالجهل وعدم العلم، أو أنّ عمتكِ أو عماتكِ هنّ السبب. فكوني مفتاح خير، وأفسدي مخطط الشيطان الذي يحب إفساد وقطيعة الرحم. وفقكِ الله وجنبك قطيعة الرحم.

أسأل الله لي ولكم أن يجعلنا الله وإياكم من الذين يصلون أرحامهم إبتغاء مرضات الله واحتسابا للأجر والثواب

إنه أرحم الراحمين جواد كريم

* * *

[من مفاتيح الرزق - الإنفاق في سبيل الله]

(أحبتي في الله)

- ومن أسباب فتح أبواب الرزق: الإنفاق في سبيل الله. فمتى ما أنفقت من مالك يا عبد الله كان ذلك سبباً لكثرته، وهذه قاعدة صحيحة في باب الرزق، كلما أخرجت زاد المال لا كما يظن الماديون أنهم ينقص إذا أخرج زكاته أو تصدق قال الله تعالى: {وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ} [سبأ: ٣٩]، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي مهما أنفقتم من شيء مما أمركم الله به وأباحه لكم فهو يخلفكم ويخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، ولذا لما أمر الله عز وجل بالإنفاق في سبيل الله قال بعد ذلك: {ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦٨] قال ابن القيم رحمه الله: إن وعد الشيطان لابن آدم بالفقر ليس شفقة عليه وليس نصيحة له، وأما الله عز وجل فإنه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه وفضلاً بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه، إما في الدنيا أو في الدنيا والآخرة. روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم أنفق أنفق عليك**».

«**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفا**» رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

«**أنفق يا بلال ولا تخش من ذا العرش إقلالا**» رواه البيهقي.

بعض المسلمين لا يتصور نفسه من المنفقين، ولا يمكن أن يتخيل أن يكون في يوم من الأيام من الذين ينفقون في سبيل الله إلا إذا كان من أصحاب الملايين وهذا خطأ، لأن المسلم يمكنه أن ينفق بحسبه ووضعه وإمكانياته، فقد يكون الجنيه الواحد الذي تنفقه في سبيل الله بصدق وإخلاص أعظم من المليون الذي ينفقه غيرك لأنه أراد الشهرة مثلاً، والله أعلم بالنيات قال الله تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا

ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾} [هود: ١٥، ١٦].

واعلم بأن هذا الأمر وهو العناية بالضعفاء والمحتاجين من أعظم أسباب الرزق لأن المصطفى ﷺ قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم». (البخارى عن مصعب بن سعد عن أبيه) أخرجه البخارى (١٠٦١/٣، رقم ٢٧٣٩).

(أحبتي في الله)

يقول الله تباركت أسماؤه في محكم تنزيله: {لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ} [آل عمران: ٩٢]، وقال تعالى: {وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ} [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى: {وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [الأنفال: ٦٠].

وهكذا أيها الأخوة، وهكذا أيها الأخ المؤمن، لا تكاد تتلو بضع آيات من كتاب الله إلا وتجد حضاً كبيراً، وتجد دعوة قوية تهيب بك أيها المؤمن أن تنفق في سبيل الله، تنفق لمن؟ إنك تنفق على أخ لك مثلك.

ما الغرض من ذلك؟ التغرض من ذلك أن يكون هناك تعاطف بين المسلمين، أن يكون هناك تراحم بين المسلمين، حتى يكونوا كجسد واحد إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد، كل عضو ندب نفسه لمعونة هذا العضو كي لا يكون في المسلمين شقي واحد ولا بائس واحد ولا محروم واحد. أيها الأخ الكريم: لا تتلو آية فيها دعوة إلى الصلاة إلا وتجد آية فيها دعوة إلى الزكاة، ولا تتلو آية فيها دعوة إلى الإيمان إلا وتجد آية تدعى فيها إلى الجهاد وآية ثالثة تدعى فيها إلى الإنفاق في سبيل الله.

قال تعالى: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾} [الحجرات: ١٥]. وقال تعالى: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [الأنفال: ٢]، خافت من عظمة الله، من كبرياء الله، من سطوة الله، من جبروت الله: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾} [الأنفال: ٢ - ٣].

أيها الإخوة: الأمة يجب أن تكون جسماً واحداً، المجتمع يجب أن يكون بناءً واحداً. هنالك الضمان الاجتماعي، هنالك التكافل الاجتماعي، هنالك العدالة الاجتماعية، كل ذلك مبعثه من الإيمان، من الرحمة، من حب المؤمنين، **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**. **«والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع»**.

أيها الإخوة: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، وكفرنا بكل مبدأ يغاير الإسلام، كفرنا بكل نحلة تأتينا من ديار الأعداء، وتركنا وهجرنا كل مذهب يغاير مذهب الإسلام، إنما هو كفر وإيمان إنما هو ضلال وهدى، إنما نستمسك بدين محمد ﷺ وندع كل شريعة باطلة. أيها الإخوة لا نعرف ضماناً إلا ضمان الإسلام، ولا نعرف تكافلاً إلا تكافل الإسلام، ولا نعرف عدالة إلا عدالة الإسلام، أما ما وراء ذلك فألفاظ كاذبة ودعوات زائغة واشتراكيات منحرفة ضالة وذلك لأن الإسلام ينظر إليك على أنك إنسان على أن لك روحاً، على أن فيك معاني الإنسانية، تستطيع أن تعلو فوق الحيوانية، تستطيع أن تسمو فوق المادة، تستطيع أن تؤمن بالله وتهب نفسك لله وتعيش في سبيل الله وتنفق مالك لله، الإسلام أيها الإخوة يربيك على أنك إنسان تؤمن بالله وتؤمن باليوم الآخر وترضى بما أمر الله، وتذر ما أمرك الله بتركه، كل ذلك سهل عليك فتنفق مالك كله إن اقتضى الأمر في سبيل الله كما فعل أبو بكر حين جاء بماله كله فوضعه بين يدي الرسول في غزوة تبوك، فقال له رسول الله ﷺ: **«يا أبا بكر ماذا تركت لنفسك وأهلك؟»** قال: تركت لهم الله ورسوله. وجاء عمر بنصف ماله وجاء عثمان بشيء كثير جداً ووضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم ارض عن عثمان فإني راض عنه»**، قدم آلاف الدنانير ومئات الإبل وهكذا جهز جيش العسرة.

الانطلاق عندنا من الإيمان، من مبادئنا أن يكون الإنسان إنساناً، أما الإنسان الذي لا يعرف إلا شهوته، لا يعرف إلا طعامه، لا يعرف إلا شرابه، لا يعرف إلا منافعه، إنسان مثل هذا يجب أن ينزع ماله وتوضع

له القيود ويغل بالأغلال، أما المؤمن فليس له ذلك. ترك الإسلام للمؤمن الحرية، ترك لطاقاته أن تندفع، ترك لإمكاناته أن تتبارى وأن تقوم بمشروعات، إن إنساناً واحداً يستطيع أن يقوم أحياناً بما لا تستطيع أن تقوم به أمة. الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة، الأكثرية على الغالب بسطاء وسطاء تجد بينهم نابغة واحداً، الإسلام لا يقول لهذا الواحد نكبت حريتك، نمنعك من التصرف، نغل يديك، بل نقول له: انطلق بقوتك ولكن أنت وقوتك وإيمانك وطاقاتك لله وفي سبيل الله وللأمة، فإذا دق جرس الخطر تقدمت بنفسك ومالك.. هذه تربية الإسلام، تربية الإسلام إطلاق للقوى، إطلاق للطاقات مع تربية القلب حتى يكون قلباً مؤمناً فإذا كان كذلك كان كل ما لديه له، كل سعيه كان في سبيل الله. نظرة الإسلام أن نطلق القوى ونربى القلوب ونعتبر الإنسان بشراً سوياً. نظرة أولئك ألا نعتبر الإنسان بشراً سوياً بل نفعياً أنانياً لا سبيل للرحمة إلى قلبه. لا تسمح له بالانطلاق، ينطلق في سبيل نفسه وكبت غيره. أنا لا أدري هل أستطيع أن أفرق بين نظرتين نظرة الأمل بك أيها الإنسان ونظرة سوء الظن بك أيها الإنسان، نظرة على أنك تؤمن بالله واليوم الآخر، ونظرة على أنك قطعة من الكون ألقيت وستنتهي، هذه الحياة تكون منطلقاً لك ومسرحاً للذاتك أنت، أما نظرة الإسلام فإنه أطلق وربى من الداخل، أما نظرة أولئك فاعتبروا الإنسان حيواناً وبهيمة.

أيها الأخوة: أما الذنب فهو ذنبنا، ذنبنا نحن المسلمين، هل يصح أن يقال إن مجتمعنا مجتمع إسلامي؟ لا. هل نمثل الإسلام تمثيلاً صحيحاً؟ هل هذا المجتمع هو الذي وصفه الرسول ﷺ في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد؟ لا بكل أسف، لا ليس الأمر كذلك إننا لا نمثل الإسلام، نحن الآن أنانيات محضة، قلوب بعيدة متنافرة يصدق علينا ما يقول أولئك كأننا والله لا نؤمن بالله ولا نؤمن باليوم الآخر، نحن لا نمثل الإسلام ولا نستطيع أن ندافع عن الإسلام ولا نستطيع أن نذيع للملأ أن كلمة الله هي العليا لأن الناس ينظرون إلى الإسلام من خلال هذه النفوس الواهية المتواكلة الضعيفة المستخذية فلا نستطيع أن نقول هذا هو الإسلام، فانظروا نحن قد جنينا إثمين:

أولاً: جنينا على أنفسنا وسنلاقي جزاء عملنا.

ثانياً: جنينا على سمعة الإسلام.

إن الناس ينظرون إلى الإسلام من خلال أعمالنا ومن خلال مجتمعنا، هذا هو المجتمع الإسلامي فانظروا إلى الإسلام، الذنب ذنبنا الإثم إثمنا، الجريمة جريمتنا. لو كان هناك مجتمع واحد إسلامي في العالم كله لكان حجة على النظريات وحجة على المذاهب، ولتبين للناس جميعاً أن الإسلام هو الكمال وأن ما تتخبطون به من نظريات ومذاهب هو الضلال والبطلان، ولكن هؤلاء يتخبطون ويتنقلون بين المذاهب ولا يظنون أن الإسلام لديه الحل إلا نفر يسير منهم ولكنهم قلة، نفذت أبصارهم إلى ما وراء المجتمع الإسلامي وإلى الإسلام وحقيقته واستطاعوا أن يعرفوا الإسلام. لو كان هناك مجتمع إسلامي واحد لكان حجة على الشرق وحجة على الغرب، ولكان مجتمعاً مثالياً.

أيها الأخوة: لم يكن كذلك أسلافنا أصحاب رسول الله ﷺ نحن أيها الأخوة أصبنا بضعف، وهذا الضعف الذي أصبنا به رضينا به وسوغنا لأنفسنا ما نحن فيه وقلنا هذا هو الإسلام، المؤمن لا يبالي بما في المجتمع، المؤمن لا يهتم بشئون الأمة، المؤمن لا يندفع إلى الخير، المؤمن لا يجاهد في سبيل الله وفي سبيل إيقاف الشر عند حده، كل واحد منا شأنه كذلك وهو يرى أنه مؤمن وهو يرى ألا طاقة له، وهو يرى أن هذا قضاء الله، وكل ذلك حيل ركبها الشيطان، وسولتها النفوس، وليس الواقع كذلك حينما نسمع آيات الله تجبهنا وتصدع وجوهنا نلتفت إلى حيلة أخرى، نقول: لا! ذلك لأصحاب رسول الله ﷺ أما نحن المساكين أين نحن من أولئك، الآيات تدعونا إلى الجهاد، ونحن همتنا أدنى، رضينا بالأدنى. رضينا بالمرتبة الدنيا وانتهى ذلك إلى أن مجتمعنا لا يمثل مجتمعا إسلامياً صحيحاً

حين نزل قوله تعالى:{لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢] لن تنالوا درجة البر، مرتبة البر، أن يقال إنك من أهل البر، من الأبرار عند الله، لن تنالوا هذه الدرجة حتى تنفق من كرائم أموالك وتنفق من طيبات ما كسبت، تنفق ونفسك طيعة راضية بما تنفق، درجة عالية لا

تصل إليها بكل أسف. حين نزلت هذه الآية تبارى أصحاب رسول الله ﷺ إليه، يقول أحدهم: يا رسول الله، إن أحب مالي كذا وكذا أضعه صدقة. وجاء أبو طلحة - كما يروي الشيخان البخاري ومسلم - جاء إلى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله سمعت قول الله تعالى: {لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢] وإن أحب مالي إلي بستان. اسمه بستان بيرحاء، بستان من أطيب البساتين مقابل مسجد الرسول فيه عين ماء عذبة يدخل الرسول ﷺ يشرب من تلك العين يقول أبو طلحة: إن أحب مالي إلى بستان اسمه بستان بيرحاء وإني أجعله صدقة أرجو برها ونخرها يوم القيامة، يقول رسول الله ﷺ: **«بخ بخ قد سمعت ما تقول اجعلها في الأقربين»** أو كما قال رسول الله ﷺ. سمع أبو طلحة قول الله تعالى: {لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢] فبادر ونفذ، لم ذلك أيها الأخوة؟ لأن الإيمان خالطت بشاشته قلبه وخالطت حلاوته قلبه. تربية أولئك خير من تربيتنا.

* * *

[من أضرار عدم الإنفاق في سبيل الله]

وهناك أمر آخر أيضاً يعتبر من أكبر العقبات، وهو بخل كثير من الناس بأموالهم وجهدهم، فتعطل الجهاد في سبيل الله والدعوة، وخزنت أموال كثير من الناس كأرقام لا يستفيد منها إلا الكافرون في البنوك الدولية التي وضعت في كل بلد من بلاد المسلمين لها فرعاً لتمتص هذه الأرباح، وأصبح العدو هو الذي يستفيد، ولربما يقتلون المسلمين بأموال المسلمين، كما يفعل الهندوس الآن في الهند، وكما يفعل في الفلبين في مناطق كثيرة، لربما يكون هذا بأموال المسلمين.

لكن المصيبة الكبرى أن الإسلام أصبح لا يستفيد إلا نادراً من هذه الأموال، بينما نجد أنه في يوم واحد دعت الكنسية إلى البذل، فجمع في يوم واحد مليار دولار، وقد يتساءل شخص: لماذا خصصوا ملياراً؟ ولماذا ما قالوا: نريد أكثر من مليار أو نريد أقل منه؟

الجواب: لأن عدد المسلمين مليار، فقالوا: نريد كل دولار ينصر ويكفر واحداً من المسلمين فهذا هدفهم، وجُمع مليار دولار في يوم واحد.

ولنعلم أن كثيراً من المسلمين يرتدون عن الإسلام بسبب الفقر والمجاعة، فإذا كان الواحد منهم سيموت جوعاً ويأتيه رجل كافر يريد أن يقدم له الغذاء ويقدم له اللباس فإنه سيستجيب له، وقد يأخذه طفلاً فيربيه، وإن كانت الفطرة التي فطر الله الناس عليها موجودة في الأصل، لكن لربما يؤثرون أو يشوشون على هذه الفطرة.

وهناك مراكز إسلامية تفتقر إلى أموال المسلمين، وهناك من يصلي في العراء لا يجد مسجداً، وهناك من المسلمين من لا يجد لقمة العيش، فبخل المسلمين بالمال ثم بخلهم بعد ذلك بالجهد كان عقبة في طريق هذا الدين، وفي طريق المسلم وسيره إلى ربه سبحانه وتعالى.

ولذلك حينما نذهب إلى مناطق يضعف فيها المسلمون ويحتاجون إلى توجيه وتربية لا نجد إلا أبناء النصارى هم الذين يتكاثرون في تلك البلاد وفي تلك المواقع، ووالله لقد رأيت شابات وشباناً في سن العشرين أو ما يقرب من ذلك في مجاهل أفريقيا في مناطق يصعب على واحد من المسلمين أن يصل إليها، رأيتهم يربون أبناء المسلمين الفقراء، فقلت: كيف جاء هؤلاء من تلك البلاد المترفة المنعمة الباردة الجميلة الخضراء إلى هذه الصحاري وإلى هذه الغابات الموحشة؟! ثم قلت أيضاً: أين المسلمون؟! لماذا لا يربون هؤلاء الأبناء حتى لا ينشأ هؤلاء نشأة كافرة؟! فالمهم أنها بلية، وهذه تعتبر أيضاً عقبة من العقبات التي تعترض سبيل المؤمن في سيره إلى ربه سبحانه وتعالى، ولو أن علماء المسلمين وطلبة العلم ساحوا في أرض الله عز وجل ينشرون هذا الدين الذي سوف يسألهم الله عز وجل قبل أن يسأل المرسلين عنه كما قال سبحانه:{ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ } [الأعراف: ٦]، لو أنهم ساحوا في هذه الأرض ينشرون دين الله عز وجل لما كان هذا التكفير والتنصير الذي أصبح يقض على العقلاء مضاجعهم، ثم يخاف على هذه الأمة أن تترك دينها لولا أن الله عز وجل تكفل بحفظ هذا الدين.

ثم هذه الأموال لماذا لا تصل إلى أولئك المسلمين إلا نادراً؟! أليس المال مال الله؟ والله تعالى يقول:{وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} [الحديد:

٧]، فهذا أمر لابد أن ينتبه له المسلمون، ولابد أن تصل كثير من أموال المسلمين إلى هناك لترد الحق إلى نصابه.

* * *

فضل الإنفاق في سبيل الله عز وجل

أيها المسلم! أكثر من الإنفاق في سبيل الله عز وجل؛ فإن ذلك من نصرة الدين، ومن تقوية المسلمين، ومن مواجهة المعتدين، وإذا لم تسخ نفوسنا بالإنفاق في سبيل الله لنصرة دين الله فكيف نزعم أنه يمكن أن نجود بأنفسنا؟! الجهاد الأعظم بالنفس لابد أن تكون النفوس مهيأة له بكثير من الأسباب والأحوال، فمن لم يستطع مجاهدة نفسه للقيام بالطاعات وأداء الفرائض، ومن لم يغالب نفسه في شهوتها في هذا المال وتعلقها به، فكيف يجود بنفسه؟! نحن نعرف الآيات الكثيرة التي تقرن جهاد النفس بالمال، بل وتقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس، وفي سنن أبي داود عن النبي ﷺ أنه قال: (جاهدوا المشركين بألسنتكم وأموالكم)، والله سبحانه وتعالى يقول: {هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ} [محمد: ٣٨].

وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**شر ما في الرجل شح هالع، وجبن خالع**» وهي سمات نعرف أننا واقعون فيها، فإذا دعينا في الملمات، وعند حصول الكوارث، وعند نزول البلايا تحركنا وأنفقنا شيئاً من أثر العاطفة المتأججة المؤقتة العارضة، ثم بعد ذلك نعود إلى ما نحن فيه! خاطبوا أنفسكم، وحاسبوها اليوم: كم من المال تنفق باستمرار ودوام؟! مواجهتنا مع الأعداء ليست عارضة ولا عابرة، ومقارنة ما ننفقه في مقابل ما ينفقونه - للأسف الشديد - مقارنة محزنة ومؤسفة، فالتنصير - الذي يسمونه التبشير - نعلم من الإحصاءات الموثقة أن هناك نحواً من أربعة آلاف وستمائة قناة وإذاعة أعدت للقيام بنشر النصرانية، وتبث بلغات أكثر من أن تحصر وأن تحصى، ويُطبع من الإنجيل - رغم ما فيه من التحريف - لا أقول: الملايين ولا عشرات الملايين بل مئات وآلاف الملايين، وقد طبع بأكثر من ستمائة لهجة ولغة! وما ينفقونه في كل عام أكثر من أن يحصى، ونحن نوقن بقول الله عز وجل: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةً

ثُمَّ يُغْلَبُونَ} [الأنفال: ٣٦]، لكن كيف نواجه أعداءنا ونحن لا ننفق مثلهم؟ هذه صورة من صور ضعفنا، وصورة من أسباب هزيمتنا، ومن أسباب بلائنا؛ لأننا لا نصنع كما صنع الصحب رضوان الله عليهم، فقد كانوا في كل ملمة بل وفي غير الملمات ينفقون إنفاقاً عظيماً جداً، كان الإنفاق أمراً فوق الزكاة وفوق الواجب، وكانت صدقاتهم لا تنقطع دائماً وأبداً، حتى كان من لم يجد يكتسب حتى يجد ما يتصدق به، كما ورد في الصحيح عن بعض الصحابة من الفقراء قال: (كان أحدنا لا يجد ما يتصدق به، فكان أحدنا يتحمل الحمالة لا يريد بها إلا أن يجد ما ينفقه في سبيل الله) أي: حتى لا يحرم نفسه من الأجر والثواب، فقد كانوا يتسابقون إلى الإنفاق؛ لأنهم يعلمون أن ذلك من أسباب قوة دين الله سبحانه وتعالى.

* * *

[إما إلى الجنة وإما إلى النار]

واعلم - أخي المسلم - أن المال سبب موصل إما إلى الجنة وإما إلى النار، فمن استعان به على طاعة الله، وأنفقه في سبل الخيرات، كان سببا موصلا إلى رضوان الله والفوز بالجنة، ومن استعان به على معصية الله، وأنفقه في تحصيل شهواته المحرمة، واشتغل به عن طاعة الله، كان سببا في غضب الله عليه واستحقاقه العقاب الأليم. قال الله تعالى:{وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة: ٣٤].

وأخبر سبحانه أن من أنفق ماله في الصد عن سبيل الله، فسوف يلحقه الخزي والندامة يوم القيامة، قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ} [الأنفال: ٣٦].

وقال سبحانه عن القسم الأول الذين استعانوا بالمال على طاعة الله وأنفقوه في مرضاته:{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة فقال: «هم الأخسرون ورب الكعبة» قالها ثلاثاً قال أبو ذر: فأخذني غم، وجعلت أتنفس وقلت: هذا شر حدث في، فقلت: من هم - فداك أبي وأمي -؟ قال: «الأكثرون أموالا، إلا من قال في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم ما من رجل يموت فيترك غنما أو إبلا أو بقرا لا يؤدي زكاتها إلا جاءته يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمن حتى تطأه بأظلافها، وتنطحه بقرونها، حتى يقضي الله بين الناس ثم لا تعود أولاها على أخراها» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جبهته وجنبه وظهره، كلما بردت أعيدت إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار» مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أنه قال: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه – يعني شدقيه – يقول: أنا مالك.. أنا كنزك» البخاري

* * *

الكنز في الإسلام

ليس الكنز في الإسلام هو المال الكثير، ولكنه المال الذي لم تؤد زكاته. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ما كان من مال تؤد زكاته فليس بكنز، وإن كان مدفونا، وما ليس مدفونا لا تؤدي زكاته، فإنه الكنز الذي ذكره الله تعالى في كتابه.

فريضة الزكاة وأهدافها

أخي المسلم: اعلم أن الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، قال النبي ﷺ : «بني الإسلام على خمس» فذكر منهن: «إيتاء الزكاة» متفق عليه

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس أحد يؤتي زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت، ثم تلا قوله تعالى: { وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ

أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون: ١٠ - ١١].

قال ابن الجوزي: وينبغي للمتيقظ أن يفهم المراد من الزكاة، وذلك ثلاثة أشياء:

أحدها: الابتلاء بإخراج المحبوب. والثاني: التنزه عن صفة البخل المهلك.

والثالث: شكر نعمة المال، فليتذكر إنعام الله عليه إذ هو المعطى لا المعطي!

ويزاد على ما ذكره ابن الجوزي ما يلي: -

١ - إعانة الضعفاء وكفاية ذوي الحاجة وقضاء الدين عن أهله.

٢ - تقوية روح الجماعة بين أفراد المجتمع والتخلص من الإفراط فى حب الذات.

٣ - نشر المحبة والألفة بين أفراد المجتمع وعدم شعور الفقراء بالحقد على الأغنياء أو حسدهم.

٤ - الحفاظ على الدولة الإسلامية وحماية حوزة المسلمين عن طريق تقوية الجيوش والإنفاق على الجهاد والمجاهدين.

* * *

الحث على الصدقة

أخي المسلم الحبيب: رغب الإسلام في الصدقة، والعطف على الفقراء، ومواساة أهل الحاجة والمسكنة، ورتب على ذلك أعظم الأجر عند الله تعالى يوم القيامة. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نظر إلى رجل يصرف راحلته في نواحي القوم فقال: «**من كان عنده فضل من ظهر - أي مركوب - فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له**» قال ابن مسعود: حتى رئينا أنه لا حق لأحد منا في فضل!! مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ«من تصدق

بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فلوه - أي مهره - حتى تكون مثل الجبل» متفق عليه.

وبين النبي ﷺ أن الصدقة تظل العبد يوم القيامة وتحول بينه وبين حر الشمس حينما تدنو من الرؤوس. فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي له ﷺ قال: «كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس» أحمد والحاكم وصححه الألباني.

وبين النبي ﷺ أن أجر الصدقة يقع مضاعفا إلى سبعمائة ضعف يوم القيامة، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة» مسلم.

والصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ «أن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء» الترمذي وقال: حسن غريب.

وأخبر النبي ﷺ أنه قال: «لا يخرج أحد شيئا من الصدقة حتى يفك عنها لحي سبعين شيطانا» أحمد وابن خزيمة وصححه الحاكم والألباني.

وأخبر الله سبحانه وتعالى أن الصدقة زكاة وطهارة للمسلم، حيث تزكو نفسه وترتفع عن أخلاق السفلة من الشح والبخل ولأثرة وغيرها قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم} [التوبة: ١٠٣].

وبين رسول الله ﷺ أن الصدقة لا تنقص المال، بل تزده بما يحصل فيه من بركة الإنفاق والعطاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما نقص من مال من صدقه..» الحديث مسلم.

إخواني: إنما يحسن البكاء والأسف على فوات الدرجات العلا والنعيم المقيم لما سمع الصحابة رضي الله عنهم قول الله عز وجل: {فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ} [البقـرة: ١٤٨]، {وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} [آل عمران: ١٣٣]، فهموا من ذلك أن المراد أن يجتهد كل واحد منهم، حتى يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة

العالية، فكان أحدهم إذا رأي من يعمل للآخرة أكثر منه نافسه وحاول اللحاق به بل مجاوزته، فكان تنافسه في درجات الآخرة، واستباقهم إليها كما قال تعالى: {وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين: ٢٦].

أما نحن فعكسنا الأمر، فصار تنافسنا في الدنيا الدنية وحظوظها الفانية.

قال الحسن: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة!!.

وقال وهيب بن الورد: إذا استطعت أن لا يسبقك أحد إلى الله فافعل.

وقال عمر بن عبد العزيز في حجة حجها عند دفع الناس من عرفة: ليس السابق اليوم من سبق به بعيره، إنما السابق من غفر له.

الله أكبر! أين التنافس إلى الطاعات؟

أين التسابق في الخيرات؟

أين بذل الزكاة والصدقات؟

أين أصحاب الهمم والعزمات؟

* * *

آداب المزكي والمتصدق

أخي المسلم الموفق: اعلم أن الإنفاق يشمل الزكاة المفروضة، والصدقة النافلة، والإيثار والمواساة للإخوان، وينبغي على المزكي والمتصدق مراعاة ما يلي: -

١ - إصلاح النية: فينبغي للمتصدق أن يصلح نيته، فيقصد بالصدقة وجه الله عز وجل، فإنه إن لم يقصد وجه الله، وقصد بها رياء وسمعة لم تقبل منه، وعوقب على ذلك أيضا.

٢ - تخير الحلال: فعن ابن عمر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يقبل الله صدقة من غلول**» مسلم.

٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا**» مسلم.

٣ - تخير الأجود: قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾} [البقرة: ٢٦٧].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان أبو طلحة أكثر أنصاري المدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء - أرض بالمدينة - وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية: {لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢]، قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله! إن الله تعالى يقول: {لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢] وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: «**بخ ذاك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**» قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. متفق عليه.

وعن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه عز وجل، قال نافع: وكان بعض رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شمر أحدهم فلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن! والله ما بهم إلا أن يخدعوك، فيقول ابن عمر لهم: من خدعنا بالله انخدعنا له!!

وعن سعيد بن هلال أن ابن عمر رضي الله عنهما نزل الجحفة وهو مريض فاشتهى سمكا، فلم يجدوا إلا سمكة واحدة، فلما قربت إليه أتى مسكين حتى وقف عليه، فقال له ابن عمر خذها، فقال له أهله: سبحان الله! قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه. فقال: إن عبد الله يحبه!!

وقف سائل على باب الربيع فقال: أطعموه سكراً فقالوا: ما يصنع هذا بسكر؟ نطعمه خبزا أنفع له. قال: ويحكم أطعموه سكرا فإن الربيع يحب السكر!!

٤ - تقديم الأقرباء: فمن الآداب أن يقدم المتصدق ذوي الحاجة من أقربائه وذوي رحمه، فقد أمر رسول الله ﷺ أبا طلحة بذلك كما في الحديث

السابق.

وقال رسول الله ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة» أحمد والترمذي والنسائي وصححه الألباني.

٥ - تحري أهل الدين: وعلى المتصدق أن يتحرى بصدقته أهل الدين الذين يستعينون بهذه الصدقة على طاعة الله، ولا ينفقونها في معصيته فيكون معاونا لهم على المعصية والإثم.

٦ - إسرار الصدقة: وعلى المتصدق أن يسر صدقته ما استطاع، إلا إذا كان في إعلانها مصلحة راجحة، فقد قال الله سبحانه: {إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} [البقرة: ٢٧١].

وذكر رسول الله ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله قال: «ورجل تصدق بصدقة حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» متفق عليه.

٧ - إخراج ما سهل وإن قل: ومن الآداب أن يخرج المعطي ما سهل وإن قل، ولا يرد سائلا ولو بأيسر شيء فعن جابر رضي الله عنه قال: ما سئل النبي ﷺ شيئا قط. فقال: لا. متفق عليه.

وقال الحسن: أدركنا أقواما كانوا لا يردون سائلا إلا بشيء.

وأتى سائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعندها نسوة، فأمرت له بحبة عنب، فتعجبن النسوة فقالت: إن فيها ذرا كثيرا!! تتأول قوله تعالى{ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾} [الزلزلة: ٧].

٨ - ولا يجوز تأخير الزكاة عن وقتها إذا حال الحول لأنها حق للفقير، ويجوز تقديمها على الحول.

٩ - وعلى المتصدق أن يتلطف مع الفقير وهو يعطيه، ولا يبطل صدقته بالمن والأذى قال تعالى: {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى} [البقرة: ٢٦٣]، وقال سبحانه: {ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾} [البقرة: ٢٦٢].

١٠ - وعلى المسلم أن يعود نفسه الصدقة والعطاء والإيثار ولو كان

فقيرا قليل ذات اليد، فقد سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الصدقة فقال: (جهد المقل) أحمد والنسائي وأبو داود أي صدقه الفقير.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى رسول الله ﷺ ، فبعث إلى نسائه فقلن: ما عندنا إلا الماء!! فقال ورسول الله ﷺ«من يضيف هذا؟» فقال رجل من الأنصار: أن فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ ، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبيان، فقال: هيئي طعامك، وأصلحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فعلت ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين - أي جائعين - فلما أصبح غد إلى رسول الله ﷺ ، فقال«ضحك الله الليلة – أو عجب من فعالكما» فأنزل الله تعالى:{ يُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ } [الحشر: ٩] رواه البخاري.

* * *

إيثار حتى الموت!!

استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل ين عمرو، والحارث بن هشام، وجماعة من بني المغيرة، فأتوا بماء وهم صرعى وأتي عكرمة بالماء، فرأى سهيل بن عمرو ينظر إليه، فقال: ابدؤوا بهذا فجيء إلى الحارث بن هشام فإذا هو قد مات، ثم جيء إلى عكرمة فإذا هو قد مات، ثم جيء إلى سهيل بن عمرو فإذا هو قيد مات، فماتوا جميعا قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال: بنفسي أنتم!!

أخي: كم بينك وبين الموصوفين كما بين المجهولين والمعروفين.. آثرت الدنيا، وآثروا الدين... فتلمح تفاوت الأمر يا مسكين!! أم الفقير فما يخطر ببالك.. فإذا جاء سائل أغلظت له في مقالك، فإن أعطيته فحقيرا يسيرا من رديء مالك.

* * *

أفضل أوقات الصدقة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: (أن تصدق وأنت شحيح صحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان) متفق عليه.

* * *

صور من إنفاق السلف

تركت لهم الله ورسوله:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يوما قال: فجئت بنصف ما لي. فقال رسول الله ﷺ: **«ما أبقيت لأهلك؟»** قال: أبقيت لهم الله ورسوله!! فقلت: لا أسابقه إلى شيء أبدا. رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

رجل واحد يجهز جيشا:

وكان عثمان رضي الله عنه من المنفقين أموالهم في سبيل الله، فعن عبد الرحمن بن خباب قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان فقال: يا رسول الله! علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: يا رسول الله! علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، قال: فرأيت رسول الله ﷺ ينزل على المنبر وهو يقول: **«ما على عثمان ما فعل بعد هذه.. ما على عثمان ما فعل بعد هذه»** الترمذي وقال: غريب وله شواهد.

يطفئ السراج لئلا يتحرج السائل!!

وروي عن سعيد بن العاص أنه كان يعشي الناس في رمضان، فتخلف عنده ذات ليلة شاب من قريش بعدما تفرق الناس، فقال له سعيد: أحسب أن الذي خلفك حاجة؟ قال: نعم! أصلح الله الأمير. قال: فضرب سعيد الشمعة بكمه فأطفأها ثم قال: ما حاجتك؟ قال: تكتب لي إلى أمير المؤمنين أن علي دينا، وأحتاج إلى مسكن وخادم. قال: كم دينك؟ قال: ألفا دينار، وذكر ثمن المسكن والخادم، فقال سعيد: تكفيك مؤونة السفر، اغد فخذها منا. فكان الناس يقولون: إن إطفاء الشمعة أحسن من إعطائه المال، لئلا يرى في وجهه ذل المسألة!!

* * *

بشرى للفقراء

قال ابن رجب: وقد كان بعض الصحابة يظن أن لا صدقة إلا بالمال، فأخبره النبي ﷺ أن الصدقة لا تختص بالمال، وأن الذكر وسائر أعمال المعروف صدقة كما في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: **«أو ليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون به؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة»**.

تصدق بعض الأغنياء بمال كثير، فبلغ ذلك طائفة من فقراء الصالحين، فاجتمعوا في مكان، وحسبوا ما تصدق به من الدراهم، وصلوا بدل كل درهم تصدق به لله ركعة!! هكذا يكون استباق الخيرات، والتنافس في علو الدرجات.

فسبحان من فضل هذه الأمة وفتح لها على يدي نبيها أبواب الفضائل الجمة، فما من عمل عظيم يقوم به قوم ويعجز عنه آخرون، إلا وقد جعل الله لمن عجز عملا يساويه ويفضل عليه، فتتساوى الأمة كلها في تحصيل الخيرات ونيل علو الدرجات.

* * *

مجالات الصدقة

أخي المسلم: للصدقة مجالات عديدة جدا يصعب حصرها، ولكن يمكن الإشارة إلى بعض هذه المجالات على سبيل الاختصار:

الإنفاق على الفقراء والمحتاجين وإسقاط الديون عن المدينين.

بناء المساجد والإنفاق عليها وعلى الأئمة والمؤذنين والقائمين عليها.

سقي الماء وحفر الآبار في الأماكن التي لا يصل إليها الماء.

اطعام الطعام وشراء الملابس وتوزيعها.

الإنفاق على طلبة العلم وشراء الكتب والأدوات الدراسية لهم.

طباعة الكتب والأشرطة الإسلامية وتوزيعها.

توزيع المصحف الشريف على الشعوب الإسلامية في العالم

الإنفاق على حلقات تحفيظ القرآن الكريم ورصد المكافآت للطلاب والمدرسين.

بناء المدارس ودور العلم والمستشفيات.

بناء الملاجئ ودور الأيتام والمسنين والمساكن للغرباء من طلبة العلم وأبناء السبيل.

الصدقة على فقراء الحجاج والمعتمرين والزوار وتوفير الطعام والشراب والمراكب لهم.

الإنفاق على الأرامل والأيتام وكبار السن.

الإنفاق على الجهاد والمجاهدين ودعم المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

مساعدة الشباب المسلم على الزواج.

الإنفاق على الدعاة وإرسالهم إلى مشارق الأرض ومغاربها.

رعاية الأقليات المسلمة في العالم، وربطهم بدينهم حتى لا تذوب هويتهم الإسلامية.

تخصيص الأموال للجوائح والعوارض الطارئة كالحرائق والأمراض والكوارث والزلازل والسيول وغيرها.

الإنفاق على مغاسل الأموات التي تقوم بتجهيز الموتى مجاناً.

وغيرها كثير كثير......................

أصحاب الهمم العالية

أخي المسلم: صاحب الهمة العالية، والنفس الشريفة لا يرضى بالأشياء الدنية الفنية، وإنما همته المسابقة إلى الدرجات الباقية الذاكية التي لا تفنى، ولا يرجع عن مطلوبه ولو تلفت نفسه في طلبه، ومن كان في الله تلفه، كان على الله خلفه.

قيل لبعض المجتهدين في الطاعات: لم تعذب هذا الجسد قال: كرامته

أريد!

وإذا كانت النفوس كبارا ::: تعبت في مرادها الأجسام

من يهن يسهل الهوان عليه ::: ما لجرح بميت إيلام

قال عمر بن عبد العزيز: إن لي نفسا تواقة، ما نالت شيئا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، وأنها لما نالت هذه المنزلة - يعني الخلافة - اشتاقت إلى الجنة -

* * *

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

(أحبتى في الله)

قيمة كل إنسان ما يطلب، فمن كان يطلب الدنيا فلا أدنى منه، فإن الدنيا دنية، وأدنى منها من يطلبها، وهي خسيسة، وأخس منها من يخطبها. قال بعضهم: القلوب جوالة، فقلب يجلو حول العرش، وقلب يجول حول الحش.

العاقل يغبط من أنفق ماله في سبيل الخيرات ونيل علو الدرجات، والجاهل يغبط من أنفق ماله في الشهوات، وتوصل إلى اللذات والمحرمات.

العالي الهمة يجتهد في نيل مطلوبه، ويبذل ماله في الوصول إلى رضا محبوبه، فأما خسيس الهمة فاجتهاده في متابعة هواه، ويتكل على مجرد العفو، فيفوته - إن حصل له العفو - منازل السابقين.

قال بعض السلف: هب أن المسيء عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين؟!

فيا مذنبا يرجو من الله عفوه أترضى بسبق المتقين إلى الله؟!

* * *

[قصة فيها عبرة]

فهذه قصة عظيمة تتعلق بالصدقة والنفقة، يرويها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: (بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة يقول: اسقِ حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرَّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحوِّل الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال: يا عبد الله! لِمَ تسألني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسقِ حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أمَّا إذا قلتَ هذا، فإني أنظر إلى ما يَخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأردُّ فيها ثلثه) هذا حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى وأحمد في مسنده في كرامة وليٍّ من أولياء الله كان مشهوراً بالصدقة، والإنفاق في سبيل الله.

وقد حصل أن رجلاً كان يمشي بفلاةٍ من الأرض فسمع صوتاً في سحابة، ولعل هذا الصوت صوت ملَك من ملائكة الله عز وجل، يقول: (اسقِ حديقة فلان) - يأمر السحاب، فالسحاب تنحَّى إلى حرَّة؛ وهي الأرض الملبسة بالحجارة السوداء، تنحَّى السحاب إليها، وأفرغ ماءه فيها كله - (فإذا شرجة من تلك الشراج...) شرجة من تلك الشراج، وهي: مسايل الماء في الحِرار أو الحرَّة، فيها طرق وأخاديد تمشي فيها المياه وتسيل، إحدى الشراج استوعبت الماء الذي أُمطر على الحرَّة كله، فتتبع الماء إلى أين يذهب؛ فإذا الماء يذهب إلى حديقة وبستان معين، وإذا رجل في البستان يحوِّل الماء بمسحاته، صاحب الحديقة يحوِّل الماء بالمسحاة وهي: المجرفة من الحديد.

فالذي سمع الصوت في السحابة يقول: (اسق حديقة فلان) جاء إلى صاحب الحديقة وقال له: يا عبد الله - وهذا الذي ينادَى به الشخص غير المعروف الاسم، قال له بدل ما يقول: يا فلان قال: يا عبد الله - ما اسمك؟ قال: فلان...) سمَّى نفسه، فإذا بالاسم يطابق الاسم الذي سمعه في

السحابة، الصوت الذي قال: (اسق حديقة فلان).

ثم إن صاحب البستان استغرب من سؤال هذا الرجل عن اسمه، فسأله: (لماذا تسأل عن اسمي؟) - فأخبره أنه سمع صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه لأنه تتبع المطر الذي نزل من هذه السحابة حتى وصل إلى هذا البستان - (فقال له: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسقِ حديقة فلان باسمك - نفس الاسم، تطابَقَ الاسم - فما تصنع فيها؟...) لماذا الماء الذي نزل من السحابة على الحرَّة نَزَل كلُّه في إحدى الشراج التي تؤدي إلى بستانك أنت بالذات؟ ماذا تصنع في هذه الحديقة؟.

قال: أمَّا إذا قلتَ هذا - أمَّا وقد قلتَ ما قلتَ وغُلِبْتُ ولا طريقة لإخفاء عملي - فإني أنظر إلى ما يَخرج منها - ثمار هذا البستان - فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأرد فيها ثلثه) فقسَّم الغلة ثلاثة أقسام.

فوائد حديث صاحب الحديقة

يؤخذ من هذا الحديث:

إثبات كرامات أولياء الله

أولاً: إثبات كرامات أولياء الله تعالى: وأن الله عز وجل قد يسخر سحاباً لسُقيا حديقة معينة وبستان معين من بين جميع البساتين في المنطقة؛ وذلك لصلاح صاحبه، ونفقته في سبيل الله.

فضل الإنفاق في سبيل الله وعلى الأهل والولد وأن الله يخلفه

ثانياً: فضل الإنفاق في سبيل الله، والإنفاق على الأهل والأولاد.

الفائدة الثالثة: أن الله سبحانه وتعالى يخلف النفقة ولا يضيع أجر المحسنين لا في الدنيا ولا في الآخرة: ولذلك فإنه سبحانه يعوِّض هذا الرجل كلما أنفق بماء يسقي بستانه من غير حفر من صاحبه ولا تعب، ماء يسيل بالذات لأجل إكرام هذا العبد.

إمكان سماع صوت الملائكة

ورابعاً: أنه يمكن شرعاً أن يسمع بعض الناس صوت الملائكة: وقد حدث أن الله سبحانه وتعالى أرسل بعض الملائكة لبعض الناس مثل:

الملَك الذي أرسله الله على مدرجة رجل ذهب ليزور أخاً له في الله، فسأله واستوثق منه عن سبب ذهابه إليه، ثم أخبره أن الله يحبه على هذا الفعل.

وكان عمران بن حصين من الصحابة رضوان الله تعالى عنهم يسمع تسليم الملائكة عليه.

فإذاً: يمكن لبعض الناس البشر أن يسمع صوت الملائكة.

للسحاب ملائكة موكلون

وخامساً: أن الله تعالى قد وكل بالسحاب ملائكة يسوقونها إلى المكان الذي قدر الله عزوجل وشاء أن تمطر فيه فتمطر.

الحكمة في التصرفات المالية

والفائدة السادسة: أهمية الحكمة في التصرفات المالية: - فإن بعض الناس سفهاء، لا يجوز أن يوضع المال في أيديهم أصلاً، قال الله تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ} [النساء: ٥]؛ لأنهم لا يحسنون التصرف فيها، ولذلك جُعل على مال السفيه وليٌّ في الشريعة، يشرف على إنفاق ماله وتنميته له: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا} [النساء: ٥]، فالمال قوام الحياة والعيش.

هذا الرجل يحسن ما لا يحسنه كثير من الناس.

هذا الرجل قد قسم غلة بستانه إلى ثلاثة أقسام: - قسم يتصدق به: وهذا الذي بدأ به في الحديث، قال: (فإني أنظر إلى ما يَخرج منها فأتصدق بثلثه...) هذا أولاً.

- (وآكل أنا وعيالي ثلثاً).

- (وأرد فيها ثلثاً).

فانظر إلى حكمة هذا الرجل وحسن تصرفه، كيف قسَّمها أثلاثاً.

إذاً توزيع الدخل إلى نسب معينة هذا من الحكمة وحسن التخطيط؛ أن يعرف الإنسان الراتب الشهري الذي يأخذه مثلاً، العائد الذي يعود عليه، الرزق الذي يُرْزَقه يقسم أقساماً، فتقسيم الراتب، أو تقسيم العائد ليست

عمليةً مبتَدَعة جديدة جاء بها الاقتصاديون الجدد أبداً، وإنما هو شيء قديم ومعروف فعله هذا الرجل الصالح من قبلِنا، فعله هذا الرجل الصالح الذي قسَّم دخل بستانه إلى هذه الثلاثة أقسام.

فإذاً تقسيم المدخول إلى أقسام معينة يُصرف كل قسم في مصرف معين لا شك أنه من الحكمة، وبُعد النظر، وحسن التصرف، وهذا شيء مطلوب شرعاً.

لا بد من رعاية المال.

الفائدة السابعة: أن الإنسان عليه أن يرعى ماله: ولذلك قال الرجل: (وأرد فيها ثلثاً) فالمزرعة والبستان تحتاج إلى نفقة؛ قيمة بذور، أجرة عمال، ونحو ذلك من الأشياء، وهذه النفقة قد أخذها هذا الرجل من الغلة التي تعود عليه لإصلاح ماله وتنميته والقيام عليه، وهذا من الحكمة أيضاً.

(الشخص الذي لم يعرف اسمه ينادى بـ (عبد الله).

وثامناً في هذه القصة: أن الإنسان إذا لم يعرف اسم شخص فإنه يناديه: بعبد الله: إذا أردت أن تنادي شخصاً في الشارع لسبب من الأسباب، أو في محل وأنت لا تعرف اسمه فلا تقل يا.

بعض الناس يقول: يا.

بدون شيء؛ وهذا من قلة الأدب، أو يقول: أنت يا هاء؛ وهذا أيضاً ليس من الأدب، فما هو الأدب الشرعي في هذه الحالة؟ الأدب الشرعي كما ورد في عدد من الأحاديث: أن ينادَى بعبد الله، فيقال: يا عبد الله، وهو فعلاً عبدٌ لله، فأنت صادق في إطلاق هذا الاسم عليه لأنه عبدٌ لله، وبعد ذلك يمكن سؤاله عن اسمه: (يا عبد الله! ما اسمك؟ قال: فلان).

رفع الحرج في سؤال الشخص عن اسمه

وفيه أنه لا حرج شرعاً مطلقاً في سؤال الشخص عن اسمه بهذه الطريقة: (يا عبد الله! ما اسمك؟) فأجابه.

وأنه لا حرج على الإنسان أن يسأل السائل عن اسمه لماذا يسأله عن اسمه، فيقول له: (لِمَ تسألني عن اسمي؟) كما فعل هذا الرجل.

الإخبار بالكرامة مع عدم أمن الفتنة

الفائدة العاشرة: أنه لا بأس بإخبار الشخص عن كرامة الله له إذا كان يؤمن عليه من الفتنة: فمن باب البشارة يقال له: حصل كذا وكذا من الأشياء الصالحة، أو النعم، أو الكرامات التي أكرمه الله بها.

الأصل والأفضل إخفاء الأعمال الصالحة

الفائدة الحادية عشرة: أن على الإنسان أن يخفي عمله الصالح: وألا يجاهر به، وألا يعرضه للبطلان والحبوط بالرياء والسمعة.

والفرق بين الرياء والسمعة: أن الإنسان يفعل العمل أمام الناس ليراه الناس، هذا الرياء.

السمعة: أن يتحدث الإنسان عن أعماله الصالحة، العبادات مثلاً ليسمعه الناس؛ كلا هذين الأمرين خطير جداً ويُبطل العمل، والله يقول يوم القيامة للعبد هذا: (اذهب خذ أجرك من الذين راءيتهم، أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملاً أشرك معي فيه أحد غيري تركته وشركه).

فإذاً إخفاء الأعمال مطلوب.

ولكن الإنسان إذا اضطر إلى الإجابة عن شيء معين تطييباً لخاطر شخص، أو أن يُقتدى به فلا بأس أن يُخبِر عن عمله الصالح، ما دام لا يقصد الرياء والسمعة واحتيج إلى ذلك، دعت الحاجة إليه، لا بأس أن يُخبِر بما عمل إذا كان هناك مصلحة شرعية في هذا العمل.

جواز التحديث عن أخبار من قبلنا

وفي هذا الحديث أيضاً من الفوائد: التحديث عن أخبار من قبلَنا حتى يكون في ذلك عبرة لنا وقدوة: - وهكذا دائماً دأب الصالحين الاقتداء بمن قبلَهم: { لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٌ } [يوسف: ١١١]،{ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ } [الأنعام: ٩٠].

أسأل الله وحده أن يجعلنا من عباده المنفقين في سبيله وأن يفتح

لنا أبواب السماء وأن يجعل نفقاتنا في سبيلة وابتغاء مرضاته.

إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

* * *

[من مفاتيح الرزق تفريغ القلب لعبادة الله سبحانه]

(أحبتي في الله)

إن من مفاتيح الرزق في الدنيا التعبد الحق لله عز وجل وذلك أن تعبد الله بقلب فارغ عما سواه، لا تعبد ربك وأنت تفكر في غيره، روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم: تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسد فقرك**» حديث صحيح. والتفرغ المطلوب أيها الأحبة لا يعني ترك كسب الرزق فيصير العبد عالةً على غيره، بل ذلك بأن يفرغ العبد قلبه أثناء العبادة عما سواه، فمثلاً الصلاة، (كما سنذكر إن شاء الله) لا تكن من الذين يصلون بأجسادهم وقلوبهم تحلق يميناً وشمالاً.

(أحبتي في الله)

العبودية الصادقة تسمو بها الروح، وتتهذب فيها غرائز العبد وشهواته، ويترجح جانب الخير على جانب الشر، ويتجلى وقوف العبد بين يدي ربه واستحضار علمه وعظمته وإحاطته.

(أحبتي في الله)

إن العبودية هي أعظم ما يحصله الإنسان في هذه الحياة؛ لتكون وسيلته إلى السعادة ورضا الله وبلوغ جنته ودار رضوانه، وفي الحديث القدسي: (يابن آدم! تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك) أخرجه ابن ماجة بسندٍ صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ.

القلب إذا ذاق طعم العبادة والإخلاص لم يكن عنده

شيءٌ قط أحلى من ذلك ولا ألذ ولا أمتع، يقول ﷺ: «ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ نبياً ورسولاً».

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾} [البقرة: ١٨٦].

* * *

أمور تعين على تحقيق العبودية

أيها الموحدون: إن مما يعين على تحقيق العبودية وإحسان العبادة حضور القلب، وإخلاص النية، وتحديث القلب وتذكيره بالتعبد لله في حال العبادة وخارجها، وهذا التذكير نهرٌ يمد القلب باللين والرقة والخشوع حتى لا يشح ماؤه، ولا يصيبه القسوة عياذاً بالله.

أيها المسلمون: ولكل عبادة تهيؤ يناسبها، فمن التهيؤ للصلاة حسن الاستعداد من إسباغ الوضوء، والتبكير إلى المسجد، والمشي بسكينة ووقار، يقارنه تهيؤ نفسي ومعالجة قلبية.

ومن التهيؤ للحج والعمرة رد الأمانات والمظالم إلى أهلها، وتحري النفقة الحلال، واختيار الرفقة الصالحة، ورعاية آداب السفر، وغير ذلك مما يعين على تحقيق المقصود من العبادة.

كما ينبغي في كل عبادة الابتعاد عما يشوش القلب، فينخلع القلب عن علائق الدنيا وينجذب بكليته إلى ربه ومولاه.

ومما ينبغي أن يعلم أن ربنا جل شأنه لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، وفي الحديث القدسي: (يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً) ومع غناه سبحانه فإنه يحب المتقين، والمحسنين، والصابرين، والتوابين والمتطهرين.

* * *

من ثمرات العبادة
التي يؤديها المسلم لربه

منها اطمئنان قلبه واستقامة جوارحه، وهو ما يُكسب المرء سعادة الدنيا، وهي عاجل نصيبه من الخير، الذي ليس آخره ما نشهده من استقرار نفسي واجتماعي في حياة المسلمين الملتزمين بهدي الإسلام،

فهو ثمرة من ثمرات الطاعة والإيمان: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} [النحل: ٩٧].

وفي المقابل فإن ما تشهده بعض المجتمعات من جرائم اجتماعية وأمراض نفسية وحالات اكتئاب أدت إلى نسب مرتفعة ومقلقة في الانتحار [١]، إنما هو ثمن عادل تدفعه البشرية جزاءً وفاقاً لتنكبها هدي الله وإعراضها عنه{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾} [طه: ١٢٣ - ١٢٤].

لكن الجزاء الأكبر الذي يحوزه المؤمن - بعبادته لربه - هو جنة الله ورضوانه: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾} [غافر: ٣٩ - ٤٠].

* * *

العبادة والأخلاق

(أحبتي في الله)

إن من أهم ما بعث الله الأنبياء من أجله؛ تزكية عباده وتحليتهم بالخُلق الحسن والسلوك الأقوم، وقد امتن الله على البشرية بمحمد ﷺ الذي دعا إلى تزكية نفوسهم وخلوصها من عيوبها وآفاتها: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤].

(١) تشير إحصائية منظمة الصحة العالمية - التي صدرت في اليوم العالمي لمنع الانتحار والاهتمام بالصحة العقلية في العاشر من شهر سبتمبر من العام ٢٠٠٦م - إلى أن عشرين مليون شخص يحاولون الانتحار سنوياً، وأن الذين ينجحون ويموتون فعلياً منتحرين يربو على مليون شخص سنوياً.

فتزكية النفوس بالأخلاق الفاضلة هدف رئيسي في بعثة الأنبياء، ومنهم محمد ﷺ القائل: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**» [(١)].

وقد قدم ﷺ القدوة الحسنة لأصحابه حين تمثل جميل الأخلاق وصفات الكمال، ممتثلاً ما يوحي الله إليه في القرآن، فكان في خُلقه كما وصفه ربه: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾} [القلم: ٤]، وصادقت على هذا الوصف زوجه عائشة فقالت: (كان خلقه القرآن) [(٢)]، وأكده صاحبه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بقوله: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**» [(٣)].

إن الأهمية البالغة للأخلاق جعلت النبي ﷺ يربط خيرية المسلم عند الله بحسن الخلق الذي يثقل في الميزان حسنات المؤمن ويحببه إلى الله، فقد قال ﷺ: «**ما شيءٌ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء**» [(٤)]، فحسن الخلق يحسب للعبد في ميزانه بمثابة عبادتي الصوم والقيام لله في الليل، وهما من أفضل العبادات وأرفعها في ميزان المسلم، يقول ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**» [(٥)].

- يقول الإمام ابن الجوزي في التبصرة -

يا هذا لو صحت منك العزيمة أوقعت في جيش الهوى هزيمة، إن في البدن مضغة إذا صلحت صلح البدن وإذا فسدت فسد البدن ألا وهي القلب، يا هذا متى حصل الفساد في رأي الملك تشتت الأعوان، ومتى رمي القذر في فوهة النهر أثر في المشارع.

يا هذا إن أردت لقاءنا في حضرة القدس، واشتاق سمعك إلى نغمات

(١) أخرجه أحمد ح (٨٧٢٩) واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد ح (٢٧٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥).
(٢) أخرجه أحمد ح (٢٤٠٨٠).
(٣) أخرجه البخاري ح (٣٥٥٩)، ومسلم ح (٢٣٢١).
(٤) أخرجه الترمذي ح (٢٠٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ح (٢٦٤١).
(٥) أخرجه أبو داود ح (٤٧٩٨)، وأحمد ح (٢٤٤٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح (٢٦٤٣).

الأنس، فصم عن لذات النفس وشهوات الحس، واصبر على قطع مفاوز الحسن واستأنس ببثك في بيت الوجد، واقض نهار المنى بمحادثة الفكر.

واقطع أمل الهوى بقهر العزم، واقرع فضول الكلام بسوط الصمت.

وأقم على طرف طرفك حاجب الغض، وانبذ إلى كلب الشهوات كسر الصبر.

وفرغ دار عزلتك من شواغل القلب، فإذا سمعت ضجيج محبوس النفس يستغيث من سجن الزهد لشدة الحصر فصح.

يا صاح اصبر على ضيق الحبس، لعلك تخرج إلى رياض اجعلني على خزائن الأرض.

(وقد صمت عن لذات دهري كلها.

ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي)

(انتهى من التبصرة)

* * *

[من أسباب تزكية النفس]

تلاوة كتاب الله

السبب الأول: تلاوة كتاب الله الكريم: أعظم علاج لهذه النفوس، وأعظم دواء لهذه القلوب، يقول الله عز وجل: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾} [يونس: ٥٧ - ٥٨].

هذا هو العلاج الرباني والدواء الإلهي لأمراض النفوس، كتاب الله، ويوم أعرضت الأمة عن كتاب الله مرضت وتدهورت، بل ماتت إلا من رحم الله، تصور أنك إذا قرأت القرآن شافى الله قلبك ونفسك، أجل علينا أيها الإخوة بالعودة الصادقة إلى كتاب الله.

أولاً: قراءة القرآن بالتجويد والترتيل؛ لأن الله أنزل القرآن هكذا، لا يقرأ كما تقرأ الصحيفة لا.

لا بد أن تقرأ القرآن بالترتيل، يقول الله: {وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا} [المزمل: ٤]، لا بد من الترتيل، ويقول ابن الجزري في منظومته:

والأخذ بالتجويد حتم لازم ::: من لم يجود القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا ::: وهكذا منه إلينا وصلا
وهو أيضاً حلية التلاوة ::: وزينة الأداء والقراءة

الآن إذا قرأ رجل بتجويد، وقرأ آخر بدون تجويد، ما رأيكم بالقراءتين؟ ومعنى تجويد أي: تحسين وضبط.

عندما تقول للعامل وهو يبني لك جداراً، تقول: جوِّد البناء، جوِّد المكان، أي: أتقن، كذلك القرآن هو أولى بالإتقان، وأولى بالتجويد، فأولاً: يجب أن تعود إلى القرآن عن طريق شيخ، والحمد لله لقد قامت الحجة على العباد، ما من مسجد إلا وفيه عالم يدرس القرآن للأطفال والكبار، قالوا: الكبار مشغولون، نقول: القرآن ما أنزل لمخاطبة الصغار - يا إخواني - القرآن هذا للأمة كلها كبيرها وصغيرها، يجب أن يجلس الكبير والصغير والشيخ والطفل كلهم عند ركب العلماء لتعلم القرآن، وهل لك عمل غير كلام الله؟ أي: ما تتجرد أن تكون مشغولاً بالقرآن، مشغول بالجلوس في الدكاكين وفي مكاتب العقار، وفي الشوارع، وعلى رءوس الطرقات، مشغول بمتابعة الأخبار والمباريات، هل هذا شغل؟ أشغل نفسك بكلام الله، إنها والله مصيبة على الأمة، أن تعزف عن القرآن.

فمرضت النفوس بأسباب عدم التداوي بالقرآن الكريم، ولذا نقول لكل مسلم من الآن: برمج أيامك ووقتك، بين المغرب والعشاء، لا تشتغل بعمل، ولا تذهب إلى وليمة ولا تذهب إلى سوق ولا إلى مكان إلا في المسجد، ابدأ بالحفظ؛ لأن الله عز وجل أثنى على الذين يحفظون القرآن، قال الله عز وجل: {بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ} [العنكبوت: ٤٩]، اللهم اجعلنا وإياكم منهم.

وأشراف الأمة هم حفظة القرآن الكريم، ومن حفظ القرآن فقد استدرج النبوة غير أنه لا يوحى إليه، والله أثنى على القراء في قوله تبارك وتعالى: { إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا

رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾} [فاطر: ٢٩]، كل تجارة معرضة للربح والخسارة إلا التجارة مع الله لن تبور، ما هي التجارة؟ قال عز وجل:{ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾} [فاطر: ٣٠]، قراءةً وحفظاً وعملاً وتطبيقاً ودعوةً.

يقول لي أحد المسئولين في أحد السجون: كان عندهم سجين محكوم عليه بعشرات السنين في قضية مخدرات، يقول: وفشلت كل وسائل التوجيه والضرب والتعزير له عن السلوك السيئ في السجن فهو شرير، ويضاف - أيضاً - فله سنوات على ما هو فيه ولا يبالي، يقول: ويأتي أحد الدعاة، ويتكلم مع السجناء، ويدل الناس على القرآن الكريم، ثم يأتي هذا المسجون بنفسه ويسأل قال: أنا أسمع أن هناك مكرمة للذي يحفظ القرآن أنه يسقط عليه من سنوات السجن، هل هذا ينطبق عليَّ؟ قال: لا أدري نسأل لك، وسأل آمن السجن، قال: نعم.

ينطبق عليه.

قال: إذاً أنا بدأت أحفظ، يقول: ويحفظ القرآن كاملاً عن ظهر قلب، وهو صاحب مخدرات، يقول: وتستقيم أخلاقه وتتغير حياته، ولم يعد ذلك الشرير، ولا ذلك السيئ، وإنما ذلك الرجل الهادئ، لا نراه إلا والمصحف في يده، لا نراه إلا قواماً في الليل، ويتغير كل الذين كانوا معه في غرفته إلى طيبين، فقد أثر فيهم، ويقول: أيام وليال وتأتي المكرمة ويخرج من السجن، وكان قد دخل في السجن في قضية أخرى، وكلما أخرجوه عاد، يقول: في آخر مرة عندما خرج وهو حافظ القرآن، خرج داعية إلى الله، واستقامت أموره، وصلحت أحواله، وهو الآن من أحسن الناس ديناً بسبب القرآن.

أول شيء وأول سبب وأعظم سبب لتزكية النفس القرآن، وستبقى النفس هينة وستبقى النفس مريضة كلما ابتعدت عن القرآن الكريم، ولذا نقول قولاً - أيها الإخوة -: اعمروا حياتكم بكتاب الله، ولا يمر عليكم يوم إلا بتلاوة من القرآن، واقرأوا في مجالسكم ومع أولادكم شيئاً من القرآن، واسمعوا إذاعة القرآن الكريم، واسمعوا أشرطة القرآن، واجعلوا أنفسكم

دائماً مع القرآن، هذا السبب الأول.

دراسة سنة النبي ﷺ

السبب الثاني: من أسباب تزكية النفس، دراسة سنة النبي ﷺ : فإنها المكملة للقرآن والموضحة له، وهي أحد الوحيين، وهي التي فصلت لنا كتاب الله، وما جاء ﷺ بشيء منها من عنده، وإنما هو من عند الله:{إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾} [النجم: ٤].

وما ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه، فاجعل لك موعد مع السنة، اختر كتاباً من كتب السنة، وليكن بلوغ المرام، أو رياض الصالحين، واقرأ يومياً حديثاً واحداً، ثم أتبعه على زوجتك، وعلى أولادك، ثم بالتليفون كلم به زميلك، ثم احفظ في كل يوم حديثاً، كم يكون لديك بعد سنة؟ تكون عالماً من العلماء، إذا عندك ثلاثمائة وستون حديثاً، خلال سنة واحدة، هذا علاج للنفس، لكن القرآن مرفوض والسنة مرفوضة، والنفوس مريضة ومتى تتعالج، أردنا أن نعالجها فوضعنا (الستلايتات) فماتت، كان فيها بصيص، فجاء هذا وقضى على البقية الباقية، إن علاج النفوس في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ.

كثرة ذكر الله عز وجل

الدواء الثالث من الأدوية، التي تعالج النفس وتزكيها: كثرة ذكر الله: وهذا كالإجماع عليه بين الأمة، يقول ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى في الجزء العاشر في السلوك، وقد سئل عن أفضل عمل قال: أما أفضل عمل فهو كالإجماع بين الأمة أنه ذكر الله، ويستشهدون بحديث النبي ﷺ في السنن: (ألا أدلكم على أفضل الأعمال عند ربكم، وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم، قلنا: بلى يا رسول الله! قال: ذكر الله عز وجل).

ويروي الترمذي عن عبد الله بن بشر وذكره صاحب جامع العلوم والحكم وأضافه إلى الأربعين النووية، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ.

وقال: (يا رسول الله! كثرت عليّ شرائع الدين، فأخبرني بعمل أتشبث

به وأوجز - يقول: لا تكثر عليّ، ولكني سأمسك العمل هذا، فقال له ﷺ في جواب يدل على نبوته، بل من دلائل نبوته أنه أوتي جوامع الكلم - قال له: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله) لأن اللسان الرطب من ذكر الله لا يمكن أن يعمل المعاصي، هل الزاني يزني ويذكر الله؟! هل شارب الخمر إذا شرب الخمر يذكر الله؟! الذي يشرب الدخان ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم! الذين ينظر إلى الأفلام هل يمكن أن يذكر الله؟ لا.

من الذي يعمل هذه الجرائم والمعاصي؟ الغافل عن الله، لكن من يذكر الله، ورطب لسانه بذكر الله، وعينه تدمع من خشية الله، وقلبه منور بخوف الله، هذا ينجح بإذن الله، ويفوز في الدنيا والآخرة.

فكيف أذكر الله؟ يقول الله تبارك وتعالى:{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: ١٥٢]، والله يمتدح الذاكرين فيقول:{ ٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٣٥]، ويقول:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ } [الأحزاب: ٢١]، ما هو الذكر؟ قال العلماء: الذكر خمسة أنواع: النوع الأول: ذكر الله عز وجل عند ورود أمره، إذا ورد عليك أمر الله وقمت بتنفيذ أمره فأنت ذاكر حقيقي، لأن الله يقول:{وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ } [طه: ١٤]، لكن عندما تنام وهو يؤذن وتقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر وأنت نائم، فأنت ذاكر صوري، لا.

إذا سمعت أمر الله فانهض، هذا الذكر الحقيقي، ذكر الله عند ورود أمره.

النوع الثاني: ذكر الله عند ورود نهيه، إذا كنت في الشارع ورأيت امرأة متبرجة فاتنة، وذكرت الله وخوفك من الله، وذكرت أن الله مطلع عليك، وغضضت بصرك، هذا الذكر الحقيقي، أنت ذاكر لله:{ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ }
[آل عمران: ١٣٥ - ١٣٦].

هذا أهم شيء، أن تذكر الله عند الأمر فتقوم به، وأن تذكر الله عند النهي فتتركه.

النوع الثالث: ذكر الله في الأحوال والمناسبات: فإنه ما من حالة إلا ولها ذكر من حين أن تستيقظ حتى تنام، إذا استيقظت تفتح عينك وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور.

وعندما تدخل الحمام، قبل أن تدخل، تقدم اليسار وتقول: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث، ومن الرجس النجس الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا أكملت الوضوء وقضاء الحاجة وخرجت، تقدم اليمنى وتقول: غفرانك، الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني.

وكذلك عند دخول المسجد والخروج منه، وأذكار النوم وأذكار اليقظة، وأذكار الأكل، وأذكار النكاح، وأذكار لبس الثوب، وأذكار نزول المطر، وكل شيء له ذكر.

وحالة الذكر يجب عليك أن تعرفها، وتحفظها وتقولها وهذا معنى حديث عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ: (كان يذكر الله في سائر أحواله) أي: في كل أحواله، وفي ملابساته، التي كانت تلابسه خلال حياته.

النوع الرابع: الذكر العددي الذي شرعه الشارع وحدد فيه عدداً معيناً، مثل قوله ﷺ والحديث في البخاري: (من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كتب الله له مائة حسنة وحط عنه مائة خطيئة، وكانت حرزاً له من الشيطان، وكان كمن أعتق عشر رقاب، ولم يأت أحد بأحسن أو أفضل مما جاء به إلا رجل قال مثلما قال أو زاد).

لابد أن تأتي بالمائة بالضبط؛ لأن العدد هنا مقصود، ما دام حدد العدد في الشرع، فإن العدد مراد، وإذا زدت فلا بأس، لماذا؟ لأنه في الحديث قال: (أو زاد) لكن إذا لم تأت زيادة فحدد مثل حديث مسلم: (ومن قال عقب الصلاة: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين، والله أكبر ثلاثاً وثلاثين، ثم قال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له

الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفر الله له ذنوبه ولو كانت كزبد البحر).

انظروا الجزاء - يا إخواني - والعمل بسيط، العمل لا يتجاوز دقيقتين، لكن الجزاء أن يغفر الله ذنبك ولو كان كزبد البحر، لكن الشيطان يحرص على ألا تقولها، فيذكرك بشيء حيث تخرج قبل أن تقولها، أو تقولها بغير عدد، ما إن ينصرف الإنسان من الصلاة حتى يبدأ يقول: كذا، وهذا ليس تسبيحاً، هذه بسبسة، التسبيح: سبحان الله والحمد لله والله أكبر، سبحان الله والحمد لله والله أكبر، سبحان الله والحمد لله والله أكبر، وإذا قاطعك أحد وشغلك لا تنشغل به، تعد هذا كالذهب، والله أعظم من الذهب، والله لسبحان الله هذه أعظم من الدنيا وما عليها، إذا كانت تملأ ما بين السماء والأرض كيف تضيعها؟ لكن بعضهم يسبح ولا يعد، ولا يعلم أنهن مستنطقات، فعليك أن تعد وتحصر حتى تأتي بتسعة وتسعين، ثم تقول لا إله إلا الله، وترجو الله أن يقبل منك، الآن إذا استلمت الراتب، تعده أولا تعده؟ تعده وقلبك مفتح وعيونك مركزة، وتفركها، لئلا يكون هناك نقص وإذا أتى شخص وحياك، أو سلم عليك وأنت تعد تقول: السلام عليكم، واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة عشر ستة عشر ثمانية عشر، لماذا؟ لأن هذه فلوس، لا يمكن أن تعدها وأنت لاهٍ عنها، لأنها حلت في قلبك.

تذكر كتب العلم: أن سليمان بن داود كان على البساط، والله قد سخر له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب، غدوها شهر ورواحها شهر، أي: مسافة شهر تأخذها في غدوة، ومسافة شهر تأخذها في روحة، فكان في رحلة ومعه أهله وحاشيته، فمر على قرية وحجب البساط الشمس عن الأرض، فنظر فلاح في مزرعته، يرى الشمس فلا يراها، وإذا بالريح تحمل البساط وعليه أسرة سليمان، فقال: سبحان الله! لقد أوتي آل داود ملكاً كبيراً، فسمعه سليمان من فوق فأمر الريح أن تنزل وأتى إليه، وقال: ماذا قلت يا أخي؟ قال: ما قلت شيئاً، خاف، قال: بل قلت كلمة، قال: لقد قلت: سبحان الله! لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً، قال: والذي نفسي بيده، إن الكلمة التي قلتها أعظم مما أوتي آل داود.

سبحان الله: تنزيه لله، تعظيم لله، وما تأتي سبحان الله إلا بعد شيء

يوصف به الله، وهو لا يليق به، فيقول: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا} [الإسراء: ٩٣]، أجل ذكر الله العددي مطلوب بعدده.

الخامس: ذكر الله في كل وقت وهو الذكر المطلق: أن تقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما شاء الله، لا إله إلا الله، سبحان الله، فإذا قلت ذلك لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله، يقول الله في الحديث القدسي: «أنا مع عبدي ما ذكرني أو تحركت بي شفتاه» كلما ذكرت الله، الله معك.

(أنا مع عبدي ما ذكرني، أو تحركت بي شفتاه، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة، وكنت إليه بكل خير أسرع).

هذا معنى ذكر الله الذي هو شفاء للقلوب والنفوس، وانظروا واستقرءوا دائماً الذي نفسه مريضة لا يحب ذكر الله، بعضهم يمر عليه شهر أو شهران، ما قال: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، والذي نفسه حية، وقلبه حي وصحيح، لا يفتر عن ذكر الله.

وقد جاء في الحديث: «مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله، كمثل الحي والميت»، الحي يذكر الله، والميت لا يذكر الله، فهذا هو سبب رئيسي مثل السببين الأولين.

الأول: تلاوة القرآن وتعلمه وحفظه، وتطبيقه، والاستشفاء به.

الثاني: تعلم السنة، والانصياع لها والتمسك بها.

الثالث: ذكر الله عز وجل.

المحافظة على الطاعات والابتعاد عن المعاصي وقرناء السوء

الرابع: من وسائل وأسباب تزكية النفس، المحافظة على الطاعات كلها، وفي مقدمتها الصلوات الخمس.

الخامس: البعد عن المعاصي والذنوب، صغيرها ودقيقها، وجليلها؛ لأن هذه حماية للنفس من المرض.

السادس: الابتعاد عن قرناء السوء؛ لأن قرناء السوء، يدنسون النفس.

السابع: الحرص على الرفقة الصالحة والزملاء الصالحين، الذين يعينونك على طاعة الله، ويذكرونك إذا غفلت، هؤلاء من أسباب علاج نفسك وتزكيتها.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يزكي نفوسنا، وأن يؤتيها تقواها.

اللهم آتي نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، وقبل الإجابة على الأسئلة وردني تصحيح من بعض الإخوة، يقول فيه: أنت قلت: إنه لم يرد في القرآن ثناء على الجسد، والله يقول: {وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ} [البقرة: ٢٤٧]، وهذا الأخ الكريم معه حق ولكن ما فاتتني هذه، وقد اطلعت في التفسير على أن الثناء على الجسم في هذه الآية لطالوت كان تبعاً لنعمة العلم والنبوة والرسالة، فالجسم هنا مثنى عليه بالتبعية لا بالأصالة، وهذا ليس فيه شيء حتى في السنة، الرسول ﷺ يقول: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير». لكن الذي لم يرد عليه ثناء في القرآن ولا في السنة هو: الجسد المجرد من الدين ومن العلم، أما هنا الجسد جاء الثناء عليه بعد الثناء عليه بالعلم، فإذا آتاه الله العلم والنبوة وأعطاه جسداً قوياً يستعمله في طاعة الله، ويستعمله بالجهاد في سبيل الله، فهذا نعم الجسد، الذي يصرف في طاعة الله عز وجل [١].

نسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا وأن يرزقنا وإياكم الحلال الطيب إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

* * *

(١) أ.هـ/ من كتابي دروس في مسجد مالك الملك طبعة المنار ص ١٩٨.

[من مفاتيح الرزق: المتابعة بين الحج والعمرة]

- أحبتي في الله -

إن من أعظم الأسباب في زيادة الرزق في الدنيا: المتابعة بين الحج والعمرة، وذلك بزيارة البيت الحرام كلما سنحت الفرصة سواء كان ذلك لحج أو عمرة، وهذا أمر قد لا يتفطن له كثيرون: أنهم إذا ذهبوا إلى الحج والعمرة كان ذلك سبباً بإذن الله لزيادة الرزق والمال، والله على كل شيء قدير وفضله واسع.

روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«تابعوا بين الحج والعمرة»** وفي رواية: **«أديموا الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة»**.

أخرجه أحمد ٣٨٧/١، والترمذي (٨١٠)، من حديث ابن مسعود، رضي الله عنه. وانظر صحيح جامع الترمذي (٦٥٠)

(أحبتي في الله)

اعلموا - عباد الله - أنَّ العبادةَ حقّ لربّ العالمين على المكلَّفين، وفرضٌ محتوم على الإنس والجن، قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦} [الذاريات: ٥٦].

والعبادةُ أعظمُ كرامةٍ يُكرم الله بها العابِدين، ويرفع بها المتقين، بالعبادة تستنير القلوب، وتتهذَّب النفوس، وتتقوّم الأخلاق، وتصُلح العقول، وتزكو الأعمال، ويرضى الربّ جل وعلا، وتُعمَر الحياة بالصلاح والإصلاح، وتُرفَع الدرجاتُ في الجنات، وتُكفَّر السيئات، وتُضاعف الحسنات.

ومن رحمة الله بنا وفضلِه علينَا أن أرسلَ إلينا أفضلَ خلقِه محمدًا، يبيِّن لنا ما يرضى به ربُّنا عنّا من الأقوال والأعمال والاعتقاد، ويحذِّرنا مما يغضب ربَّنا علينا من الأقوال والأفعال والاعتقاد.

قال تبارك وتعالى: {كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟

تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥١ - ١٥٢].

ولولا أنَّ الله أرسل الرسلَ وأنزل الكتبَ لكان بنو آدم أضلَّ من الأنعام، ولكنَّ الله رحم العالمين، فشرع الدينَ، وفصَّل كلَّ شيء، وأقام معالمَ الصراط المستقيم، فاهتدى السعَداء، وضلَّ على بيِّنة الأشقياء.

فمن رحمةِ الله وحكمته وكمالِ علمه أنَّ الله تعالى شرعَ العبادةَ لإصلاح النفس البشرية، فشرع العباداتِ المتنوِّعة؛ الصلاة والزكاة والصيام والحجّ وغير ذلك؛ لتتكامل تربيةُ الإنسان وتطهيرُه من جميع الوجوه، قال تبارك وتعالى: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: ٦]، والحجُّ ركنٌ من أركان الإسلام، جمع الله فيه العبادةَ القلبية بالإخلاص وغيره، وجمعَ الله فيه العبادةَ المالية والقوليةَ والفعليةَ. والحجُّ وزمنُه تجتمع فيه شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله أعظمُ ركن في الإسلام، وتجتمعُ فيه الصلاة وإنفاق المال والصيام لمن لم يجد الهدي والأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر والصبرُ والحِلم والشفقة والرحمة والتعليم للخير وجهادُ النفس ونحو ذلك مما فرضه الله عز وجل، ويجتمع فيه كذلك اجتنابُ المحرمات.

والحجُّ آية من آيات الله العظمَى على أنَّ مَا جاءَ به محمَّد هو الدِّين الحقّ، فلا تقدِر أيّ قوةٍ في الأرض أن تجمَع الحجَّاج كلَّ عام من أطراف الأرض ومن جميع أجناس البشر وطبقات المجتمعات وأصنافِ الناس بقلوبٍ مملوءة بالشوق والمحبة، يتلذَّذون بالمشقَّات في الأسفار، ويفرَحونَ بمفارقةِ الأهلِ والأصحابِ والأوطان، ويحسَّون أن ساعات الحجّ أسعدُ ساعات العمر، ويعظِّمون مشاعرَ الحجّ، وينفقون الأموال للحج بسخاوة نفس وطيبة قلب، فلا يقدر على ذلك إلا الله عز اسمه وتباركت صفاته، وهو القائلُ لخليله إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾} [الحج: ٢٧ - ٢٨].

ذكر المفسرون ابنُ جرير وابن كثير وغيرهما عن ابن عباس أنَّ الله

لما أمرَ خليلَه إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام أن يؤذِّن في الناس بالحج قال: يا ربِّ، كيف أبلِّغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟! فقال: نادِ وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، وقيل: على الحِجْر، وقيل: على الصفا، وقيل: على أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس، إن ربَّكم قد اتخذ بيتًا فحجُّوه، فيقال: إن الجبالَ تواضعت حتى بلغ الصوتُ أرجاءَ الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كلُّ شيء سمعه من حجر ومدرٍ وشجر، ومن كتب الله أنه يحجُّ إلى يوم القيامة [1]. لبيك اللهم لبيك.

أيها المسلم، أخلِص النيةَ لله تعالى في حجِّك، واقتدِ بسيِّد المرسلين في أعمالِ الحجِّ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**خُذوا عني مناسككم**» [2]، ليكونَ حجّك مبرورًا وسعيُك مشكورًا، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» رواه البخاري ومسلم [3]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا أنَّ رسول الله قال: «**العمرةُ إلى العمرةِ كفارةٌ لما بينهما، والحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة**» رواه البخاري ومسلم [4]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ: يا رسول الله، نرى الجهادَ أفضلَ العمل، أفلا نجاهد؟! فقال: «**ولكن أفضلُ الجهاد حجٌّ مبرور**» رواه البخاري [5].

والحجَّ المبرور هو الذي أخلصَ صاحبُه النيةَ فيه لله تعالى، وأدَّى مناسكَه على هدي رسول الله، واجتنبَ المعاصي وأذيَّة المسلمين، ولم يجامِع أهلَه في وقتٍ لا يحلُّ له، وحفظ لسانه من اللغو والباطل، وكانت نفقتُه حلالاً، وأنفقَ في الخير بقدر ما يوفِّقه الله، فإذا جمَع الحجُّ هذه الصفاتِ كان مبرورًا مبرورًا.

---

(١) هو عند ابن جرير في تفسيره (١٧/ ١٤٤)، وأخرجه أيضًا الحاكم (٢/٣٨٨، ٣٨٩) وصححه، والبيهقي في سننه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٢) لابن أبي شيبة وابن منيع وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه مسلم في الحج (١٢٩٧) من حديث جابر رضي الله عنهما بلفظ: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه».

(٣) أخرجه البخاري في الحج (١٥٢١)، ومسلم في الحج (١٣٥٠).

(٤) أخرجه البخاري في الحج (١٧٧٣)، ومسلم في الحج (١٣٤٩).

(٥) أخرجه البخاري في الحج (١٥٢٠).

وعلى الحاجِّ أن يتعلَّم ما يصحّ به حجُّه، ويسألَ عن أحكام الحجّ العلماءَ، ولتحرص - أيها الحاج - أشدَّ الحرص على الإتيان بأركان الحج؛ لأنه لا يصحّ الحجّ إلا بها، وهي الإحرام والمرادُ به الدخول في النسك، والوقوفُ بعرفة وهو أعظم أركان الحج لقوله: «**الحج عرفة**» (١)، وطوافُ الإفاضة، والسعيُ على الأرجح. وعليه أن يقومَ بواجبات الحج، لا يترك منها شيئًا، وواجباتُ الحج: الإحرامُ من الميقات المعتبَر له، والوقوف بعرفة إلى غروب الشمس، والمبيتُ بمزدلفة، والرمي، والحلق أو التقصير، والمبيت بمنى، والهدي لمن يلزمه الهدْي، وطوافُ الوداع.

ويومُ النحر يجتَمع فيه الرميُ لجمرة العقبة والنحر والحلق وطوافُ الإفاضة والسعيُ لمن لم يقدِّم السعيَ في الإفراد والقران، فإذا رمى الحاجُّ جمرةَ العقبة و[قصَّر] أو حلق حلَّ له كلّ ما حرم عليه بالإحرام إلا امرأته، فإذا طافَ بالبيت وسعَى بعدَ الرمي والحلق حلَّ له كلُّ شيء حتى امرأته.

ويستحبُّ للحاجِّ الإكثار من أفعال الخير وكثرةُ التلبية حتى يشرعَ في رمي جمرةِ العقبة. ويُكثر من تلاوة القرآن، ويتضرَّع بالدعاء ولا سيما يوم عرفةَ، فيدعو لنفسه وللمسلمين مما أصابهم من الكربات، يدعو للمسلمين خاصَّتِهم وعامَّتهم وولاتهم وعلمائهم لقول النبي: «**خير الدعاء دعاء عرفة، وخير ما قلتُ أنا والنبيون قبلي يومَ عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**» (٢). ويحفظُ لسانَه من الغيبة والباطل،

(١) أخرجه أحمد (٣٠٩/٤)، وأبو داود في المناسك، باب: من لم يدرك عرفة (١٩٤٩)، والترمذي في الحج، باب: ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج (٨٨٩)، والنسائي في الحج، باب: فرض الوقوف بعرفة (٣٠١٦)، وابن ماجه في المناسك، باب: من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع (٣٠١٥)، قال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح "، وصححه ابن الجارود (٤٦٨)، وابن خزيمة (٢٨٢٢)، وابن حبان (٣٨٩٢)، والحاكم (٤٦٣/١)، وهو في صحيح الترمذي (٧٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب: في دعاء يوم عرفة (٣٥٨٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وقال: " حديث غريب "، وله شواهد من حديث

فقد كان بعضُ السلف إذا أحرَم كأنه حيَّة صمَّاء، لا يتكلم إلا بخير، ولا يخوض فيما لا يعنيه. ويبتعدُ عن المشاجرات والخصومات والمجادلات.
ويواظب المسلمُ على التكبير المقيَّد، ويبدأ وقتُه بعد فجرِ يوم عرفة إلى عصرِ آخر أيامِ التشريق، وللحاجِّ يبدأ بعدَ ظهر يوم العيد إلى عصر آخر أيَّام التشريق، وصفتُه: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

ويستحبُّ للحاجّ وغيرِه المسارعةُ إلى كلّ خير وعمل صالح وبرّ في عشر ذي الحجة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام» يعني أيام العشر، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟! قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرجَ بنفسه ومَاله، فلم يَرجع من ذلك بشيء» رواه البخاري [1].

بسم الله الرحمن الرحيم: {وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤} [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

* * *

[باب فضل الحج والعمرة للإمام البخاري]

١٤٤٧ - حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور».
١٤٤٨ - حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا خالد أخبرنا حبيب بن أبي عمرة عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

علي وأبي هريرة. قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٠٣): " وجملة القول أن الحديث ثابت بمجموع هذه الشواهد، والله أعلم ".
(١) أخرجه البخاري في الجمعة (٩٦٩) بنحوه.

أنها قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: «لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور» [١٧٦٢، ٢٦٣٢، ٢٧٢٠، ٢٧٢١].

[ش (لكن) بضم الكاف خطاب للنسوة وفي رواية بكسر الكاف وألف قبلها والتقدير لكن في حقكن.. (مبرور) مقبول وهو الذي لاخلل فيه].

١٤٤٩ - حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا سيار أبو الحكم قال سمعت أبا حازم قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» [١٧٢٣، ١٧٢٤].

[ش (يرفث) من الرفث وهو الجماع والتعريض به وذكر ما يفحش من القول. (يفسق) يرتكب محرما من المحرمات ويخرج عن طاعة الله عز وجل. (كيوم ولدته أمه) من حيث براءته من الذنوب].

(أحبتى في الله)

إن الدين الإسلامي الذي هدانا الله إلى اعتناقه أعم الأديان سعادة وهناء، وأكثرها ملاءمة للطبائع البشرية، وأعظمها صلاحية للإنسان في كل زمان ومكان، فهو دين العقيدة والإيمان، دين الفضائل والأخلاق، يُحق الحق، ويبطل الباطل، ولو كره الكافرون. {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾} [الصف: ٩].

وإن هذا الدين قد أسس على أركان قوية يشد بعضها بعضاً، وإن من أركانه العظيمة الحج، الذي هو الركن الخامس من أركان الإسلام: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ} [الحج: ٢٧ - ٣٠].

والحج رحلة قدسية مباركة يقضي فيها المؤمن أوقاته في عبادة وذكر ودعاء، وتسمو فيها روحه في عالم من الطهر والصفاء والنقاء، فيعود الحاج من هذا الركن، وقد تطهرت روحه، وهُذبت أخلاقه، وحسنت

معاملته، وغُفرت ذنوبه يقول: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق غُفر له ما تقدم من ذنبه» [الترمذي: ٨١١].

وعندما تتحرك قوافل الحجاج ميممة وجهها شطر البيت الحرام لأداء مناسك الحج، فإنها تستجيب للنداء الخالد، الذي أعلنه أبو الأنبياء - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام: {وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا} [الحج: ٢٧].

وتحقق ما أمرها به نبيها بقوله: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة» [الترمذي: ٨١٠].

وتلهج في حجها بالدعاء الذي علمها نبيها: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

والحج فريضة في العمر مرة، أخرج الترمذي: (٨١٤) بسنده عن علي ابن أبي طالب قال: لما نزلت: {وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران: ٩٧]. قالوا: يا رسول الله، أفي كل عام؟ فسكت، فقالوا: يا رسول الله، في كل عام؟ قال: «لا، ولو قلت نعم لوجبت».

والحج من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى مولاه، أخرج البخاري: (٢٦) بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله سئل أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور».

والحاج يعود بعد حجه وقد تطهر من الآثام، واغتسل من الذنوب والمعاصي إذا أدى حجه بشروطه وأركانه وآدابه، فيبدأ حياة جديدة، ويفتح صفحة ناصعة، ويشرع في أعمال البر والتقوى، ويزاول الأعمال التي ترضي الله سبحانه وتعالى، أخرج مسلم: (١٢١) بسنده عن عمرو بن العاص رضي الله عنه وفيه: فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي قال: ما لك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشترط قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يُغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج

يهدم ما كان قبله».

إخوة الإسلام: وإذا كان ثواب الحج كبيراً وأجره عظيماً، فلا ينبغي لمسلم أن يتقاعس عن أداء هذه الفريضة، ويسوف بها بذريعة أدائها فيما بعد من الأيام والأعوام، فهو لا يدري ما يحدث له، والمستقبل مجهول، والغد غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، بل الواجب عليه أن يتعجل الحج، وأن يبادر لأدائه، فهذا رسول الله يقول: «**تعجلوا الحج - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له**» [أحمد]. وفي رواية لأحمد والبيهقي: «**من أراد الحج فليحج، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الراحلة، وتكون الحاجة**».

فإذا هُيئت لك الأسباب فلا تتقاعس، فلربما أتتك ظروف ومشاغل حالت بينك وبين أداء هذه الفريضة، إذا كنت اليوم صحيح الجسم، خالياً من الارتباطات والمشاكل، تملك المال الذي تنفق، فاغنم هذه الفرصة، فقد لا تعوض، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة - سعة - فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين.

وعلى الحاج أن يلتزم في حجه بالأخلاق الإسلامية الفاضلة من الحلم والأناة وكظم الغيظ، وضبط الأعصاب، وتحمل هفوات الآخرين، وعدم التسبب في إيذاء الآخرين، وقضاء الأوقات في الذكر والعبادة، والابتعاد عن أحاديث اللغو الباطل، والكلام الفارغ، وذلك حتى يسلم له ثواب العبادة، ويكون حجه مبروراً.

سئل الحسن البصري رحمه الله: ما الحج المبرور؟ فقال: أن تعود زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة.

وعلى الإنسان أن يختار في حجه من ماله الطيب الذي لا شبهة فيه من الحرام، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، والمال الحرام يحول دون قبول العمل، ويجر الوبال على صاحبه، فالنفقة الحرام في الحج تضع صاحبها إلى أحط الدركات، وتحول بينه وبين إجابة الدعاء، أما النفقة

الحلال فإنها ترفع صاحبها إلى أعلى الدرجات، وتكون سبباً في قبول عمله.

والنفقة في الحج تعدل النفقة في سبيل الله، أخرج أحمد بإسناد حسن عن بريدة رضي الله عنه قال رسول الله: «**النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف**» [٣٥٥/٥].

فاحرصوا - رحمكم الله - على المال الحلال الذي تحجون فيه، واعلموا أن الحجاج وفد الله، إذا دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم، فكونوا منهم، واسعدوا بلقائهم، واحرصوا على أن يدعوا لكم بالخير تفلحوا.

ذكر المنذري: ١٦٦٠ بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم**»، وفي رواية لأبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله: «**يُغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج**».

فبادروا - رحمكم الله - إلى أداء هذا الركن العظيم، واحرصوا على ذلك، وتعجلوا بهذة الفريضة العظيمة والشعيرة المقدسة يكتب لكم الخير في الدنيا والآخرة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ} [آل عمران: ٩٧].

* * *

من فوائد الحج

أيها الإخوة المسلمون حجاج بيت الله الحرام: لقد دعاكم المولى جل وعلا لحج بيته الحرام لمقاصد كبرى، ومنافع عظمى، ومصالح شتى في الآخرة والأولى، يجمعها عموم قوله تعالى: {لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ} [الحج: ٢٨]، ففي الحج منافع جمة دنيوية وأخروية، أساسها: إعلان التوحيد الخالص لله وحده، فلا أنداد ولا شركاء، في الحج تتجلى وحدة العقيدة ووحدة القصد والهدف والغاية، ووحدة الشعائر والمشاعر، ووحدة القلوب والقوالب، وإنه باستشعار هذه الوحدة الإيمانية يتبين للمسلم الغيور على أوضاع أمته أن الخلاف والفرقة والشتات والتنازع الذي أصاب أمة

الإسلام اليوم؛ إنما هو من عند أنفسها، فجدير بأمة الإسلام التي تمثل في هذا الاجتماع الكبير أعلى صور الوحدة والتضامن والإخاء أن تستمر على ذلك، آخذةً من هذه الحكم السامية شعاراً لها في مستقبل حياتها.

أيها الإخوة: ومن الغايات النبيلة في هذا التجمع الإسلامي الكبير، إشعار المسلم بدوره في الأمة ومكانته في المجتمع، وإدراكه لمسئوليته في الصلاح والإصلاح، فهو لبنة من لبنات المجتمع المسلم يشاطره آلامه وآماله، ويعايشه أفراحه وأتراحه.

ضيوف الرحمن! وفود الملك العلام: الحج موسم عظيم، وفرصة كبرى، ومناسبة عظمى، تتجلى فيها صور المتاجرة مع الله، أرواح صافية، ونفوس نقية، وقلوب مصقولة، وصدور سليمة، واقتفاء لآثار الأنبياء والمرسلين، وما أمس حاجة الأمة الإسلامية اليوم وهي تواجه أعتى التحديات وأفظع المؤامرات، ما أحوجها وهي تتوجه هذه الأيام نحو محورها الذي يجمعها، وتلتف حول راية العقيدة الواحدة التي تتلاشى في ظلها فوارق اللغة والألوان والأجناس والبلدان، ما أحوجها أن تأخذ الدروس والعبر من هذه الفريضة العظيمة وتستيقن يقيناً لا يعتريه شكٌ ولا مراء، أنه لا يلم الشمل، ويجمع القلوب، ويوحد الكلمة إلا الاجتماع على راية واحدة لا ثاني لها، هي راية الإسلام، راية التوحيد والعقيدة على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومنهج السلف الصالح، فلا بد من تنسيق الخطط، والإعداد وتوحيد القوى والعمل الجاد لحل مشكلات المسلمين على ضوء الكتاب والسنة، ولابد أن يعي كل مسلم دوره، ويعمل جاداً بالإسلام وللإسلام، لا سيما قادة المسلمين والزعماء، والدعاة والعلماء، والمعنيون بقضايا التربية والتعليم، والمهتمون بالفكر والرأي والإصلاح من حملة الأقلام، ورجال الإعلام.

- أسأل الله وحده أن يرزقنا من فضلة الواسع الذي لاينضب أبدا وأن يرزقنا حجة يرضى بها عنا.

- اللهم لاتحرمنا الشرب من زمزم ولا من رؤية الكعبة أبدا يارب العالمين إنك ياملانا أرحم الراحمين جواد كريم (آمين).

* * *

[من مفاتيح الرزق - الهجرة في سبيل الله -]

- أحبتي في الله -

إن من أجل مفاتيح الرزق والتوسعة على العبد الهجرة في سبيل الله تبارك وتعالى، قال الله تعالى: {وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً} [النساء: ١٠٠].

ومعنى مراغماً: أي سبباً لإرغام أنف أعداء الله، وكم من رجال هاجروا فأغاظوا أعداء الله تبارك وتعالى، فيحصل هذا مع السعة، وهو السعة في الرزق كما فسرها حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

هجرة لابد منها: وهي التي لا بد منها لكل أحد، هي الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله، وهذه هي الأصل، وهجرة الجسد تابعة لها، ولو لم تحصل هذه الهجرة الثانية، فلن تحصل الهجرة الأولى.

* * *

مبدأ الهجرة ومنتهاها

- أحبتي في الله -

إن الهجرة بالجسد من دار الكفر إلى دار الإسلام وهذه معروفة، والهجرة الأخرى هي هجرة القلب، التي لا بد لكل أحد منها، وهذا هو المعنى المهم جداً، الذي انطوى عليه هذا العنصر، والذي هو أن يُهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبة الله، ومن عبودية غير الله إلى عبودية الله، ومن خوف غير الله إلى خوف الله، ومن رجاء غير الله إلى رجاء الله، ومن التوكل على غير الله إلى التوكل على الله، وهكذا. وهذا معنى قوله تعالى: {فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ} [الذاريات: ٥٠].

الفرار من الله إليه: قال ابن القيم رحمه الله: (وتحت (من) و(إلى) في هذا سر عظيم من أسرار التوحيد، فإن الفرار إلى الله سبحانه وتعالى يتضمن إفراده بالطلب والعبودية، كيف تهاجر وتفر من غيره إليه؟ إذا جردت الإخلاص وجردت العبودية، بحيث تكون العبودية لواحد وهو الله

عز وجل، ومن تصور هذا المفهوم سهل عليه أن يفهم معنى حديث: «**وأعوذ بك منك**» وسهل عليه أن يفهم معنى حديث: «**لا ملجأ منك إلا إليك**».

وهذه الكلمات عندما يقرؤها الإمام في دعاء التراويح لا يفهمها إلا قليل من الناس، وبالنسبة لكثير منهم تكون طلاسم ما معنى: «**لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك**»؟ قد يعتبرون هذه ألغازاً، لكن الحقيقة أن كل شيء في الكون تفر منه من أذى أو ظلم أو إلخ، فهو بتقدير الله ومشيئته، والله هو الذي خلقه، وكذلك أنت تفر من عقاب الله، وتفر من أسباب سخط الله، تفر إليه عائذاً به مستجيراً سائلاً أن يحميك من الوقوع في معاصيه، وأن يرزقك الطاعة والأجر والفوز بالجنة، وكل أحد إذا خفت منه هربت منه - سواء أكان حيواناً أو إنساناً - إلا الله عز وجل؛ فإنك إذا خفت منه هربت إليه أين ستذهب؟ أي إنسان مخلوق موجود هنا - مثلاً - وهو ظالم وتخشى منه، فسوف تهرب منه إلى بلدة أخرى، لترتاح منه، ولكن الله عز وجل إلى أين تهرب منه؟ أينما هربت فثمَّ وجه الله، وأنت في ملكه، لا يمكن أن تفر ولا تخرج، فلا مفر لك منه إلا إليه، ولا مفر من عقابه إلا إلى نعيمه، ولا مفر من معصيته إلا إلى طاعته، ولا مفر من قدرته إلا إليه سبحانه وتعالى، وكل شيء مخلوق في الوجود من الظلم الذي أنت تفر منه أو الشر؛ فهو خالقه، فأنت تفر من هذا الشيء إلى ما ينجيك، وتأخذ بالأسباب التي قدَّرها وشرعها سبحانه وتعالى.

فالمقصود أن الهجرة إلى الله تتضمن هجر ما يكرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه، وكل واحد يهاجر من شيء إلى شيء، ويترك بلداً إلى بلد، ووظيفة إلى وظيفة، وشخصاً إلى شخص، في العلاقات وإقامة العلاقات، وما يحمله على هذه الهجرة والترك إلى ذلك الطرف الآخر، إلا أن المهاجر إليه أحب إليه من المهاجر منه، وإلا لما هاجر.

فإذا قال أحد: كيف أهجر ما نهى الله عنه؟ كيف أهجر المعاصي؟ كيف أهجر الفسوق؟ كيف أهجر قرناء السوء؟ كيف أهجر مكان الحرام؟ نقول: لا بد أن يكون الطرف الذي ستذهب إليه أحب إليك من الطرف الذي ستخرج منه.

ولذلك فالهجرة مرتبطة بالمحبة، ولما كانت الهجرة شاقة على النفس، فلابد أن هناك شيئاً يعوض المشقة حتى تستطيع الفكاك والهرب والهجرة، فإذا لم ترجع محبة الطرف الثاني الذي ستهاجر إليه على محبتك للطرف الأول؛ فلن تحصل الهجرة، ومن هنا كانت تقوية محبة الله تعالى أمراً أساسياً في حدوث الهجرة، سواء هجرة الجسد أو هجرة القلب.

لقد كان خروج المهاجرين من مكة إلى المدينة أمراً شاقاً، حتى إنهم مرضوا في المدينة، وأصابتهم الحمى، وصار أبو بكر وبلال يأتيان بالأشعار التي فيها التلهف والحنين إلى الإذخر والجليل، وجبال مكة، والبلاد التي خرجوا منها، والجو والبيوت، ولكن ما هو الذي عوضهم عن ذلك كله؟ إنه محبتهم لله ورسوله، وللدار التي تحكم بما أنزل الله ويحكمها رسوله.

* * *

سبب قوة الهجرة وضعفها

والهجرة - كما يذكر ابن القيم رحمه الله - تقوى وتضعف بحسب داعي المحبة في قلب العبد، فكلما كانت المحبة أقوى كانت الهجرة أقوى وبعض الناس يهجرون المعاصي هجراً جزئياً، وبعض الناس يهجرونها نسبة أكثر، وبعض الناس يهجرونها هجرة كلية، فما هو السبب الذي فاوت بين هؤلاء؟ إنه المحبة.

وعندما يكون الواحد لا يزال قلبه يحب المنكر، ولو وعظ موعظة أو قصة انتهى عن ذلك، وربما يترك تركاً مؤقتاً، أو يترك تركاً جزئياً، لأنه لا زال فيه تعلق ومحبة للشيء الأول، لكن إذا صارت محبة الله طاغية، انقطعت العلاقة.

* * *

- حقيقة الهجرة عند شيخ الإسلام ابن تيمية -

أنواع الهجرة: للهجرة أنواع عدة وهي: هجر المعاصي: ففي البخاري عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى الله عَنْهُ».

وفي الفتح:

قوله: (والمهاجر) هو بمعنى الهاجر، وإن كان لفظ المفاعل يقتضي وقوع فعل من اثنين، لكنه هنا للواحد كالمسافر.

ويحتمل أن يكون على بابه لأن من لازم كونه هاجرا وطنه مثلا أنه مهجور من وطنه، وهذه الهجرة ضربان: ظاهرة وباطنة.

فالباطنة: ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان.

والظاهرة: الفرار بالدين من الفتن.

وكأن المهاجرين خوطبوا بذلك لئلا يتكلوا على مجرد التحول من دارهم حتى يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيه، ويحتمل أن يكون ذلك قيل بعد انقطاع الهجرة لما فتحت مكة تطييبا لقلوب من لم يدرك ذلك، بل حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه، فاشتملت هاتان الجملتان على جوامع من معاني الحكم والأحكام.

(انتهى من كتاب أحكام الهجرة)

* * *

أنواع الهجرة

هجرة الكفر، وهجرة المعاصي، وهجرة الواردات والشواغل.

فأما هجرة الكفر: فهي إذا ضيق عليك في مكان لا تستطيع ممارسة إسلامك فيه فاخرج من هذا البلد، وهذه واجبة.

وأما هجرة المعاصي: فهي هجرة واجبة على كل مخلوق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن لم يهاجر بهذه الهجرة، فسوف يبقى في الخطايا والذنوب من أخمص قدميه إلى مشاش رأسه، وهذا الذي نحن بحاجة إليها، ونشكو حالنا إلى الله فيها.

وأما هجرة الواردات والشواغل والقواطع: فهذه للأولياء الصديقين السابقين بالخيرات، وهم الذين يقطعون كل قاطع يقطعهم عن الله عز وجل، وهؤلاء قاربوا درجة أبي بكر الصديق، وما بلغوا درجة أبي بكر؛ لكن أصبحوا من الولاية بمنزلة عظيمة.

والواردات والشواغل هي كل ما يشغلك عن الله عز وجل، فهم تركوها لوجه الله، وهؤلاء من مثل حنظلة الغسيل، سمع داعي الله عز وجل والهجرة إلى الله من الواردات والشواغل إلى جنة عرضها السماوات والأرض وهو في ليلة عرسه، مع زوجته في اليوم الأول، فثار من على فراشه، واخترط سيفه وعليه الجنابة، وهب ليلقى الله عز وجل وقاتل حتى قتل، فأتى ﷺ بعد قتله بلحظات، يشيح بوجهه ﷺ ، قالوا: مالك يا رسول الله؟ قال: **«والذي نفسي بيده! لقد رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بصحاف من ذهب بماء المزن».**

فهل أرفع من هذه هجرة يوم ترك الدواعي والشواغل؟!

إن بعض الناس باستطاعته أن يضحي بصلاة العشاء والفجر أو أي فريضة من فرائض الله، ليدهده ابنته الصغيرة لئلا تبكي على أمها، لأن القلب إذا مات حبسه كل شيء حتى خيط العنكبوت يربطه بسارية من السواري في البيت، أما أولئك فكان لا يحبسهم شيء؛ حتى الحديد يكسرونه، وينفذون إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

* * *

أمثلة على الهجرة

من الهجرة: هجرة عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، سمع داعي الله فاخترط سيفه في أحد، وكسر غمده على ركبته، وقال: اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى، فقتل وكلَّمه الله كفاحاً، وقال: تمنَّ يا عبدي، قال: أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، قال: إني كتبت على نفسي أنهم إليها لا يرجعون، فتمنَّ، قال: ترضى عني، قال: فإني قد أحللت عليك رضواني فلا أسخط عليك أبداً - لأنه هاجر - قال: ثم جعل الله روحه وأرواح إخوانه في حواصل طير ترد الجنة فتشرب من مائها،

وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش.

كذلك هجرة عبد الله بن حذافة، دخل على ملك الروم، فقال له ملك الروم: ارجع عن دينك وأعطيك نصف ملكي؟

فضحك ضحكة المعتز الشجاع، المتمكن من دينه، المتيقن بحفظ الله، قال: والله لو أعطيتني ملكك وملك آبائك وأجدادك على أن أعود عن الإسلام طرفة عين ما فعلت.

قال: اذهبوا به إلى النار، فأخذوه فوجد إخوانه من الشهداء الأسرى قد ألقوا في قدور تغلي بالماء وقد تفصلت لحومهم عن عظامهم، فبكى عبد الله ابن حذافة، فعادوا به إلى الملك.

فقال: أتبت من جريمتك؟ جريمة أن يقول: ربي الله، وديني الإسلام.

قال: لا والله ولكن أبكي أنه ليس لي إلا نفس واحدة، وأريد أن لي بعدد شعر رأسي أنفساً تعذب في سبيل الله.

فقال: والله لا أطلقك حتى تقبل رأسي، فَقَبَّل رأسه،

فأطلق له الأسارى فقال عمر: [حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة]

هذه هجرة الشواغل والدواعي التي تقطع العبد عن الله عز وجل.

وأعظم ما يهاجر فيه العبد اليوم إذا سمع داعي الله في الصلوات الخمس، الآن عبادتنا الكبرى الصلوات الخمس؛ لأن هناك جبهات موجودة لكن من لا ينفع هنا لا ينفع هناك، بعض الناس لا يداوم على الصلوات الخمس، ويتحسر في مجلس وقد ملأ بطنه بما لذ وطاب من الطعام، ويقول: يا ليتني في أفغانستان أجاهد في سبيل الله.

وأنت لا تصلي في المسجد؟! والله لو كنت في آخر الدنيا، لكنت أول من يفر وآخر من يأتي من المجاهدين، لأن من لم ينتصر في عالم قلبه لا ينتصر في عالم الأرض، والذي لا يعلي لا إله إلا الله في المجلس، لا يعليها في الميدان ولا في المعركة.

أصحاب الرسول ﷺ كانوا رواداً لذا كانوا في الصف الأول، أما

أصحاب الصفوف المتأخرة، فلا يأتون إلا متأخرين دائماً: {لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾} [المدثر: ٣٧].

(كلام نفيس لمعنى الهجرة وأنواعها للإمام النووى)

قوله ﷺ: **«فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»**.

أصل المهاجرة المجافاة والترك، فاسم الهجرة يقع على رموز:

الأولى: هجرة الصحابة رضي الله عنهم من مكة إلى الحبشة حين آذى المشركون رسول الله ﷺ، ففروا منه إلى النجاشي، وكانت هذه بعد البعثة بخمس سنين، قاله البيهقي.

الهجرة الثانية: من مكة إلى المدينة وكانت هذه بعد البعثة بثلاث عشرة سنة، وكان يجب على كل مسلم بمكة أن يهاجر إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأطلق جماعة أن الهجرة كانت واجبة من مكة إلى المدينة، وهذا ليس على إطلاقه فإنه لا خصوصية للمدينة، وإنما الواجب الهجرة إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن العربي: قسم العلماء رضي الله عنهم الذهاب في الأرض هرباً وطلباً، فالأول ينقسم إلى ستة أقسام:

(الأول): الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام وهي باقية إلى يوم القيامة، والتي انقطعت بالفتح في قوله ﷺ: **«لا هجرة بعد الفتح»**. هي القصد إلى رسول الله ﷺ حيث كان.

(الثاني): الخروج من أرض البدعة، قال ابن القاسم: سمعت مالكاً يقول: لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسَبُّ فيها السلف.

(الثالث): الخروج من أرض يغلب عليها الحرام، فإن طلب الحلال فريضة على كل مسلم.

(الرابع): الفرار من الأذية في البدن، وذلك فضل من الله تعالى أرخص فيه، فإذا خشي على نفسه في مكان فقد أذن الله تعالى له في الخروج عنه، والفرار بنفسه يخلصها من ذلك المحذور، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه

السلام حيث خاف من قومه فقال:{إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ} [العنكبوت: ٢٦]. وقال تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام:{فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ} [القصص: ٢١].

(الخامس): الخروج خوف المرض في البلاد الوخمة، إلى الأرض النزهة، وقد أذن ﷺ للعرنيين في ذلك حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المرج.

(السادس) الخروج خوفاً من الأذية في المال، فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه.

وأما قسم الطلب، فإنه ينقسم إلى عشرة: طلب دين وطلب دنيا، وطلب الدين ينقسم إلى تسعة أنواع:

(الأول) سفر العبرة قال الله تعالى:{أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ} [الروم: ٩]. وقد طاف ذو القرنين في الدنيا ليرى عجائبها.

(الثاني): سفر الحج.

(الثالث): سفر الجهاد.

(الرابع): سفر العبرة المعاش.

(الخامس): سفر التجارة والكسب الزائد على القوت، وهو جائز لقوله تعالى:{ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ } [البقرة: ١٩٨].

(السادس): طلب العلم.

(السابع): قصد البقاع الشريفة، قال ﷺ :«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد».

(الثامن): قصد الثغور للرباط بها.

(التاسع): زيارة الإخوان في الله تعالى، قال ﷺ :«زار رجل أخاً له في قرية، فأرسل الله ملكاً على مدرجته. فقال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، فقال: هل له عليك من نعمة تؤديها قال: لا، إلا أنني أحبه في الله تعالى قال: فإني رسول الله إليك بأن الله أحبك كما أحببته». رواه مسلم. وغيره.

الثالثة: هجرة القبائل إلى رسول الله ﷺ ليتعلموا الشرائع ويرجعوا إلى قومهم فيعلموهم.

الرابعة: هجرة من أسلم من أهل مكة ليأتي النبي ﷺ ثم يرجع إلى قومه.

الخامسة: الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، فلا يحل للمسلم الإقامة بدار الكفر، قال الماوردي: فإن صار له بها أهل وعشيرة، وأمكنة إظهار دينه، لم يجز له أن يهاجر، لأن المكان الذي هو فيه قدر دار إسلام.

السادسة: هجرة المسلم أخاه فوق ثلاثة، بغير سبب شرعي، وهي مكروهة في الثلاثة، وفيما زاد حرام إلا لضرورة.

السابعة: هجرة الزوج الزوجة إذا تحقق نشوزها قال تعالى:{ ٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ} [النساء: ٣٤]. ومن ذلك هجرة أهل المعاصي في المكان، والكلام، وجواب السلام وابتداؤه.

الثامنة: هجرة ما نهى الله عنه، وهي أعم الهجر.

قوله ﷺ :«**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله**»: أي نية وقصداً فهجرته إلى الله ورسوله حكماً وشرعاً.

«**ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها..**» إلخ نقلوا أن رجلاً هاجر من مكة إلى المدينة لا يريد بذلك فضيلة الهجرة وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى أم قيس، فسمي مهاجر أم قيس. فإن قيل النكاح من مطلوبات الشرع فلِمَ كان من مطلوبات الدنيا؟ قيل في الجواب: إنه لم يخرج في الظاهر لها، وإنما خرج في الظاهر للهجرة، فلما أبطن خلاف ما أظهر استحق العتاب واللوم، وقيس بذلك من خرج في الصورة الظاهرة لطلب الحج وقصد التجارة وكذلك الخروج لطلب العلم إذا قصد به حصول رياسة أو ولاية.

قوله ﷺ :«**فهجرته إلى ما هاجر إليه**» يقتضي أنه لا ثواب لمن قصد بالحج التجارة والزيارة، وينبغي حمل الحديث على ما إذا كان المحرك الباعث له على الحج إنما هو التجارة، فإن كان الباعث له الحج فله

الثواب، والتجارة تبع له إلا أنه ناقص الأجر عمن أخرج نفسه للحج، وإن كان الباعث له كليهما فيحتمل حصول الثواب لأن هجرته لم تتمخص للدنيا، ويحتمل خلافه لأنه قد خلط عمل الآخرة بعمل الدنيا، لكن الحديث رتب فيه الحكم على القصد المجرد، فأما من قصدهما لم يصدق عليه أنه قصد الدنيا فقط، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(انتهى من شرح الأربعين النووية من حديث إنما الأعمال بالنيات).

يقول الشيخ عبد الرحمن السديس في خطبته عن أنواع الهجرة ما يأتي:

من معاني الهجرة هجر المعاصي

أمة الهجرة والجهاد: إن من أبرز ما يصور معاني الهجرة - يا رعاكم الله - الأخذ بتعاليم الإسلام التي جاء بها صاحب الهجرة ﷺ، والتجافي عن الهبوط إلى مستنقعات المعاصي والآثام، وهذه هجرة لا يعذر مسلم في تركها لقوله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**» أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ومن أكبر ما يترجم عناية الأمة بالهجرة النبوية، هو التمسك بمنهج صاحب الهجرة عليه الصلاة والسلام، والتزام سنته وأطر النفوس على الهجرة في كل صورها ومعانيها، إما بمعناها الشرعي الخاص، بالانتقال إلى حيث العزة والمنعة وإقامة الدين، أو بمعناها العام بهجر المعاصي بكل أنواعها، وإن وقائع الهجرة النبوية - يا عباد الله - ليست قصصاً تورد ولا روايات تسرد، ولا نعوتاً ومدائح تردد، ولا احتفالات تقام، لكنها عقيدة وانتماء، وعمل واهداء، واتباع واقتداء، وجهاد واقتداء، والله عز وجل يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

يا أمة محمد ﷺ: إن في هذا الحدث العظيم من الدروس والعبر ما لو استلهمته أمة الإسلام اليوم وعملت على ضوئه لتحقق لها عزها المنشود، ومجدها المفقود، ومكانتها المرموقة بين العالمين، ولعلمت علم اليقين وهي تعيش على أبواب قرن جديد، بل على مفترق طرق وتشعب سبل،

أنه لا حل لمشكلاتها، ولا صلاح لأحوالها إلا بالتمسك بإسلامها، والتزامها بإيمانها وعقيدتها، فوالله ثم والله ما قامت الدنيا عبر التاريخ إلا بقيام الدين، ولا نال العز والنصر والتمكين إلا لما خضعوا لرب العالمين، وهيهات هيهات أن يحل أمن وأمان، ورخاء وسلام واطمئنان، إلا باتباع نهج الأنبياء عليهم السلام: {فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾} [طه: ١٢٣ - ١٢٤].

إنه متى تذكر المسلمون هذه الحقائق الناصعة، وعملوا على تطبيقها في واقع حياتهم، كانت هي السلاح الفاعل التي تقاتل به، والحصن الحصين، والدرع الواقي المتين الذي تتقي به في وجه الهجمات الكاسحة، والتكتلات العالمية والمؤامرات الدولية، والصراع التي تعيشه قوى الأرض جميعاً، فالقوة لله وحده: {وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [البقرة: ١٦٥].

وقفة مع كتابة التاريخ بالهجري.

معاشر المسلمين: الوقفة الثانية، وقفة مع قضية تعبر عن اعتزاز هذه الأمة بشخصيتها الإسلامية، وتبرهن للعالم بأسره عن استقلال هذه الأمة بمنهجها المتميز المستقى من عقيدتها وتاريخها وحضارتها وثوابتها، إنها قضية أجمع عليها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إنها التوقيت والتاريخ بالهجرة النبوية المباركة، وكم لهذه القضية من مغزى عظيم، يجدر بأمة الإسلام اليوم تذكره، لاسيما وقد فتن بعض أبنائها بتقليد غير المسلمين والتشبه بهم في تاريخهم وسلوكهم.

أين عزة الإسلام؟ وأين هي شخصية أهل الإسلام؟ هل ذابت في خضم مغريات الحياة؟ إننا أمة ذات أمجاد وحضارة، وتاريخ وأصالة، وثوابت راسخة، ومنهج متميز، منبثق من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ وسيرة سلفنا الصالح.

لسنا بحاجة إلى تقليد غيرنا، بل غيرنا - في الحقيقية - بحاجة إلى أن يستفيد من أصالتنا وحضارتنا، لكنه التقليد والتبعية،

والإعجاب والمجارات والانهزامية، والتشبه الأعمى من بعض المسلمين هداهم الله، والله عز وجل يقول: {وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [المنافقون: ٨].

نصر الله لأوليائه.

أيها الإخوة المسلمون: وثالث هذه الوقفات مع حدث عظيم في شهر الله المحرم، فيه درس عظيم على نصرة أولياء الله، وانتقام الله من أعدائه مهما تطاولوا، إنه حدث قديم، لكنه بمغزاه متجدد عبر الأمصار والأعصار، إنه يوم انتصار نبي الله وكليمه موسى عليه السلام، وهلاك فرعون الطاغية، وكم في هذه القصة من الدروس والعبر، والعظات والفكر للدعاة إلى الله في كل زمان ومكان.

فمهما بلغ كيد الأعداء وأذاهم وظلمهم وتسلطهم، فإن نصر الله قريب، وهو درس لكل عدو لله ولرسوله، ممن مشى على طريق فرعون، أن الله منتقم من كل طاغية وظالم، طال الزمان أو قصر، إن يوم الهجرة ويوم عاشوراء - يا عباد الله - يومان من أيام النصر الخالدة، ألا فلتقر أعين أهل الحق ودعاته بذلك، فالعاقبة للمتقين، ولينتبه لذلك - قبل فوات الأوان - أهل الباطل ودعاته: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾} [الفجر: ١٤]، وقال تعالى: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾} [النازعات: ٢٦].

وإن في الحوادث لعبراً، وإن في التاريخ لخبراً، وإن في الآيات لنذراً، وإن في القصص لمذكراً ومزدجراً: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ} [يوسف: ١١١].

تلكم - أيها المسلمون - إشارات عابرة، ولمحات عاطرة، ووقفات مهمة عاجلة، يحتاج المسلمون إلى التذكير بها وهم يستقبلون عامهم الهجري الجديد، الذي نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يجعله عام خير وبركة ونصر للإسلام والمسلمين في كل مكان، وعام ذل وهوان لأعداء الإسلام والمسلمين في كل مكان، كما نسأله سبحانه أن يجعله عام يقظة رشيدة، ونقطة تحول سديدة، وفتح صفحة جديدة، صلاحاً لأحوال المسلمين في كل مكان، وهزيمة ساحقة لأعداء الله

ورسوله والمؤمنين.

كما نسأله سبحانه أن يجعل مستقبل أيامنا خيراً من حاضرها، وحاضرها خيراً من ماضيها، وأن يعيد هذا العام على أمة الإسلام بالخير واليمن والبركات إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

(انتهى)

* * *

ـ ياحسرةً على العباد ـ

- يقول الإمام ابن القيم -

قم في الدجى واتل الكتاب ::: ولا تنم إلا كنومة حائر ولهان
فلربما تأتي المنية بغتة ::: فتساق من فرش إلى أكفان
يا حبذا عينان في غسق الدجى ::: من خشية الرحمن باكيتان
فالله ينزل كُلَ آخر ليلة ::: لسمائه الدنيا بلا نكران
فيقولُ هل من سائلٍ فأجيبَه ::: فأنا القريبُ أجيبُ منْ ناداني

(قلت)

ولكن يا حسرةً على المحرومين، ويا حسرةً على المفتونين الذين يجعلون وقت السحر ووقت الاستغفار وقت نزول الإلهي فرصةً للعب واللهو ومشاهدة القنوات وتقليب الأبصار في الغانياتِ والمومساتِ يا حسرةً على العباد!!.

- يقول الشيخ عائض القرني في شريطة أسباب الحرمان

من عقوبات الذنب: حرمان الرزق.

فإن العبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه، كما ثبت ذلك في مسند الإمام أحمد فما تعطل الرزق، وما قلت بركة الناس وبركة بيوتهم ودخلهم، وما كثرت عليهم المتطلبات إلا بسبب الذنوب والمعاصي.

ولذلك كان الرزق الهنيء لأهل الطاعة، ولا يهولنك أن تجد فاجراً عنده قصور ودور ونعمة، وعنده شيكات وبنوك ودخل وسيارات، فإن

هذه نقمة لا نِعْمة قال تعالى: { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ } [المدثر: ١١ - ١٧].

فلا إله إلا الله كم قلت بركة ورزق من أعرض عن الله! تأتيه الأموال مثل الجبال لكن لا بركة فيها: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ } [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

فأوحش شيء إلى العاصي أن يجلس وحده مع الله، فتجد العاصي يفر من الوحدة ولا يحب العزلة، بينما كان الصالحون والتابعون والسلف الصالح يجلس أحدهم في غرفة، فيذكر الله تعالى ويسبحه ويكبره، ويستغفره ويدعوه، ويجد اللذة والسكينة وحده أما الفاجر إذا جلس في غرفة وحده فكأن وحشة الدنيا وهمها وغمها اجتمع عليه، فلا يحب الوحدة بل تجده يحب الخلطة مع الفجرة، ويجلس في المنتديات والمقاهي مع المعرضين، ويحب الفكاهات والضحك الطويل العريض لينفس عن نفسه فتجده يضحك من شدقه إلى شدقه ومن أذنه إلى أذنه ويقهقه قهقهة قد تهدد أمن الحارة، فهو أكثر الناس ضحكاً وقهقهة، وأكثر الناس مزحاً فاحشاً وبذيئاً؛ لأن في قلبه غم وذلة وهم وحسرة لا ينفسها إلا الضحك فلذلك كان بين العاصي وبين الله وحشة وبين الطائع وبين الله زلفى وقربى.

كان الإمام أحمد يجلس وحده فيقال له: ألا تستوحش؟

فيقول: كيف أستوحش والله يقول: أنا جليس من ذكرني.

وكان إبراهيم بن أدهم يجلس وحده في جبل في لبنان فقالوا له: أتجلس وحدك؟

قال: معي الله عز وجل.

قالوا: ألا تستوحش في هذا الخراب؟ قال: أنا في العمار وأنتم في الخراب.

فهو في الصحراء لكن الله معه.

ذكروا عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه كان يخرج من المسجد بعد صلاة العصر وحده إلى الصحراء، فيرفع إصبعه ويذكر الله ويهلل ويكبر، ثم يبكي ويقول:

وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك النفس بالسر خاليا

وهذا البيت لـ مجنون ليلى، قاله في محبوبته، لكن ابن تيمية حوله إلى الحبيب القريب سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فقال:

وأخرج من بين البيوت لعلني ::: أحدث عنك النفس بالسر خاليا
وإني لأستغشي وما بي غشوة ::: لعل خيالاً منك يلقى خياليا

ولذلك العاصي دائماً يشعر بالضجر ويريد أن يقضي الوقت في التوافه، حتى إن بعض الناس إذا دخل عليهم رمضان جلسوا في لعب، كلعب البلوت أو الورقة أو ما شابهها، ويأخذون الساعات الطويلة في لعب الكرة، يقولون: نضيع أو نقطع الوقت، ويشعر أحدهم بضجر ويقول: انتابني هم وغم؛ وذلك بسبب معاصيه وإعراضه عن الله تبارك وتعالى.

(قلت) فلابد من الهجرة الحقيقية إلى الله سبحانة وتعالى وهى - هجرة الذنوب والمعاصى حتى ييسر الله سبحانه أمر أرزاقنا فما قلت البركة وحجب الرزق إلا بسبب الذنوب والمعاصى.

- أسأل الله أن يجنبنا المعاصى ماظهر منها وما بطن إنه أرحم الراحمين جواد كريم -.

* * *

من مفاتيح الرزق ـ غض البصر عما حرم الله ـ

(أحبتي في الله)

- إن من أفضل وسائل البركة في الرزق واستجلابه.

البعد عن المعاصي والذنوب والآثام ومن مفاتيح الرزق.

غض البصر عما حرم الله لآن إطلاق البصر فيه من الآثام والموبقات ما الله به عليم.

* * *

[من أسباب حرمان الرزق]

رقم الفتوى ٤٦٥٥١ المعاصي من أسباب حرمان الرزق.

تاريخ الفتوى: ١٠ صفر ١٤٢٥

السؤال:

لقد تعرفت على فتاة وتعلقت بها واتفقنا على الزواج ولكن الفتاة كان بها بعض الملاحظات على شخصيتها كانت تدخن حاولت تغييرها لكن للأسف وخلال ذلك نتج حمل وتم إجراء عملية تنظيف لها وكان الحمل في الشهر الأول بداية الثاني وهنا طلبت منها أن نتزوج ويكون الزواج سريا ولكن بمعرفة بعض الأصدقاء وشخص من أقربائها ثم نعلن الزواج بعد فترة ولكنها رفضت الفكرة مع العلم بأنني متزوج، ولقد أخبرت زوجتي بنيتي بالزواج من الفتاة رفضت وطلبت الطلاق وتأزمت الأمور بيننا وبسبب ذلك فقدت وظيفتي وتعرضت لمشاكل كثيرة ومازلت أعاني منها حتى الآن مع العلم بمرور سنة على الموضوع.

وفي النهاية تركت الفتاة لخوفي على أسرتي وتبت إلى الله، وأيضا الفتاة ذهبت للحج ومع ذلك ما زالت تبعث لي مع شخص قريب لنا رسائل تريد أن أصحح الخطأ وهي ضد فكرة الزواج السري في الوقت الحاضر.

ماذا أعمل وهي تريد أن تلتقي بزوجتي لكي تخبرها بالموضوع وأخبرتها أن الله سترنا فهل تريدين الفضيحة الآن أتمنى من الله أن يقبل

توبتي وسؤالي هو هل دعاؤها علي سبب ما أنا فيه من مشاكل.

مع العلم بأنها تعيش لوحدها خارج بلدها وأهلها في دولة أخرى.

أرجوكم إفادتي ولكم الخير

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد دل القرآن والسنة الصحيحة على أن الذنوب سبب في مصائب العبد وحرمانه من الرزق، قال سبحانه:{ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾} [الشورى: ٣٠]. وفي مسند أبي يعلى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم».

وقد قال النبي ﷺ :«إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه». رواه ابن ماجه وصححه السيوطي.

وبهذا تعلم أن سبب ما أنت فيه من شدة قد يكون مرده إلى هذه الذنوب التي اقترفتها، والآن وبعد أن من الله عليك بالتوبة، فنرجو أن يصلح الله تعالى حالك ويكشف عنك هذا الضيق فالتزم التوبة وكثرة الطاعة فإن ربنا الكريم يقول:{ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ } [طه: ٨٢].

ومن لوازم التوبة قطع الصلة بتلك المرأة، إلا إذا تأكدت من صدق توبتها، فلا مانع من الزواج بها)

والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د. عبدالله الفقيه

(وإتماما للفائدة في هذا العنصر أذكر لك

بعضا من فوائد غض البصر للإمام ابن القيم في كتابة القيم قال ابن القيم في روضة المحبين /١١٣).

* * *

من فوائد غض البصر

١- تخليص القلب من ألم الحسرة.

٢- أنه يورث نوراً وإشراقاً في القلب يظهر في العين والوجه والجوارح وإطلاق البصر يورث ظلمة في الوجه والجوارح.

٣- أنه يورث صحة الفراسة

٤- أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه ويسهل عليه أسبابه وذلك بسبب نور القلب.

٥- أنه يورث القلب ثباتاً وشجاعة فيجعل له سلطان الحجة.

٦- أنه يورث القلب سروراً وفرحاً وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر.

٧- أنه يخلص القلب من أسر الشهوة.

٨- أنه يسد عنه باباً من أبواب جهنم.

٩- أنه يقوي عقله ويزيده ويثبته.

١٠- يخلص القلب من سُكر الشهوة ورقدة الغفلة.

١١- أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده.

١٢- أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه.

١٣- أنه يورث القلب أنساً بالله وجمعه عليه.

١٤- أنه يقوي القلب ويفرحه.

١٥- أنه يسد على الشيطان مدخله إلى القلب.

١٦- أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها.

١٧- أن بين العين والقلب منفذاً وطريقاً يوجب انتقال أحدهما إلى الآخر وأن يصلح بصلاحه ويفسد بفساده.

١٨ - من غض بصره أعطاه الله ثلاث فوائد جليلة:

إحداها: حلاوة الإيمان ولذته التي هي أحلى وأطيب ما تركه لله فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه والنفس تحب النظر إلى هذه الصور لا سيما نفوس أهل الرياضة والصفا فإنه يبقى فيها رقة تجتذب بسببها إلى الصور حتى تبقى تجذب أحدهم وتصرعه كما يصرعه السبع ولهذا قال بعض التابعين: ما أنا على الشاب التائب من سبع يجلس إليه بأخوف عليه من حدث جميل يجلس إليه وقال بعضهم اتقوا النظر إلى أولاد الملوك فإن لهم فتنة كفتنة العذارى.

وأما الفائدة الثانية: في غض البصر فهو أنه يورث نور القلب والفراسة قال تعالى عن قوم لوط: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾} [الحجر: ٧٢]، فالتعلق في الصور يوجب فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب بل جنونه كما قيل:

سكران سكر هوى وسكر مدامة ::: فمتى إفاقة من به سكران.

وقيل قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ::: العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ::: وإنما يصرع المجنون في الحين

وذكر سبحانه آية النور عقيب آيات غض البصر فقال: {ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [النور: ٣٥] وكان شاه بن شجاع الكرماني لا تخطئ له فراسة وكان يقول: من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات وذكر خصلة خامسة وهي أكل الحلال لم تخطئ له فراسة والله تعالى يجزئ العبد على عمله بما هو من جنس عمله فغض بصره عما حرم يعوضه الله عليه من جنسه بما هو خير منه فيطلق نور بصيرته ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشوف ونحو ذلك مما ينال ببصيرة القلب.

والفائدة الثالثة:

قوة القلب وثباته وشجاعته فيجعل الله له سلطان النصرة مع سلطان الحجة وفي الأثر الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله ولهذا يوجد في المتبع لهواه من الذل ذل النفس وضعفها ومهانتها ما جعله الله لمن عصاه فإن الله جعل العزة لمن أطاعه والذلة لمن عصاه قال

تعالى: {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: ٨]، وقال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾} [آل عمران: ١٣٩]، ولهذا كان في كلام الشيوخ الناس يطلبون العز من أبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله وكان الحسن البصري يقول وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال فإن ذل المعصية في رقابهم يأبى الله إلا أن يذل من عصاه ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه ومن عصاه ففيه قسط من فعل من عاداه بمعاصيه وفي دعاء القنوت إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت.

- انتهى من كتاب ابن القيم في روضة المحبين /١١٣

(يقول الشيخ القاسمي في كتابة محاسن التأويل)

القول في تأويل قوله تعالى:

{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾} [النور: ٣٠].

{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ}، أي: مقتضى إيمانكم الغض عما حرم الله تعالى النظر إليه: {وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ}، أي: عن الإفضاء بها إلى محرم، أو عن الإبداء والكشف: {ذَٰلِكَ}، أي: الغض والحفظ: {أَزْكَىٰ لَهُمْ}، أي: أطهر للنفس وأتقى للدين: {إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ} أي: بأفعالهم وأحوالهم. وكيف يجيلون أبصارهم، وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم. فعليهم، إذ عرفوا ذلك، أن يكونوا منه على تقوى وحذر، في كل حركة وسكون. أفاده الزمخشري.

تنبيهات:

الأول: قال السيوطي في " الإكليل ": في الآية تحريم النظر إلى النساء وعورات الرجال وتحريم كشفها. أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية: كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنى، إلا هذه الآية والتي بعدها، فهو أن لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة. انتهى.

وليس بمتعيّن. وعليه فيكون النهي عن الزنى يعلم منه بطريق الأولى. أو الحفظ عن الإبداء يستلزم الحفظ عن الإفضاء.

الثاني: إن قيل: لِمَ أتى بمن التبعيضية في غض الأبصار وقيدها به دون حفظ الفروج؟ مع أنه غير مطلق ومقيد في قوله تعالى:{ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ } [المؤمنون: ٥ - ٦]، لأن المستثنى في الحفظ هو الأزواج والسراري، وهو قليل بالنسبة لما عداه. فجعل كالعدم ولم يقيد به. مع أنه معلوم من الآية الأخرى. بخلاف ما يطلق فيه البصر، فإنه يباح في أكثر الأشياء، إلا نظر ما حرم عن قصد. فقيّد الغض به ومدخول من التبعيضية ينبغي أن يكون أقل من الباقي. وقيل: إن الغض والحفظ عن الأجانب. وبعض الغض ممنوع بالنسبة إليهم، وبعضه جائز: بخلاف الحفظ فلا وجه لدخول من فيه. كذا في " العناية ".

الثالث: سر تقديم غض الأبصار على حفظ الفروج، هو أن النظر بريد الزنى ورائد الفجور، كما قال الحماسي:

وكنتَ إذا أرسلت طَرْفَكَ رَائِداً ::: لقلبك يوماً، أتْعَبَتْكَ الْمَنَاظِرُ

ولأن البلوى فيه أشد وأكثر. ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه. فبودر إلى منعه. ولأنه يتقدم الفجور في الواقع، فجعل النظم على وفقه.

الرابع: غض البصر من أجل الأدوية لعلاج أمراض القلوب. وفيه حسم لمادتها قبل حصولها. فإن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس. ومن أطلق لحظاته، دامت حسراته.

كلّ الحوادث مبداها من النظرِ ومعظمُ النَّارِ من مستصغَرِ الشَّرَرِ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في " الجواب الشافي ": في غض البصر عدة منافع:

أحدها: امتثال أمر الله هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده. وليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتعالى. وما سعد من سعد في الدنيا والآخرة. إلا بامتثال أوامر ربه. وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

الثاني: أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه، إلى قلبه.

الثالث: أنه يورث القلب أنساً بالله وجمعيّة على الله، فإن إطلاق البصر يفرّق القلب ويشتته ويبعده من الله، وليس على العبد شيء أضر من إلى إطلاق البصر. فإنه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه.

الرابع: أنه يقوي القلب ويفرحه. كما أن إطلاق البصر يضعفه ويحزنه.

الخامس: أنه يكسب القلب نوراً. كما أن إطلاقه يكسبه ظلمة، ولهذا ذكر سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر. فقال: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ} [النور: ٣٠]، ثم قال إثر ذلك: {ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [النور: ٣٥]. أي: مثل نوره في قلب عبده المؤمن، الذي امتثل أوامره واجتنب نواهيه. وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل جانب، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان. فما شئت من بدعة وضلالة، واتباع هوى واجتناب هدى، وإعراضٍ عن أسباب السعادة، واشتغال بأسباب الشقاوة. فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذي في القلب. فإذا فقد ذلك النور بقي صاحبه كالأعمى الذي يجوس في حناديس الظلام.

السادس: أنه يورث الفراسة الصادقة التي يميز بها بين المحق والمبطل والصادق والكاذب. وكان شاه بن شجاع الكرماني يقول: من عمر ظاهره باتّباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، واعتاد أكل الحلال - لم تخطئ له فراسة.

وكان شجاع هذا لا تخطئ له فراسة، والله سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله. ومن ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه، فإذا غض بصره عن محارم الله، عوضه بأن يطلق بصيرته عوضاً عن حبسه بصره لله. ويفتح له باب العلم والإيمان والمعرفة، والفراسة الصادقة المصيبة التي، إنما تنال ببصيرة القلب. وضد هذا مما وصف الله

به اللوطية من العمه الذي هو ضد البصيرة. فقال تعالى: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾} [الحجر: ٧٢]، فوصفهم بالسكرة التي هي فساد العقل، والعمه هو فساد البصيرة، فالتعلق بالصور يوجب إفساد العقل، وعمه البصيرة يسكر القلب، كما قال القائل:

سُكرانِ: سكر هوىً وسُكرُ مُدامةٍ ومتى إفَاقَةُ مَنْ بِهِ سُكْرَانِ؟

وقال الآخر:

قالوا: جُننتَ بمن تهوى فقلتُ لهم: العشق أعظمُ مما بالمجانينِ

العشق لا يستفيقُ الدهرَ صاحبُه وإنما يُصْرعَ المجنونُ في الحينِ

السابع: أنه يورث القلب ثباتاً وشجاعة وقوة. ويجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة، وسلطان القدرة والقوة، كما في الأثر: الذي يخالف هواه يَفْرق الشيطان من ظله. وضد هذا تجده في المتبع هواه، من ذل النفس ووضاعتها ومهانتها وخستها وحقارتها. وما جعل الله سبحانه فيمن عصاه. كما قال الحسن: إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، فإن المعصية لا تفارق رقابهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه. وقد جعل الله سبحانه العز قرين طاعته. والذل قرين معصيته، فقال تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: ٨]، وقال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾} [آل عمران: ١٣٩]، والإيمان قول وعمل ظاهر وباطن. وقال تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠]، أي: من كان يريد العزة فليطلبها بطاعة الله وذكره، من الكلم الطيب، والعلم الصالح. وفي دعاء القنوت: إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت. ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه. وله من العز بحسب طاعته، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه. وله من الذل بحسب معصيته.

الثامن: أنه يسدّ على الشيطان مدخله من القلب. فإنه يدخل مع النظرة وينفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهوى في المكان الخالي، فيمثل له صورة المنظور إليه، يزينها ويجعلها صنماً يعكف عليه القلب، ثم يعده ويمنيه. ويوقد على القلب نار الشهوة، ويلقي عليه حطب المعاصي، التي

لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة. فيصير القلب في اللهب، فمن ذلك اللهب تلك الأنفاس التي يجد فيها وهج النار، وتلك الزفرات والحرقات. فإن القلب قد أحاطت به نيران بكل جانب. فهو في وسطها كالشاة في وسط التنور، ولهذا كانت عقوبة أصحاب الشهوات بالصور المحرمة، أن جعل لهم في البرزخ تنور من نار، وأودعت أرواحهم فيه، إلى حشر أجسادهم، كما أراها الله نبيّه ﷺ في المنام في الحديث المتفق على صحته.

التاسع: أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها. وإطلاقُ البصر يشتت عليه ذلك ويحول عليه بينه وبينها. فتنفرط عليه أموره ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن أمر ربه، قال تعالى:{وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨]، وإطلاق النظر يوجب هذه الأمور الثلاثة بحسبه.

العاشر: أن بين العين والقلب منفذاً وطريقاً يوجب انفعال أحدهما عن الآخر. وأن يصلح بصلاحه ويفسد بفساده. فإذا فسد القلب فسد النظر. وإذا فسد النظر فسد القلب. وكذلك في جانب الصلاح. فإذا خربت العين وفسدت، خرب القلب وفسد، وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ. فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والإنابة إليه والأنس به والسرور بقربه فيه. وإنما يسكن فيه أضداد ذلك. فهذه إشارة إلى بعض فوائد غض البصر، تطلعك على ما وراءها. انتهى.

ثم أمر الله تعالى النساء بما أمر به الرجال. وزاد في أمرهن، ما فرضه

من رفض حالة الجاهلية المألوفة قبلُ لهن، بقوله سبحانه: القول في تأويل قوله تعالى:{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ

وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾} [النور: ٣١].

{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} أي: بالتستر والتصون عن الزنى كما تقدم. قال الزمخشري: النساء مأمورات أيضاً بغض الأبصار. ولا يحل للمرأة أن تنظر إلى الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته. وإن اشتهت غضت بصرها رأساً. ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك. وغض بصرها من الأجانب أصلاً، أولى بها وأحسن. ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كنت عند النبيّ ﷺ وعنده ميمونة. فأقبل ابن أم مكتوم. وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب. فدخل علينا. فقال: «احتجبا». فقلنا: يا رسول الله! أليس أعمى لا يبصرنا! قال: «أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟» وهذا الحديث رواه أبو داود والترمذي وصححه.

{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} قال الزمخشري: الزينة ما تزينت به المرأة من حليّ أو كحل أو خضاب. فما كان ظاهراً منها، كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب، فلا بأس بإبدائه للأجانب. وما خفي منها كالسوار والخلخال، والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط، فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين. وذكر الزينة دون مواقعها، للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر. لأن هذه الزِّينْ واقعة على مواضع من الجسد، لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء. وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن. فنهى عن إبداء الزِّيَن نفسها ليعلم أن النظر إذا لم يحل لها لملابستها تلك المواقع، بدليل أن النظر لها غير ملابسة لها، لا مقال في حله - كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكناً في الحظْر ثابت القدم في الحرمة، شاهداً على أن النساء حقهنّ أن يحتطن في سترها ويتَّقين الله في الكشف عنها.

فإن قلت: لم سومح مطلقاً في الزينة الظاهرة؟ قلت: لأن سترها فيه حرج. فإن المرأة لا تجد بداً من مزاولة الأشياء بيديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها، خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح. وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها. وخاصة الفقيرات منهن. وهذا معنى قوله تعالى: {إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} يعني: إلا ما جرت العادة والجبلة

على ظهوره، والأصل فيه الظهور. انتهى.

وقال السيوطي في " الإكليل ": فسر ابن عباس قوله تعالى:{إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} بالوجه والكفين، كما أخرجه ابن أبي حاتم. فاستدل به من أباح النظر إلى وجه المرأة وكفيها، حيث لا فتنة. ومن قال: إن عورتها ما عداهما. وفسره ابن مسعود بالثياب، وفسر الزينة بالخاتم والسوار والقرط والقلادة والخلخال. أخرجه ابن أبي حاتم أيضاً. فهو دليل لمن لم يجز النظر إلى شيء من بدنها، وجعلها كلها عورة:{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ} أي: وليسترن بمقانعهن، شعورَهن وأعناقهن وقرطهن وصدورهن، بإلقائها على جيوبهن أي: مواضعها، وهي النحر والصدر.

قال الزمخشري: كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها. وكنّ يسدلن الخمر من ورائهن، فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها. ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور، تسمية بما يليها ويلابسها، ومنه قولهم: ناصح الجيب.

لطيفة:

قال أبو حيان: عدّي يضربن بعلى لتضمنه معنى الوضع. وجعله الراغب مما يتعدى بها دون تضمين. والخمر: جمع خمار يقال لغة لما يستر به. وخصصه العرف بما تغطي به المرأة رأسها. ومنه اختمرت المرأة وتخمرت. والجيب ما جيب، أي: قطع من أعلى القميص. وهو ما يسميه العامة طوقاً. وأما إطلاقه على ما يكون في الجنب لوضع الدراهم ونحوها، فليس من كلام العرب. كما ذكره ابن تيمية. كذا في " العناية " ثم كرر النهي عن إبداء الزينة لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه، باعتبار الناظر بعد ما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور، بقوله تعالى:{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ} أي: فإنهم المقصودون بالزينة. ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج. لكن بكراهة على المشهور.

وقال الإمام أبو الحسن بن القطان في كتاب " إحكام النظر ": عن أصبغ، لا بأس به، وليس بمكروه. وروي عن مالك لا بأس أن ينظر إلى

الفرج في الجماع. ثم ذكرنا أن ما روي من أن ذلك يورث العمى، فحديث لا يصح. لأن فيه بقية وقد قالوا بقية أحاديثه نقية ولم يؤثر عن العرب كراهة ذلك. وللنابغة والأعشى وأبي عبيدة وابن ميادة وعبد بني الحساس والفرزدق، في ذلك ما هو معروف.

وقوله تعالى: {أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ} أي: لأن هؤلاء محارمهن الذين تؤمن الفتنة من قبلهم. فإن آباءهن أولياؤهن الذي يحفظونهن عما يسوءهن. وآباء بعولتهن يحفظون على أبناءهن ما يسوءهم. وأبناؤهن شأنهم خدمة الأمهات، وهم منهن. وأبناء بعولتهن شأنهم خدمة الآباء وخدمة أحبابهم. وإخوانهن هم الأولياء بعد الآباء. وبنوهم أولياء بعدهم. وكذا بنو أخواتهن، هم كبني إخوانهن في القرابة فيتعيرون بنسبة السوء إلى الخالة. تعيرهم بنسبته إلى العمة. هذا ما أشار له المهايمي.

وأجمل ذلك الزمخشري بقوله: وإنما سومح في الزينة الخفية أولئك المذكورون، لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالفتهم. ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن ممارسة القرائب. وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك. وقوله تعالى: {أَوْ نِسَآئِهِنَّ} قيل: هن المؤمنات. أخذاً من الإضافة. فليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية. وقيل: النساء كلهن. فإنهن سواء في حل نظر بعضهن إلى بعض.

قال في " الإكليل " : فيه إباحة نظر المرأة إلى المرأة كمحرم. وروى ابن أبي حاتم عن عطاء؛ أن أصحاب النبيّ ﷺ لما قدموا بيت المقدس، كان قوابل نسائهن اليهوديات والنصرانيات.

وقال الرازيّ: القول الثاني هو المذهب وقول السلف الأول محمول على الاستحباب والأوْلى.

وقوله تعالى: {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ} أي: لاحتياجهن إليهم. فلو منع دخولهم عليهن اضطررن. قاله المهايميّ. وظاهر الآية يشمل العبيد

والإماء. وإليه ذهب قوم. قالوا: لا بأس عليهن في أن يظهرن لعبيدهن من زينتهن ما يظهرن لذوي محارمهن. واحتجوا أيضاً بما رواه أبو داود عن أنس أن النبيّ ﷺ أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها. قال: وعلى فاطمة ثوب، إذا قنعت به رأسها، لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها، لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبيّ ﷺ ما تلقى قال: «**إنه ليس عليك بأس. إنما هو أبوك وغلامك**».

وجاء في " تاريخ ابن عساكر " أن عبد الله بن مسعدة كان أسود شديد الأدمة. وقد كان وهبه النبيّ صلوات الله عليه لابنته فاطمة. فربّته ثم أعتقته، ثم كان، بعدُ مع معاوية على عليّ. نقله ابن كثير، فاحتمل أن يكون هو هو. والله أعلم.

وذهب قوم إلى أنه بذلك الإماء المشركات، وأنه يجوز لها أن تظهر زينتها إليهن وإن كن مشركات. قالوا: وسرّ إفراد الإماء مع شموله قوله: {أَوْ نِسَآئِهِنَّ} لهن الإعلام بأن المراد مَنْ في صحبتهن من الحرائر والإماء لظهور الإضافة في نسائهن بالحرائر. كقوله: {شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ} [البقرة: ٢٨٢]، فعطفن عليهن ليشاركنهن في إباحة النظر عليهن، والقول الأول أقوى. لأن الأصل هو العمل بالعامّ حتى يقوم دليل على تخصيصه. لا سيما والحكمة ظاهرة فيه وهي رفع الحرج. وهذا الذي قطع به الشافعيّ وجمهور أصحابه.

قال في " الإكليل " : وعلى الأول استدل بإضافة اليمين على أنه ليس لعبد الزوج النظر. واستدل من أباحه بقراءة: {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}.

وقوله: {أَوِ التَّابِعِينَ} أي: الخدام لأنهن في معنى العبيد: {غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ} أي: الحاجة إلى نساء: {مِنَ الرِّجَالِ} كالشيخ الهرم والبله واستدل بهذا من أباح نظر الخصيّ. وقوله تعالى: {أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ} أي: لم يفهموا أحوالهن، لصغرهم. فيستدل به على تحريم نظر المراهق الذي فهم ذلك كالبالغ. كما في " الإكليل ".

قال الزمخشري: يظهروا إما من ظهر على الشيء إذا اطلع عليه، أي: لا يعرفون ما العورة، ولا يميزون بينها وبين غيرها. وإما من ظهر

على فلان إذا قوي عليه وظهر على القرآن أخذه وأطاقه أي: لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء. والطفل مفرد وضع موضع الجمع بقرينة وصفه بالجمع. ومثله الحاج بمعنى: الحجاج. وقال الراغب: إنه يقع على الجمع.

تنبيه:

قال السيوطي في " الإكليل " : استدل بعضهم بقولهم تعالى:{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا} الخ على أنه لا يباح النظر للعم والخال، لعدم ذكرهما في الآية. أخرج ابن المنذر عن الشعبيّ وعكرمة، قالا: لم يذكر العم والخال لأنهما ينعتان لأبنائهما، ولا تضع خمارها عند العم والخال.

وقال الرازيّ: القول الظاهر أنهما كسائر المحارم في جواز النظر. وهو قول الحسن البصريّ. قال: لأن الآية لم يذكر فيها الرضاع وهو كالنسب. وقال في سورة الأحزاب:{لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ} [الأحزاب: ٥٥]، الآية، ولم يذكر فيها البعولة ولا أبناءهم. وقد ذكروا هاهنا. وقد يذكر البعض لينبه على الجملة.

ثم قال: في قول الشعبيّ من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر.

ثم أشار تعالى إلى أن الزينة، كما يجب إخفائها عن البصر، يجب عن السمع، إن كانت مما تؤثر فيه ميلاً، بقوله سبحانه:{وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ } أي: الأرض.{لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ} أي: عن الأبصار:{مِن زِينَتِهِنَّ} كالخلخال. وهذا نهي عن ما كان يفعله بعضهن. وذلك من ضرب أرجلهن الأرض ليتحرك خلخالهن فيعلم أنهن متحلين به. فإن ذلك مما يورث الرجال ميلاً إليهن، ويوهم أن لهن ميلاً إليهم.

قال الزمخشري: وإذا نهين عن إظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن إظهار الحلي، علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحليّ أبلغ وأبلغ. قيل: وإذا نهي عن استماع صوت حليهن. فعن استماع صوتهن بالطريق الأولى. وهذا سد لباب المحرمات، وتعليم للأحواض الأحسن، لا سيما في مظانّ الريب وما يكون ذريعة إليها.

تنبيه:

قال ابن كثير: يدخل في هذا النهي كل شيء من زينتها كان مستوراً، فتحركت بحركة، لتظهر ما خفي منها. ومن ذلك ما ورد من نهيها عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ليشم الرجال طيبها. فروى الترمذي عن أبي موسى عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا**». يعني زانية.

قال: ومن الباب عن أبي هريرة. وهذا حديث حسن صحيح. ورواه أبو داود والنسائي. وروى الترمذي أيضاً عن ميمونة بنت سعد؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**الرافلة في الزينة في غير أهلها، كمثل ظلمة يوم القيامة، لا نور لها**». ومن ذلك أيضاً، نهيهن من المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج. فروى أبو داود عن أبي أسيد الأنصاري أنه سمع النبيّ ﷺ وهو خارج من المسجد، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق. فقال رسول الله ﷺ للنساء: «**استأخرن، فإنه ليس لكُنَ أن تَحْقُقْنَ الطريق. عليكن بحافات الطريق**». فكانت المرأة تلصق بالجدار، حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به. وقوله تعالى: {وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ} أي: ارجعوا إليه بالعمل بأوامره واجتناب نواهيه، فإن مقتضى إيمانكم ذلك: {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} أي: لكي تفوزوا بسعادة الدارين. ولما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة) انتهى كلام الشيخ رحمة الله.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٢٦).

* مسألة: ما حكم نظرة الفجأة؟ أن يصرف بصره كما جاء في حديث جرير بن عبد الله.

قال القرطبي: " إنما أمره أن يصرف بصره عن استدامة النظر إلى ما وقع عينه عليه أول مرة وإنما لم يتعرض إلى الأولى، لأنها لا تدخل تحت خطاب التكليف، إذ وقوعها يتأتى أن يكون مقصوداً، فلا تكون مكتسبة فلا يكون مكلفا بها، فأعرض عما ليس مكلفا به، ونهاه عما يكلف به، لأن استدامة النظر مكتسبة للإنسان، إذ قد يستحسن ما وافقه بصره فيتابع النظر، فيحصل المحذور وهو النظر إلى ما لا يحل ولذلك قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك**

الأولى، وليس لك الثانية». المفهم (٤٨٢/٥).

(انتهى)

(يقول الشيخ سعيد بن مسفر في بعض محاضراته)

عن فوائد غض البصر

(سئل الشيخ حفظه الله)

ما السبيل إلى حفظ العين، والفتن تعرض على الأعين صباح مساء، فكم من شابٍ انحرف وكان ضحية للنظر الحرام، فهل من رسالةٍ إلى أولئك؟

الجواب

غض البصر من أعظم الأعمال والقربات، ينال به الإنسان ثواباً عظيماً عند الله سبحانه وتعالى، وله فوائد كثيرة: وأول فائدة من غض البصر: أنه يصعد إلى درجة الإحسان، لماذا؟ لأنه ما غض بصره إلا لشعوره بأن الله يراه، وهذه مرتبة الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فعندما رأيت امرأة وعرفت أن الله يراك غضضت بصرك، فهذه مرتبة الإحسان.

ثانياً: يفتح الله بصيرتك، فإن الجزاء دائماً من جنس العمل، فمن غض بصره أطلق الله بصيرته في دين الله، ومن فتح بصره أعمى الله بصيرته في دين الله، والجزاء من جنس العمل.

ثالثاً: (من غض بصره احتساباً لوجه الله أبدله الله إيماناً يجد حلاوته إلى يوم يلقاه).

رابعاً: حسنة؛ لأن العبد إذا هم بسيئة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، هممت أن تنظر إلى امرأة ثم غضضت بصرك، ما الذي جعلك تغض؟ خوفاً من الله، فغضك للبصر ثواب.

خامساً: أن تعلم أن نظر الله أسرع إليك من نظرك إلى المنظور إليه، قالوا للحسن البصري: [بم نستعين على غض البصر؟ قال: بعلمك بأن نظر الله إليك أسرع من نظرك إلى المنظور إليه] فأنت تنظر والله ينظر

فما هو موقفك؟! لو أن رجلاً معه امرأة ويمشي بها في الشارع، وجئت أنت أمامه وهو واقف بجانبها وأنت تنظر إليها وهو واقف، هل أحد يفعل هذا؟ لا يستطيع، يخجل ممن؟ من الزوج، أفلا تخجل من الله؟! هذه من محارم الله، وكل هذه الأمور يجب أن تستشعرها وتستعين بالله ثم تغض بصرك.

أيضاً: أن تعلم أن إطلاق البصر لا يفيد، يعني: مهما نظرت هل تشبع؟ مثل رجل يكاد أن يموت من الجوع، وهناك قدر مملوء من أحسن الطعام، ولكنه بعيد، وهو يشم، هل يشبع بالشم؟ لا يشبع إلا (بضرب الخمس) إذا أكل، كذلك هناك امرأة هل تشبع بالنظر؟ لا يشبع إلا (بضرب الخمس)، وجوع الجنس مثل جوع البطن، إذاً لماذا تعذب نفسك وتنظر في النساء؟ يقول الله عز وجل: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ} [النور: ٣٠]، أفضل لك، هذا ربك يقول: إن غض البصر أزكى لك.

ثم في غض البصر راحة القلب، فإن القلب مصب العين، فإذا صبت العين على القلب جمراً احترق؛ ولهذا يقول:

وأنت إذا أرسلت طرفك رائداً ::: لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ
رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ عليه ::: ولا عن بعضه أنت صابرُ

والآخر يقول:

وأنا الذي جلب المنية طرفه ::: فمن المطالب والقتيل القاتل

وبعض الناس تجده يخرج من بيت أهله ليس عنده مشكلة، فإذا ذهب إلى السوق أو الشارع ورأى امرأة، نظر إليها ونظرت إليه، وعاد إلى البيت وهو مغموم مهموم، يقولون له: تعش، قال: لا أريد، ماذا بك؟ ما الذي حصل؟ نظرة.

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوسٍ ولا وترِ

وماذا تعمل؟ غض بصرك، صحيح أن غض بصرك متعب؛ لكنه أسهل مليون مرة من تعب فتح البصر، طاعةً لله تبارك وتعالى، والله لا يقول لك غض بصرك دائماً، لا.

غض بصرك إلى أن تتزوج، فإذا تزوجت فافتح عينك على امرأتك إلى أقصى حد؛ لأنها معك، لكن أن تنظر في بنات الناس، ماذا تستفيد؟ ذهبت بيت أهلها، وأنت ذهبت بيت أهلك، وهب فرضاً أنك استطعت أن تصل إليها عن طريق الحرام، وأشبعت جوعة الجنس التي هي مثل جوعة البطن، نحن تغدينا قبل الساعة الثانية، والآن ما رأيكم هل أنتم جائعون؟ كذلك الذي يصل إلى الحرام بعد يومين يريد الحرام، وإلى متى وأنت في الحرام؟ أوقف الحرام إلى أن تتزوج ثم انظر إليها؛ لأنك تنظر في شيء في يدك، إذا أردتها فهي حاضرة وهي حلال ولك أجر على جماعك.

نصيحة لمن يكل ويمل من حياة الالتزام

السؤال: يستطيل بعض الشباب الطريق ويمل ويكل ويقسو قلبه أحياناً، ويصبح التزامه مجرد عادة لا عبادة، فما الحل إلى ذلك جزاكم الله خيراً؟

الجواب: الحل أن يعرف أن الطريق طويل وشاق، ومحاط بالشهوات والشبهات والمكاره، وإن الأمر يتطلب منه أن يستقيم إلى أن يموت، يقول الله: { وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ } [الحجر: ٩٩]، وما هو اليقين؟ الموت، وإذا لم يدرك الإنسان هذه المعاني فإنه سيسقط في الطريق ولن يواصل.

(انتهى كلام الشيخ حفظة الله تعالى)

(قلت) أسأل الله تبارك وتعالى أن يجنبنا الفتن ماظهر منها ومابطن وأن يوسع أرزاقنا في الدنيا والآخرة إنة أرحم الراحمين جواد كريم آمين.

* * *

[من مفاتيح الرزق - الإنفاق على طلبة العلم الشرعى]

(أحبتى في الله)

بينا في باب سابق - من هذا الكتاب - أن من مفاتيح الرزق الإنفاق في سبيل الله وذكرنا بأنه سبب رئيسى لزيادة الرزق.

والبركة في الدنيا والآخرة - ولكنى أردت في هذا العنصر أن أتكلم على باب الإنفاق على طلبة العلم الشرعى في باب خاص به لأنه من الأهمية بمكان وهذا باب غفل عنه الكثيرون لأننى رأيت بأم عينى بعض - طلبة العلم الشرعى - لايجدون ما يفرغونهم لنشر العلم بين الناس ولا يفطن إليهم فتركوا العلم الشرعى واشتغلوا بأعمال صرفتهم عن هذا الخير الكبير

(رسالة إلى الأغنياء)

- أخى الحبيب -

أنك إن أنفقت من مالك على طلبة العلم الشرعي فإن الله سوف يبارك لك في مالك بل وسوف ينميه لك ويخلف عليك من فضله، وهذا باب مع كل أسف غفل عنه الكثيرون، فتراه ينفق على فقير محتاج وهذا خير أيضا، لكن إذا دعي لمشروع دعوي من أجل طلب علم شرعي، أو حلقات تحفيظ القرآن الذي هو أعظم العلم تراه يحجم ولا يشارك ويقول بأن سد حاجة الفقير أولى، وهذا خطأ أحياناً.

خذ هذا المثال: الإنفاق على الجهاد في سبيل الله يكون في كثير من الأحيان أعظم من إطعام فقير، لأن الفقير لا يموت جوعاً، أما الجهاد إذا عطّل في الأمة كما هو الآن فإن الأمة كلها قد تنكب ويصيبها الذل والهوان، وليس باب العلم الشرعي بأقل من باب الجهاد لأن ذاك جهاد بالسيف والسنان، وهذا جهاد بالقلم والبيان، والأمة محتاجة للأمرين معاً، روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: كان إخواني على عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ قال الشارح: أنه يأتيه لطلب العلم - والآخر تحترف - يعني عنده صنعة - فشكى المحترف أخاه النبي ﷺ فقال المصطفى عليه الصلاة والسلام: **«لعلك ترزق به»**.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن المتفرغين لطلب العلم الشرعي داخلون في قوله تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} [البقرة: ٢٧٣].

- وقد يكون طالب العلم هذا فقيرا -.

سئل رسول الله ﷺ : أي الصدقة أفضل؟ قال: «سرّ إلى فقير وجهد إلى مقل، وقد أثنى الله تعالى على شدة المتصدق بالسر». فقال النبي ﷺ : «لما خلق الله عز وجل الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فتعجب الملائكة من خلق الجبال، فقالت: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال نعم، الحديد، قالت: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال نعم، النار، قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال نعم، الريح، قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله» (١).

أخي القارئ: من أنفق في سبيل الله وبذل في وجوه الخير، فإن الحسنة تضاعف له من عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف يعني أن من أنفق لوجه الله فإنه يشبه من زرع حبة أنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة، أي أن غلة الحبة تضاعف سبعمائة مرة، وقد يضاعف الله الثواب إلى أكثر من ذلك. وأن الله يزيد الثواب على قدر حال المنفق ورغبته فيما عند الله. وإخلاص النية (٢) قال تعالى: {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾} [البقرة: ٢٦١].

فالمسلم الصادق هو الذي يكون قويًا في إيمانه، ويكون بماله معينًا على نوائب الحق، ويشمل ببره وإحسانه كل محتاج إلى رفده. فما يتحلى الغني بخصال الخير والأخلاق الفاضلة إلا وتظهر عليه علامات شكر

---

(١) مسند الإمام أحمد والترمذي.
(٢) الصدقات وأثرها على الفرد والمجتمع/ إبراهيم بن محمد الضبيعي، ص٣، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

النعمة، ومن أبرزها صفتي الجود والكرم، وهي صفات الله جل وعلا. فهو الجواد الكريم. فمن واجب المسلم أن يشكر الله على نعمه، والشكر ثلاثة أنواع.. شكر في القلب: وهو تصور النعمة، وشكر باللسان: وهو الثناء على الله سبحانه وتعالى والتحدث بنعمه، وشكر بالجوارح: وهو مقابلة النعمة بما يستحق من العمل والصدقات تكاد تشتمل على أنواع الشكر الثلاثة.

أخي القارئ إن المؤمن حقًا هو الذي يبادر إلى الخيرات، ويسارع إلى الأعمال الصالحة وينفق مما آتاه الله. قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: عليك بالصدقة بما قل أو كثر، فإن في الصدقة عشر خصال محمودة: خمس في الدنيا وخمس في الآخرة [1]: فأما الخمس التي في الدنيا:

فأولاها: تطهير المال كما قال النبي ﷺ: «**يا معشر التجار إن هذا البيع يحضره الحق والكذب، فشوبوه بالصدقة**» [2].

والثانية: إن من نفعها تطهير البدن من الذنوب. كما قال الله عز وجل: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا} [التوبة: ١٠٣].

والثالثة: إن فيها دفع البلاء والأمراض، كما قال النبي ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة وأعدو للبلاء الدعاء**» [3].

الرابعة: إن فيها إدخال السرور على المساكين، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين.

والخامسة: إن فيها بركة في المال وسعة في الرزق. كما قال الله تعالى{وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [سبأ: ٣٩].

وأما الخمس التي في الآخرة:

فأولاها: أن تكون الصدقة ظلاً لصاحبها من شدة الحر.

والثانية: إن فيها خفة الحساب.

---

(١) أين نحن من هؤلاء/ عبد الملك القاسم، ص١٩٨، جـ٤، دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) صحيح النسائي.

(٣) أخرجه البيهقي وحسنه الألباني.

والثالثة: إنها تثقل الميزان.

والرابعة: جواز على الصراط.

والخامسة: زيادة الدرجات في الجنة ولو لم يكن في الصدقة فضيلة سوى دعاء المساكين لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيها، فكيف وفيها رضا الله تعالى ورغم الشيطان وفيها الاقتداء بالصالحين؛ لأن الصالحين كانت همتهم الصدقة.

قال ﷺ: **«ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمه الله ليس بينه وبينه تُرجمان فينظُرُ أيمنَ منه فلا يرى إلا ما قدم فينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم فينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة»** (١). أي: أن العبد برحمة الله قد ينجو من النار ولو تصدق بالقليل ولو كان مقدار «**نصف التمرة**».

ومما يدل على فضل الصدقة، وفضل الإحسان إلى المساكين وأبناء السبيل، وفضل أكل الإنسان من كسبه والإنفاق على العيال (٢) وأن من فعل ذلك يبارك الله له في ماله ويحصل له الأجر العظيم.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»** (٣).

أخي القارئ.. أختي القارئة: من أفضل الصدقات التصدق بسقي الماء، لحديث سعد بن عبادة - - رضي الله عنه - - قال: قلت يا رسول الله، إن أمي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: «**نعم**» قلت: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «**سقي الماء**» فتلك سقاية سعدٍ بالمدينة وفي لفظ لأبي داود: «**فحفر بئرًا وقال: هذه لأم سعدٍ**» (٤) ولكن يتحرى المتصدق حاجة الناس فيتصدق بما

(١) متفق عليه.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٢٥/١٨.

(٣) متفق عليه.

(٤) صدقة التطوع في الإسلام، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص٢٨.

تدعو إليه الحاجة، سواء كانت في الماء أو في غيره [١].

قال العلامة السعدي - رحمه الله: {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ} [إبراهيم: ٣١].

أي لا ينفع فيه شيء ولا سبيل إلى استدراك ما فات، لا بمعارضة ببيع وشراء، ولا بهبة خليل وصديق، فكل امرئ له شأن يغنيه، فليقدِّم العبد لنفسه، ولينظر ما قدمه لغدٍ، وليتفقَّد أعماله، ويحاسب نفسه قبل الحساب الأكبر.

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾} [البقرة: ٢٥٤].

وهذا من فضل الله ولطفه بعباده أن أمرهم بتقديم شيء مما رزقهم، ليكون لهم ذخرًا وأجرًا في يوم يحتاج فيه العاملون إلى مثقال ذرة من الخير، فلا بيع فيه، ولو افتدى الإنسان نفسه بملء الأرض ذهبًا ليفتدي به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منه، ولم ينفعه خليل ولا صديق: لا بوجاهة، ولا بشفاعة [٢].

* * *

[رسالة إلى إخواني طلبة العلم]

- أحبتي في الله -

إن من أعظم سعادةِ الرُّوحِ، والقلبِ، والبدنِ، طلب العلم النافع؛ الذي يدل على الله ويقرب العبد منه، فإن في مشقة هذا العلم لذة لا تعدلها لذة، ولولا جهل الأكثرين بحلاوةِ هذه اللذة، وعِظَمِ قدرها لتجالدوا عليه بالسيوف، ولكن حُجبوا عنها بحجاب من جهل، ليخص الله من شاء به من عباده، والله ذو فضلٍ عظيم، وقد يتعرض الطالب في أول الطلب إلى مرارة وغصص بسبب ما تراكم على القلب من أمراض الجهل ولكن سرعان ما تزول بالصبر والاستمرار.

(١) مصدر سابق، ص٢٨.
(٢) صدقة التطوع، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص٣١.

لقد دل الله عليهم، وأرشد إليهم فقال تعالى: {فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣].

وقال تعالى: {وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾} [التوبة: ١٢٢].

فالعلماء هم صمام أمن الأمة، وبها يعلي الله قدرها ويرفع شأنها، وهم ورثة النبي ﷺ ، وتفرغهم للعلم وطلبه مطلب أساسي يجب على الأمة أن تدركه.

وأفضل الإنفاق، وأقرب الصَّدقات، وأعظم القُربات؛ ما تقرب به العبد في نشر العلم والإعانة عليه، وأن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدُّنيا المتجردين لتجارة الآخرة؛ الَّذِين يستعينون بهذه الصَّدقة على طاعة الله، فتكون شريكًا لهم في طاعته سبحانه وتعالى بإعانتك إياهم، فإن همم هؤلاء لله؛ فإن طرقتها فاقة تشتَّتَ هَمُّه، فلئن تَرُدَّ هَمَّ أحدهم إلى الله تَعَالَى؛ خيرٌ لك من أن تُعْطِي ألفًا ممن همته الدُّنيا، فالعلم أشرف العبادات، وأصحابه مشغولون به، فإن انقطعوا لغيره ضيَّعوه، فهم أولى أن تنفق لهم الأموال، ويبذل لهم الفضل، وتتجه إليهم القلوب؛ لأن الكُلَّ عنهم غافل، فهم مستترون مخفيون، لا يكثرون البث والشَّكوى، قَالَ تَعَالَى: {يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا} [البقرة: ٢٧٣].

ولقد بين النَّبِيّ ﷺ أنه لا حسد في مال إلا لمنفق أنفق ماله وأهلكه في الحقِّ.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيّ ﷺ : «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ الله مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» (١).

فانظر كيف قَرَن النَّبِيُّ ﷺ بين العلم والنَّفقة في من يستحق أن يغبطه النَّاس ويستوجب الحسد؛ من رزق بركة العلم فهو أعلى الدَّرجات وفي

(١) رواه البخاري (٧٣) مسلم (٨١٥).

من ينفق ماله في الحقِّ، وليس هناك حق أفضل من الإنفاق على طلبة العلم، وفي نشر العلم.

وكان لابن المبارك السبق في ذلك، فكان ينفق على جُلِّ علماء زمانه ويفتخر بهذا ويفرح، ليحض على معونة ومساعدة هؤلاء، ولقد كان العلماء يفرحون بصلته ويعظمونها لما يعلمون أنها من خالص الحلال رغم أن غالبهم كان يرد صلة الخلفاء والأمراء.

فالوقف على طلبة العلم والعلماء وكفايتهم مؤنة الدنيا وتفريغهم للعلم الشرعي من أعظم القربات وأجل ما يبذله العبد في باب الصدقات.

قال حبان بن موسى: " عوتب ابن المبارك فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، فقال: إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم، احتاجوا! فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم " [١].

فأفضل نعمة طلب العلم ومن أعانه على الطلب فهما في الأجر سواء.

فالإنفاق على العلم من الإنفاق في سبيل الله وطرق الخير والبر، إذ هو من أعظم جهات البر، وقد جعل بعض العلماء الإنفاق على العلم يعدل الإنفاق على الجهاد في سبيل الله، لما روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَانَ فِي سَبِيلِ الله حَتَّى يَرْجِعَ» [٢].

ولأن الجهاد جهادان:

جهاد بالعلم والبيان: وكان هذا جهاد النبي ﷺ في المرحلة المكية.

وجهاد بالسيف والسنان: وهذا جهاد النبي ﷺ في المرحلة المدنية مع الجهاد السابق.

قال ابن نجيم - رحمه الله -: "... فعلى هذا إذا وقف على طلبة علم

---

(١) تاريخ دمشق٣٢/٤٥٥).
(٢) أخرجه الترمذي في العلم، باب: فضل العلم (٢٦٤٩) وحسنه.

بلدة كذا يجوز... ". [1].

قال ابن عابدين - رحمه الله -: " مطلب في حكم الوقف على طلبة العلم.. قوله: وإن على طلبة العلم: ظاهره: صحة الوقف عليهم.. ". [2].

وقال الخرشي - رحمه الله -: " ويتأبد الوقف إذا قال تصدقت على الفقراء والمساكين، أو على المساجد، أو طلبة العلم وما أشبه ذلك... " [3].

وقال النووي - رحمه الله -: " وإن وقف على جهة معصية كعمارة الكنائس فباطل، أو جهة قربة كالفقراء، والعلماء، والمساجد، والمدارس صح " [4].

وفي مغني المحتاج: " والمراد بالعلماء: أصحاب علوم الشرع " [5].

وفي كشاف القناع: " الشرط الثاني: أن الوقف على بر... كالفقراء والمساكين والغزاة والعلماء والمتعلمين وكتابة القرآن... والمساجد والمدارس... ". [6].

الوقف على دور العلم

ولذلك نرى في العصور الماضية لما علم الأمراء والأثرياء من الناس خطورة إهمال باب النفقة على العلماء وطلبة العلم ودور التعلم كانوا يوقفون أموالا من أجل ذلك من أرض ودور وعقارات وغيرها، تكون وقفا لطلب العلم الشرعي

فإن من أعظم الأسباب المعينة لطالب العلم سهولة الرزق وطلب العيش، وأن يكون حلالا، فإن طالب العلم يحتاج من الدنيا إلى ما يبلغه إلى الآخرة، فكلما كانت الدنيا له معوق كان على حساب الآخرة، فالدنيا

---

(١) البحر الرائق (٥/١٩٩).
(٢) حاشية ابن عابدين (٣/٣٨٧).
(٣) شرح الخرشي على مختصر خليل (٧/٨٩).
(٤) المنهاج مع مغني المحتاج (٢/٣٨١).
(٥) المنهاج مع مغني المحتاج (٢/٣٨١).
(٦) كشاف القناع ٤/٢٤٥.

مزرعة الآخرة ومدرجة إليها، والناس في أمر الدنيا متفاوتون فمنهم من شغلتهم الدنيا عن الآخرة، ومنهم من شغلته آخرته عن دنياه، ومنهم من شغله معاشه لمعادة وهم أهل الاعتدال، فهو من المقتصدين، ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد، ولن ينتهض من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة، ما لم يتأدب في طلبها بآداب الشريعة فقد جعل سبحانه التكسب من الدنيا وسيلة، وضبطت بضابط من الشرع، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} [الأعراف: ١٠].

وقال تعالى: {وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ} [الإسراء: ١٢].

وقد أمر النبي ﷺ بالتكسب وطلب معاش الدنيا وحذر من أن يكون العبد عالة على الناس أعطوه أو منعوه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ**» (١).

فلا يعني النفقة على طالب العلم أن يتكفف الناس ويتطلع إليهم ولكن عليه ببذل الأسباب والتصبر ولا بد لتوجيه الأغنياء لهذا الباب أي باب الإنفاق على طلبة العلم وإعانتهم في الطلب.

فمن أعظم النعم وأجل المنن أن يوفق العبد إلى العلم النافع؛ فبه سعادة الدنيا والآخرة، فلو جمع نعيم الدنيا ما عدل نعيم طالب العلم، فقد يكون في أول طريقه مضيق عليه متعسر عليه النفقة - في جهد وبلاء - ولكن إن صبر عوضه الله خيرا في الدنيا والآخرة، فهذا القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة يذكر قصته في أول الطلب.

عن علي بن الجعد قال: أخبرني يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف قال: توفي أبي وخلفني صغيراً في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصّار (٢) أخدمه، فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة، فأجلس فأستمع، وكانت أمي

(١) البخاري (١٤٧٠) مسلم (١٠٤٢

(٢) الذي يقصر الثياب «لسان العرب».

تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي، وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يعنى بي، لما يرى من حرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا كسب له، وأنا أطعمه من مغزلي، وآمل أنه يكسب دانقاً يعود به على نفسه. فقال لها أبو حنيفة: مُري يا رعناء، ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق. فانصرفت وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك.

ثم لزمته، فنفعني الله بالعلم، ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد، معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قدَّم إليَّ هارون فالوذجة بدهن فقال لي هارون: يا يعقوب، كُلْ منه، فليس كل يوم يعمل لنا مثله. فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوذجة بدهن الفستق، فضحكت. فقال لي: مم تضحك؟ قلت: خيراً، أبقى الله أمير المؤمنين. فقال: لتخبرني. وألحَّ عليَّ، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فتعجب من ذلك، وقال: لعمري إن العلم يرفع وينفع دنيا وآخرة. وترحم على أبي حنيفة، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يرى بعين رأسه. " المنتظم " (١٤٢/٣).

أسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع الذي يرفعنا الله بة في الدنيا والآخرة إلى مقامات الصديقين وأعمال المخلصين إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

* * *

[من مفاتيح الرزق] التسمية في كل الأحوال

(أحبتي في الله)

إن من بركات الرزق ومفاتيحة التسمية عند كل شيء.

فأما التسمية: فقد ثبت أنه ﷺ كان يذكر اسم الله تعالى ويسمي في كثير من الأحيان، ويأمر أصحابه بذلك وذلك لما يحصل من ذكر اسم الله تعالى من البركة، وطرد الشيطان ومنع مشاركته الإنسان إلا فيما لم يذكر اسم الله تعالى عليه.

قال تعالى: { وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ

وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾} [الإسراء: ٦٤].

فسَّر بعض العلماء المشاركة هنا بأشياء كثيرة: منها مشاركة الشيطان للمجامع زوجته إذا لم يذكر اسم الله تعالى فقد جاء عند البخاري [(١)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أما إن أحدكم إذا أتى أهله وقال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فرزقا ولدًا، لم يضره الشيطان**».

وأصرح حديث بالأمر بالتسمية وبخاصة عند الطعام، هو ما جاء عند أبي داود [(٢)]، والترمذي [(٣)]، والحاكم [(٤)]، وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله، فليقل: بسم الله أوله وآخره**». هذا لفظ أبي داود، وعند الترمذي والحاكم بنحوه. وقال الحاكم عقبه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا ابن قيم الجوزية [(٥)].

وقد جاء عند البخاري [(٦)]، ومسلم [(٧)] وغيرهما أيضًا حديث عمر بن أبي سلمة وفيه أن النبي ﷺ قال له: «**يا غلام سمِّ الله وكل بيمينك، وكل مما يليك...**».

وتظهر فائدة التسمية بشكل جلي من خلال الأحاديث التالية:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**كلُّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر**» وفي لفظ: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع**» وفي رواية: «**فهو أجذم**» أخرجه كل من ابن ماجه

---

(١) الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٦/٣٣٥)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٧٠، ٧١).
(٢) السنن، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام (٣/٣٤٧).
(٣) الجامع، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام (٥/٥٩٤ - ٥٩٥).
(٤) المستدرك (٤/١٠٨).
(٥) زاد المعاد (٢/٣٩٧).
(٦) الصحيح، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، والأكل باليمين (٩/٥٢١).
(٧) الصحيح، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب، وأحكامهما (٣/١٥٩٩).

[١]، وأبي داود [٢]، وابن حبان [٣]، والدارقطني [٤]، والنسائي [٥]، واللفظ الثاني هو الأكثر، والأشهر، وقد ذكر طرقه السبكي وصححه [٦]، وقال النووي [٧]: هذا الحديث حسن... روي موصولاً ومرسلاً، ورواية الموصول إسنادها جيد، ومعنى أقطع: قليل البركة.

وقال المحشي على سنن ابن ماجه: قال السندي: " الحديث حسنه ابن الصلاح والنووي " [٨].

قال الحافظ ابن حجر عند الكلام على كتاب النبي ﷺ لهرقل: " فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ": قال النووي: " فيه استحباب تصدير الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم ويحمل قوله في حديث أبي هريرة: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع**» أي بذكر الله كما جاء في رواية أخرى فإنه روي على أوجه بذكر الله، ببسم الله، بحمد الله، قال: وهذا الكتاب كان ذا بال من المهمات العظام ولم يبدأ فيه بلفظ الحمد بل بالبسملة " [٩].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عند كل من مسلم [١٠]، وأبي داود [١١]، وابن ماجه [١٢]، وأحمد [١٣]، أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء**»، هذا لفظ مسلم، والباقون بنحوه

(١) السنن، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (١/٦١٠).
(٢) السنن، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام (٤/٢٦١).
(٣) الصحيح (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) (١/١٧٣ - ١٧٥) حديثا (١، ٢).
(٤) السنن (١/٢٢٩).
(٥) عمل اليوم والليلة (ص ٣٤٥ - ٣٤٦).
(٦) طبقات الشافعية الكبرى (١/٥ - ٢١).
(٧) شرح مسلم (١/٤٣).
(٨) وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٣/١٨٥).
(٩) فتح الباري (٨/٢٢٠).
(١٠) الصحيح، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب (٣/١٥٩٨).
(١١) السنن، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام (٣/٣٤٦ - ٣٤٧).
(١٢) السنن، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا دخل بيته (٢/١٢٧٩).
(١٣) المسند (٣/٣٤٦، ٣٨٣).

وعندهم في أوله زيادة.

وعن عائشة رضي الله عنها عند كل من الترمذي [١]، وابن ماجه [٢] قالت: كان رسول الله ﷺ يأكل طعامًا في ستة من أصحابه فجاء أعرابي فأكله بلقمتين فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه لو سمَّى لكفاكم». هذا لفظ الترمذي، ولفظ ابن ماجه بنحوه، وفيه عنده زيادة، وقال الترمذي عقبه: هذا حديث حسن صحيح، وصححه - أيضًا - الألباني [٣].

... وقد ثبت عند البخاري [٤] ومن حديث غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم مرفوعًا: «أن المؤمن يأكل في معىً واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

مما سبق، ومن خلال النظر في كتب شروح الحديث يتبين ما يلي:

١ - أهمية التسمية على كل أمر ذي بال، وأنها جالبة للخير والبركة، طاردة للشيطان الملعون المطرود الذي يمحق البركة ويسر للمعصية. ومما يدل على أهمية التسمية أيضًا أن كثيرًا ممن خرج الأحاديث السابقة عقدوا تراجم أبوابهم بذكر التسمية كما هو ملاحظ.

٢ - يستحب التسمية في أوّل كل أمر ذي بال كالدخول، والخروج، والأكل، والشراب، والوزن، والكيل، وعدِّ النقود، واللباس، والجماع، ويلحق بها ما في معناها، وحمد الله تعالى في آخره. وقد نقل النووي الإجماع على استحباب التسمية وقال: فإن الشيطان يتمكن من أكل الطعام إذا شرع فيه إنسان بغير ذكر الله تعالى، وأكل الشيطان محمول على ظاهره وأنه يأكل حقيقة إذ العقل لا يحيله، والشرع لم ينكره، بل أثبته، فوجب قبوله واعتقاده.

شرح صحيح مسلم (١٣/٨٨ - ٩٠) بتصرف، وانظر الأذكار للنووي (ص٣٠٥ - ٣٠٧).

(١) الجامع، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام (٥/٥٩٥).
(٢) السنن، كتاب الأطعمة، باب التسمية عند الطعام (٢/١٠٨٦ - ١٠٨٧).
(٣) صحح سنن ابن ماجه (٢/٢٢٤).
(٤) الصحيح، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل في معىً واحد (٩/٥٣٦).

٣ - وقد قيل: إن معنى ذلك هو استحسان الشيطان رفع البركة من ذلك الطعام إذا لم يذكر اسم الله عليه.

انظر: فتح الباري (٥٢٢/٩).

٤ - أن الشيطان لم يسلَّط بإذن الله تعالى على من يسمي من أجل بركة التسمية، لأن في ذكر الله تعالى ودعائه اعتصاماً من الشيطان وأعوانه، فلا يشركهم الشيطان ولا يقربهم، وبذلك تحصل البركة.

فتح الباري (٢٢٩/٩) ببعض التصرف.

* * *

[ومن كتاب رياض الصالحين]

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عنها قالت: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يَذْكُرُ الله تعالى عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ. رواهُ مسلم.

فيه: مشروعية الذكر على كل حال طاهرًا أو مُحْدثًا.

وعن ابن عباسٍ - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ**». متفق عَلَيْهِ.

قوله: «لم يضره». في رواية: «لم يضره الشيطان أبدًا»، أي: لم يسلَّط عليه لأجل بركة التسمية، بل يكون من جملة العباد الذين قال الله فيهم: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [الإسراء: ٦٥].

وقد قال الله تعالى: {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الإسراء: ٦٤].

قال مجاهد: إن الذي يجامع ولا يسمّي، يلتف الشيطان على إحليله فيجامع معه.

قيل للبخاري: من لا يحسنها بالعربية يقولها بالفارسية؟ قال: نعم.

وفي الحديث: استحباب التسمية والدعاء والمحافظة على ذلك في كل حال، حتى في حالة الملاذ.

وفيه: الاعتصام بذكر الله ودعائه من الشيطان، والتبرك باسمه،

والاستعاذة به من جميع الأسواء.

وفيه: إشارة إلى أنّ الشيطان ملازم لابن آدم لا ينطرد عنه إلا إذا ذكر الله.

- باب مَا يقوله عِنْدَ نومه واستيقاظه.

- عن حُذَيفَةَ وأبي ذرٍ رضي الله عنهما قالا: كَانَ رسولُ الله ﷺ إذَا أوَى إلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأموتُ» وَإذَا اسْتَيقَظَ قَالَ: «الحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أماتَنَا وإلَيْهِ النُّشُورُ». رواه البخاري.

النوم أخوَ الموت، قال الله تعالى: { ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ } [الزمر: ٤٢].

وفي الحديث: استحباب هذا الذكر عند الاضطجاع، وعند الانتباه انتهى (من كتاب رياض الصالحين).

(من فتاوى الإسلام للشيخ محمد صالح المنجد)

سؤال رقم ٢١٧٣٤ - هل التسمية عند الجماع تعصم من الكبائر؟

هل التسمية عند الجماع تعصم المولود بإذن الله من الكبائر؟

الحمد لله

لقد ثبتت التسمية عند الجماع بحديث النبي ﷺ: «أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي: أَهْلَهُ بِاسْمِ الله اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا» رواه البخاري (٥١٦٥) ومسلم (١٤٣٤).

وأما فائدتها للمولود فقد اختلف العلماء في معنى قول النبي ﷺ: «لم يضره شيطان أبداً» على أقوال كثيرة:

١ - الْمَعْنَى لَمْ يُسَلَّط عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ بَرَكَة التَّسْمِيَة، بَلْ يَكُون مِنْ جُمْلَة الْعِبَاد الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ: { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ } [الإسراء: ٦٥].

٢ - وَقِيلَ لَمْ يَضُرّهُ فِي بَدَنه.

٣ - أنها تكون سبباً في عصمته من الشرك والكفر.

٤ - أنها تبعده عن الكبائر.

٥ - وَقِيلَ: لَمْ يَضُرّهُ بِمُشَارَكَةِ أَبِيهِ فِي جِمَاع.

أُمّه كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِد " أَنَّ الَّذِي يُجَامِع وَلا يُسَمِّي يَلْتَفّ الشَّيْطَان عَلَى إِحْلِيله فَيُجَامِع مَعَهُ ".

قال ابن حجر: " وَلَعَلَّ هَذَا أَقْرَب الأَجْوِبَة، وَيَتَأَيَّد الْحَمْل عَلَى الأَوَّل بِأَنَّ الْكَثِير مِمَّنْ يَعْرِف هَذَا الْفَضْل الْعَظِيم يَذْهَل عَنْهُ عِنْد إِرَادَة الْمُوَاقَعَة وَالْقَلِيل الَّذِي قَدْ يَسْتَحْضِرهُ وَيَفْعَلهُ لا يَقَع مَعَهُ الْحَمْل، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ نَادِرًا لَمْ يَبْعُد " اهـ.

(من الفتاوى للشيخ المنجد ج ٥ ص ٦٦٩)

(قلت) وعلى هذا أيها الأحبة يتبين لنا من هذا العنصر أن التسمية وذكر الله سببا رئيسيا في بركة الرزق ومن أفضل مفاتيح الرزق للعبد الصالح وكما تبين لنا أن النبى ﷺ حثنا على التسمية في جميع أمور المسلم.

أسأل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

* * *

[من مفاتيح الرزق ذكر الله سبحانه]

- أحبتى في الله -

يعد الذكر من أفضل الطاعات، إذ هو سِرُّها وروحها، وهو أكبر من كل شيء، وأفضل من كل شيء:{وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} [العنكبوت: ٤٥]. ولذا فقد كان ﷺ :«يذكر الله على كل أحيانه» كما جاء عند البخاري[١]، ومسلم [٢]، وغيرهما.

(١) الصحيح، كتاب الحيض باب تقضي الحائض المناسك كلها... (٤٠٧/١). وكتاب الأذان، باب هل يتبع المؤذن فاه ها هنا (١١٤/٢) وهو في الموضعين معلق.
(٢) الصحيح، كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها (٢٨٢/١).

(فوائد ذكر الله للإمام ابن القيم من كتابة مفتاح الآفكار للتأهب لدار القرار).

- يقول الشيخ -

" فصل في فوائد ذكر الله تعالى " :

قال ابن القيم رحمه الله: وفي ذكر الله أكثر من مائة فائدة يرضي الرحمن ويطرد الشيطان ويزيل الهم ويجلب الرزق ويكسب المهابة والحلاوة ويورث محبة الله التي هي روح الإسلام.

ويورث المعرفة والإنابة والقرب وحياة القلب وذكر الله للعبد هو قوت القلب وروحه ويجلي صداه ويحط الخطايا ويرفع الدرجات ويحدث الأنس ويزيل الوحشة.

ويذكر بصاحبه وينجي من عذاب الله ويوجب تنزل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر ويشغل عن الكلام الضار ويسعد الذاكر ويسعد به جليسه ويؤمن من الحسرة يوم القيامة وهو مع البكاء سبب لإظلال الله العبد يوم الحشر الأكبر في ظل عرشه.

وأنه سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين، وأنه أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها، وأنه غراس الجنة، وأن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره، وأن دوام الذكر للرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشة ومعاده.

شعرا:

لَوْ يَعْلَم العَبْدُ ما فِي الذّكْرِ مِنْ شَرَفٍ ::: أَمْضَى الحَيَاةَ بِتَسْبِيْحٍ وَتَهْلِيْلِ

آخر:

مَا أَنْعَمَ العِيْشَةَ لَوْ أَنَّ الفَتَى ::: يُلْهَمُ تَسْبِيْحًا لِخَلاقِ الوَرَى

وأن الذكر يسير العبد وهو في فراشه وفي سوقه، وأن الذكر نور الذاكر في الدنيا ونور له من قبره ونور له في معاده وأن في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء البتة إلا ذكر الله عز وجل.

وأن الذكر يجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزمه والذكر يفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على موت حظوظه ومطالبه، ويفرق ما اجتمع على حربه من جند الشيطان.

وأن الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه، والقلب إذا كان نائما فاتته الأرباح والمتاجر، وأن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر.

وأن الذاكر قريب من مذكوره ومذكوره معه وهذه المعية معية خاصة، وأن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل، وإن الذكر رأس الشكر، وأن أكرم الخلق على الله من المتقين من لا يزال لسانه رطبا من ذكر الله.

وأن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى وإن الذكر شفاء القلب ودواؤه والغفلة مرضه، وأن الذكر أصل موالاة الله عز وجل وأنه ما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله.

شعرا:

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ::: فَمَا خَابَ عَبدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذْكُرُ

آخر:

فَجالِسْ رِجَالَ العِلْمَ وَاحْفَظْ حديثهم ::: وَلا تَكُ لِلْجُهَّالِ يَوْمًا مُوَاخِيَا
وَلازَمْ فَتى فِي كُلِّ وَقْتٍ مُلازِمٌ ::: لِذِكْرِ الذِي فَوْقَ السماوات عَالِيَا
لَعَلَّكَ أَنْ تَعْتَادَ لِلْذِكْرِ مِثْلَهُ ::: فَتُحْرِزْ غُفْرانًا وَأَعْلَى الأَمَانِيَا

وأن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر وأن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر فإنها رياض الجنة، وأن مجالس الذكر مجالس الملائكة.

وأن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته، وأن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك وأن جميع الأعمال، إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى، وأن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرا لله عز وجل، فأفضل الصوام أكثرهم ذكر لله عز وجل.

وأن ذكر الله يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق، وأن ذكر الله يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، وأن في الاشتغال بالذكر اشتغالا عن الكلام الباطل من الغيبة والنميمة واللغو، وأن عمال الآخرة كلهم في مضمار السباق والذاكرون أسبقهم في ذلك المضمار ولكن القترة والغبار يمنعان من رؤية سبقهم.

فإذا انجلى. الغبار وانكشف، رآهم الناس، وقد حازوا قصب السبق، وأن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده، فإنه أخبر عن الله بأوصاف كماله ونعوت جلاله فإذا أخبر بها العبد صدقه ربه ومن صدقه الله لم يحشر مع الكاذبين ورجى له أن يحشر مع الصادقين.

شعرا:

وَدَاوِمْ وَلازِمْ قَرْعَ بَابِ مُؤَمِّلاً ::: فما خَيَّبَ المَوْلَى رَجَاءَ مُؤَمِّلِ
وَصَابِرْ فَمَا نَالَ العُلا غَيْرُ صَابِرٍ ::: وَقُلْ وَاعِظًا لِلنَّفْسِ عِنْدَ التَّمَلْمُلِ
مَعْ الصَّبْرِ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ مُنَاكِ أَوْ ::: مَنَايَا كِرَامٍ فَاصْبِرِي وَتَحَمَّلِ
وَدَاوِ لِسُقْمِ القَلْبِ وَاعْمُرْ خَرَابَهُ ::: بِذِكْرِ الذي نَعْمَاهُ لِلْخَلْقِ تَشْمَلُ

آخر:

لَوْ يَعْلم النَّاسُ مَا في الذِّكْرِ مِنْ شَرَفٍ ::: لَمْ يُلْهِهِمْ عَنْهُ تَجْمِيعُ الدَّنَانِيرِ
وَلَمْ يُبَالُوا بِأَوْرَاقٍ ولا ذَهَبٍ ::: وَلَوْ تَحَصَّلَ آلافُ القَنَاطِيرِ

اللهم ألهمنا ذكرك ووفقنا للقيام بحقك وبارك لنا في الحلال من رزقك ولا تفضحنا بين خلقك يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج يا قاضي الحاجات ومجيبا للدعوات، هب لنا من ما سألناه وحقق رجاءنا فيما تمنيناه يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ما في ضمائر الصامتين أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك يا أرحم الراحمين

* * *

[ومن فوائد الذكر أيضا]

ما ذكره ابن القيم رحمه الله: أن دور الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء، وأن الذكر سد بين العبد

وبين جهنم فإذا كانت له إلى جهنم طريق عمل من الأعمال، كان الذكر سدا في تلك الطريق، وأن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب، وأن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله عز وجل عليها، وأن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلوا الذكر لله عز وجل.

قال تبارك وتعالى في المنافقين: {وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ١٤٢]، وأن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر، وأنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونورا في الآخرة، وأن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيرا لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة، وأن الذكر يعطي الذاكر قوة حتى أنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه، قال وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابته أمرا عجيبا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر.

مَا دُمْتَ تَقْدِرْ فَأَكْثِرْ ذِكْرِ خَالِقنَا ::: وَأَدِّ وَاجِبَهُ نَحْوَ العِبَادَاتِ
فَسَوْفَ تَنْدمُ إِنْ فَرطَّتَ فِي زَمنٍ ::: مَا فِيْهِ ذِكْرٌ لِخَلاق السماوات

وقد علّم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليا رضي الله عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثا وثلاثين، ويحمدا ثلاثا وثلاثين، ويكبرا، أربعا وثلاثين، لما سألته الخادم، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة، فعلمها ذلك، وقال: إنه خير لكما من خادم.

فقيل إن من داوم على ذلك وجد قوة في عمله مغنية عن خادم، قال وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يذكر أثرا في هذا الباب، ويقول: إن الملائكة لما أُمروا بحمل العرش، قالوا يا ربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك، فقال: قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله.

فلما قالوا حملوه حتى رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح قال حدثنا مشيختنا أنه بلغهم أن أول ما خلق الله عز وجل حين كان عرشه على الماء حملة العرش قالوا: ربنا

لم خلقتنا؟ قال: خلقتكم لحمل عرشي، قالوا: ربنا ومن يقوى على حمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ووقارك؟ قال: لذلك خلقتكم، فأعادوا عليه ذلك مرارا، فقال: قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله فحملوه.

قال: وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق والدخول على الملوك ومن يخاف، وركوب الأهوال، ولها أيضا تأثير في دفع الفقر، قال: ومبنى الدين على قاعدتين الذكر والشكر

إِذَا رُمْتَ أَنْ تُحْظَي بِعِزٍّ وَرِفْعَةٍ ::: بِدُنْيَاكَ وَالأُخْرَى لِنَيْلِ السَّعَادَةِ
عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ جَلَّ جَلاَلُهُ ::: وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفُلْ وَلَوْ قَدْرَ لَحْظَةِ

آخر:

إِلَهُ الوَرَى حَتْمٌ عَلَى النَّاسِ حَمْدُهُ ::: لِمَا جَادَ مِنْ فَضْلٍ عَلَيْهِمْ بِلا مَنِّ

وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان بل الذكر القلبي واللسان، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح وذلك لا يتم إلا بتوحيده فذكره الحقيقي يستلزم ذكر نعمه وآلائه، وإحسانه إلى خلقه.

وأما الشكر فهو القيام بطاعته، فذكره مستلزم لمعرفته، وشكره متضمن لطاعته وهما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس.

(فائدة)

قال الشيخ تقي الدين: من ابتلى ببلاء قلب أزعجه فأعظم دواء له قوة الالتجاء إلى الله ودوام التضرع والدعاء بأن يتعلم الأدعية المأثورة ويتوخى الدعاء في مظان الإجابة مثل آخر الليل، وأوقات الأذان والإقامة وفي السجود وأدبار الصلوات، ويضم إلى ذلك الاستغفار.

وليتخذ وردا من الأذكار طرفي النهار وعند النوم، وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف، فإنه لا بد أن يؤيده الله بروح منه ويكتب الإيمان في قلبه وليحرص على عمود الدين، وليكن هجيراه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فإنه بها يحمل الأثقال ويكابد الأهوال، وينال رفيع الأحوال ولا يسأم

من الدعاء والطلب، فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل وليعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا، ولم ينل أحد شيئا من عميم الخير إلا بالصبر والله الموفق.

شعرا:

لا تَقْصُدِ النَّاسَ إذَا أَدْبَرَتْ ::: دُنْيَاكَ وَاقْصُدْ مِنْ جَوَادٍ كَرِيْم
كَيْفَ يُرَجَّى الرِّزْقُ مِنْ عِنْدِ مَنْ ::: يَطْلُبُ الرِّزْقَ مِنَ الرَّبِّ الرَّحِيْم

آخر:

يَا أَيُّهَا الطَّالِبُ مِنْ مِثْلِهِ ::: رِزْقًا لَهُ جُرْتَ عَنِ الحِكْمَةِ
لا تَطْلُبَنَّ الرِّزْقَ مِنْ طَالِبٍ ::: مِثْلُكَ مُحْتَاجُ إلى الرَّحْمَةِ
وَارْغَبْ إلى اللهِ الذي لَمْ يَزَلْ ::: في يَدِهِ النِّعْمَةُ وَالنِّقْمَةُ

شعرا:

بِذِكْرِكَ يَا مَوْلَى الوَرَى نَتَنَعَّمُ ::: وَقَدْ خَابَ قَوْمٌ عن سَبِيْلِكَ قَدْ عَمُوا
شَهِدْنَا يَقِيْنًا أَنَّ عِلْمَكَ واسِعٌ ::: فَأَنْتَ تَرَى ما في القُلُوبِ وَتَعْلَمُ
إِلَهِي تَحَمَّلْنَا ذُنُوبًا عَظِيْمَةً ::: أَسَأْنَا وَقَصَّرْنَا وُجُودُكَ أَعْظَمُ
سَتَرْنَا مَعَاصِيْنَا عَنِ الخلقِ غَفْلَةً ::: وَأَنْتَ تَرَانَا ثُمَّ تَعْفُو وَتَرْحَمُ
وَحَقِّكَ مَا فِيْنَا مُسِيءٌ يَسُرُّهُ ::: صُدُودُكَ عَنْهُ بَلْ يَخَافُ وَيَنْدَمُ
سَكَتْنَا عَنِ الشَّكْوَى حَيَاءً وَهَيْبَةً ::: وَحَاجَتُنَا بِالمُقْتَضَى تَتَكَلَّمُ
إذَا كَانَ ذُلُّ العَبْدِ بِالحَالِ نَاطِقًا ::: فَهَلْ يَسْتَطِيْعُ الصَّبْرَ عَنْهُ وَيَكْتُمُ
إِلَهِي فَجُدْ واصْفَحْ وَأَصْلِحْ قُلُوبَنَا ::: فَأَنْتَ الذِي تُولِي الجَمِيلَ وَتُكْرِمُ
وَأَنْتَ الذِي قَرَّبْتَ قَومًا فَوَافَقُوا ::: وَوَفَّقْتَهُم حَتَّى أَنَابُوا وَسَلَّمُوا
وَقُلْتَ اسْتَقَامُوا مِنَّةً وَتَكَرُّمًا ::: فَأَنْتَ الذِي قَوَّمْتَهُم فَتَقَوَّمُوا
لَهُمْ في الدُّجَى أُنْسٌ بِذِكْرِكَ دَائِمًا ::: فَهُمْ في اللَّيَالِي سَاجِدُونَ وَقُوَّمُ
نَظَرْتَ إِلَيْهِم نَظْرَةً بِتَعَطُّفٍ ::: فَعَاشُوا بِهَا وَالنَّاسُ سَكْرَى وَنُوَّمُ
لَكَ الحَمْدُ عَامِلْنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ ::: وَسَامِحْ وَسَلِّمْنَا فَأَنْتَ المُسَلِّمُ

اللهم ألهمنا ذكرك وشكرك ووفقنا لما وفقت له الصالحين من خلقك واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

(انتهى من كتاب مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار).

* * *

بعض أنواع ذكر الله

الاستغفار في اليوم أكثر من مائة مرة.

قول سبحان الله وبحمده مائة مرة ومن قالها غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، روى مسلم في صحيحه قال: حدّثني عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَانٍ الْوَاسِطِيُّ. أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الله عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ الْمُذْحِجِيِّ قَالَ مُسْلِمٌ: أَبُو عُبَيْدٍ مَوْلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ الله فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، وَحَمِدَ الله ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، وَكَبَّرَ الله ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ. وَقَالَ، تَمَامَ الْمِائَةِ: لاَ اله إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» ٨٠/٥.

وروى كذلك قال حدثنا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ سُمَيَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لاَ اله إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ. وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ. وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ. وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذالِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ. وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذالِكَ. وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ. وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» ١٧/١٥.

أداء الصلاة والدعاء وقراءة القرآن والسنة.

وهذه الأمور الثلاث تقوي صلتك مع الله عز وجل مباشرة فيحقق آمالك ويرضى عنك ويشرح صدرك ويغفر ذنبك وينصرك على عدوك: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧} [محمد: ٧].

(أحبتى في الله)

إن ملازمة الذكر والدعاء فيه استجلاب كل خير وبركة، ودفع كل بلاء وضر، وقرب من الرحمن ونيل رضاه وبعدٌ عن الشيطان وطرد له

ولأعوانه، وقد كان رسول الله ﷺ - أيضًا - يرشد إلى ملازمة الذكر والدعاء، كما أنه يذكر الله على كل أحيانه فإنه يدعو ربه في كل الأحيان بكل خير من خيري الدنيا والآخرة، ويدعو كذلك لأصحابه بما ينفعهم في دينهم ودنياهم وأخراهم.

فقد جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عند مسلم [١] أنه ﷺ كان يقول: " اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي.. " كما كان ﷺ يقول: " اللهم اغفر لي ذنبي ووسِّع لي في داري، وبارك لي فيما رزقتني " عند الترمذي [٢]، وأحمد [٣]، والنسائي [٤]، وابن السني [٥]، اللفظ للترمذي والباقون بنحوه. وقال الترمذي: غريب وصححه النووي [٦].

وقد جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ كما في حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم [٧] فقال: علمني كلامًا أقوله، قال: «**قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم**». قال: فهؤلاء لربي، فما لي؟. قال: «**قل اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني**».

وجاء عند أحمد [٨] والترمذي [٩] والحاكم [١٠] من حديث أبي وائل قال أتى عليًا - رضي الله عنه - رجل فقال يا أمير المؤمنين إني عجزت عن مكاتبتي فأعني، فقال علي - رضي الله عنه - ألا أعلمك كلمات

(١) الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل (٢٠٨٧/٤).
(٢) الجامع، كتاب الدعوات، باب منه، ٨٢ (٤٧٤/٩).
(٣) المسند (٣٩٩/٤).
(٤) عمل اليوم والليلة (ص ١٧٢).
(٥) عمل اليوم والليلة (ص ٢).
(٦) الأذكار (ص ٢١).
(٧) الصحيح، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٠٧٢/٤).
(٨) المسند (١٥٣/١).
(٩) الجامع، كتاب الدعوات، أحاديث شتى من أبواب الدعوات (٨/١٠).
(١٠) المستدرك (٥٣٨/١).

علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل ثبير [(١)] دنانير لأدَّاه الله عنك، قلت: بلى، قال: " قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك " اللفظ لأحمد، ولفظ الترمذي بنحوه، وحسنه الترمذي، وكذا الألباني [(٢)] وقال الحاكم عقبه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وقد ثبت في الصحيح عند البخاري [(٣)] من حديث أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ دعا له فقال: «**اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**».

وجاء عند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - المرفوع وفيه ذكر وصية نوح - عليه السلام - لابنيه عندما حضرته الوفاة ومما جاء فيه: " آمركما بلا إله إلا الله.. وآمركما بسبحان الله، وبحمده، فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء ". قال العراقي: إسناده صحيح، وقال الهيثمي: رجال أحمد ثقات.

وهكذا يظهر جليًا ما للذكر والدعاء من أهمية بالغة في استجلاب الخير والبركة وطرد للمكروه والعوز وإبعاد للشيطان وإرغام له ولجنده. ولهذا لزم الإنسان ملازمة الذكر والدعاء للفوز بالسعادة الأخروية والدنيوية على حد سواء.

- أخي الحبيب -

- أن حياة قلبك أولى بالاهتمام من حياة جسدك، ذلك لأن حياة القلب تؤهّلك لأن تعيش حياة طيبة طاهرة في الدنيا وسعادة أبديّة في الآخرة بينما حياة الجسد حياة مؤقتة، سُرعان ما تزول وتنقضي، ولا سبيل لعلاج حياة القلب وزيادة الإيمان فيه إلا بالطاعات، فهي كلّها لازمة لحياة القلب كما يلزم الطعام والشراب لحياة الجسد، ومن أعظم ما يحتاجه قلب العبد

(١) في معظم المصادر بما في ذلك تحفة الأحوذي (صير)، وما أثبته هو الصواب وهو المثبت في نسخة الترمذي تحقيق: أحمد شاكر (٥/٥٢٣).
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٥١٢).
(٣) الصحيح، كتاب الدعوات، باب قول الله تعالى: وصلِّ عليهم (١١/٣٦)، وباب دعوة النبي ◘ لخادمه بطول العمر وبكثرة المال (١١/١٤٤).

من الأغذية النافعة ذكر الله عزّ وجل، فالذكر هو المنزلة الكبرى التّي يتزوّد منها العارفون وفيها يُتاجرون وإليها دائماً يتردّدون، وهو قوت قلوبهم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وهو عمارة ديارهم التي إذا تعطّلت عنه صارت بوراً، وهو سِلاحهم الذي يُقاتلون به قُطّاع الطريق، وهو دواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، وهو السبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علاّم الغيوب.

- فبذكر الله تُدفع الآفات وتُكشف الكُرُبات وتهون المصيبات. كان السلف إذا أظَلّهم البلاء فإلى ذكر الله ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مَفزعُهم، فهو رياض جنّتهم التي فيها يتقلّبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتَّجِرون، الذكر يَجعل القلب الحزين ضاحكاً مسروراً، ويوصل الذاكر إلى المذكور - أي إلى ربّه -، والذكر عبودية القلب واللسان، وهي عبادة غير مؤقتة، بل يُؤمر العبد بذكر مَعبوده ومحبوبه في كل حال قياماً وقعوداً وعلى جنبه.

- ذكر الله عزّ وجل هو جلاء القلوب وصفاؤها ودواؤها إذا مرِضت، وكلّما ازداد الذاكر في ذكره ازداد محبة إلى لقاء ربه. وإذا واطئ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عِوَضاً من كل شيء. به يزول الوقر عن الأسماع، والبَكم عن الألسنة، وبه تنقشع الظلمة عن الأبصار، فالذكر هو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يُغلقه العبد بغفلته. قال الحسن البصري رحمه الله: " تَفقّدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذِّكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مُغلق ".

- وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى للذكر فوائد كثيرة أقتَصر على بعضٍ منها: فمن فوائده:

- أنه يطرد الشيطان ويَقمعه ويَكسره، ويُرضي الرحمن عزّ وجل، ويُزيل الغمّ والحُزن، ويجلب للقلب الفرَح والسرور والبَسْط.

- ومن فوائده أنّه يُقوّي القلب والبدن ويُنوِّر الوجه والقلب ويَجلِب الرزق.

- ومنها أنه يكسو الذاكر الحلاوة والمهابة ويورثه محبّة الله.

- ومها أنه يُكسِب العبد مراقبة ربّه فيدخل في باب الإحسان فيُصبح يعبد الله كأنّه يراه.

- ومن فوائده أنّه سبب ذكر الله عزّ وجل لعبده الذاكر كما قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: ١٥٢]. وفي الحديث القُدسي الذي أخرجه البخاري ومسلم: «فإن ذكرني في نفسه ذكَرتُه في نفسي، وإن ذكرني في مَلأ ذكرته في ملأ خير منهم».

- ومنها أيضاً أنه يورث حياة للقلب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السّمك إذا فارق الماء ".

- ومنها أيضاً أنّه يورث جلاء القلب من صَدَئه، إذ كل شيء له صدأ، وصدأ القلب: الغفلة والهوى، وجلاؤه وصفاؤه: الذكر والتوبة والاستغفار.

- ومنها أن الذكر يَحُطّ الخطايا ويُذهِبُها، فإنّه من أعظم الحسَنات والله تعالى يقول: إن الحسنات يُذْهِبن السيئات. وثبت عنه ﷺ أنه قال: «من قال في يوم وليلة سبحان الله وبحمده مائة مرّة حُطّت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبَد البحر».

- ولا شكّ أن حضور حِلَق الذكر يؤدي إلى زيادة الإيمان، وذلك لعدة أسباب منها: ما يحصل فيها من ذكر الله، ونزول الرحمة والسّكينة وحَفّ الملائكة للذاكرين كما جاء في صحيح مسلم قوله ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتَدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشِيَتهم الرحمة وحَفّتهم الملائكة وذكَرهم الله فيمن عنده». ومما يدلّكم على أن مجالس الذكر تزيد الإيمان ما أخرجه مُسلم في صحيحه عن حنظلة الأسيدي قال: لقِيَني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله يُذكّرُنا بالنار والجنّة، حتى كأننا نراها، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عُدنا إلى أزواجنا وأولادنا ومعاشنا فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فو الله

إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخَلنا على رسول الله ﷺ. قلت: نافَق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ :«وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله نكون عندك تُذكِّرُنا بالنار والجنة حتى كأنّا نراهما بأعيننا، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده إنكم لو تَدومون على ما تكونون عندي وفي الذّكر لصافحتكم الملائكة على فرُشِكم وفي طُرُقِكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة». وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على الجلوس للذكر ويسمّونه إيماناً، قال معاذ رضي الله عنه لرجل: " اجلس بنا نؤمن ساعة ".

- ومن فوائد الذكر أنه سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفُحش، فمن عوَّد لسانه ذكر الله حفِظه عن الباطل واللغو، ومن يَبِس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطّب بكل باطل ولغو وفحش -

من فوائد ذكر الله عزّ وجل أنه يوجب الضمان والأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في دُنياه وأُخراه فإنّ من نَسِيَ الله سبحانه وتعالى نسي نفسه ومصالحها كما قال تعالى:{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾} [الحشر: ١٩]. وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيَها واشتغل عنها فهَلَكت وفسَدت كمن له زرع أو بستان، فلم يُصلِحه ولم يقم عليه وأهمله ونسيَه واشتغل عنه بغيره، فإنه يَفسُدولا بد.

- ومن فوائد الذكر أيضاً أن جميع الأعمال إنما شُرِعت إقامة لذكر الله عزّ وجل ومن أعظمها الصلاة قال جلّ وعلا: وأقم الصلاة لذكري أي لإقامة ذكري. وقال عزّ وجل: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمُنكر ولذِكر الله أكبر. أي أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وما فيها من ذكر الله أعظم من نَهيِها عن الفحشاء والمنكر.

- ومن فوائد الذكر أن المُداومة عليه ينوب عن كثير من الطاعات ويقوم مقامها كما جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن فُقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل

الدثور أي الأغنياء بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يُصلُّون كما نُصلّي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموالهم يحجّون بها ويعتمرون ويجاهدون فقال عليه الصلاة والسلام: «ألا أعلّمُكم شيئاً تُدركون به من سَبَقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا أحَدَ يكون أفضل منكم إلا من صَنَع مثل ما صنعتم. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: تُسبّحون وتحمدون وتُكبّرون خلف كلّ صلاة» رواه البخاري.

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " لأن أسبّح الله تعالى تسبيحات أحبّ إليّ من أن أنفِق عَددهنّ دنانير في سبيل الله عزّ وجل ".

- ومن فوائد ذكر الله أيضاً أنّه يُعطي الذاكر قوة في قلبه وبدنه فقد أخرج البخاري: عن فاطمة رضي الله عنها أنها شَكَت ما تلقى في يدها من الرحى أي مِما تطْحن فأتت النبي ﷺ تسأله خادماً، فلم تجِدْه، فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته. قال علي رضي الله عنه: فجاءنا رسول الله ﷺ وقد أخذنا مضاجعنا أي أرادا أن يناما، فذهبت فاطمة لتقوم فقال لها: مكانك فجلس بيننا ثم قال: «ألا أدلّكما على ما هو خيرٌ لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فِراشكما أو أخذتما مضاجعكما، فكبِّرا الله أربعاً وثلاثين. وسبِّحاه ثلاثاً وثلاثين، واحمداه ثلاثاً وثلاثين، فهذا خيرٌ لكما من خادم».

* * *

[أمان من النفاق]

- ومن فوائد الذكر أن كثرته أمان من النفاق فقد وصَف الله المنافقين بأنّهم قليلو الذكر لله عزّ وجل فقال تعالى: {إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾} [النساء: ١٤٢]. فمَن أكثر من ذكر الله عزّ وجل برئ من النفاق ولهذا ختَم الله تعالى سورة المنافقين بقوله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾} [المنافقون: ٩].

* * *

[لذة الذاكر لله سبحانه]

- ومن فوائده أيضاً ما يَحصُل للذاكر من لذة لا يُشبِهُها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة من الذكر والنعيم الذي يُحسّ به الذاكر في قلبه لكفى به، ولهذا سُمّيت مجالس الذكر رياض الجنّة. قال مالك ابن دينار: " ما تلذّذ المُتَلذّذون بمثل ذكر الله عزّ وجل ".

- ومن فوائد الذكر أن الله عزّ وجل يقبل الدعاء الذي يُقَدّم صاحبه بين يديه ذكر الله، إذِ الذكر أفضل من الدعاء، لأن الذكر ثناء على الله عزّ وجل، والدعاء سؤال العبد حاجته، فالدعاء الذي تَقَدّمه الذكر أفضلُ وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المُجَرَّد عن الذكر.

- أحبتي في الله -

أديموا ذكر ربّكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم وفي كل أحوالكم، فأمّا ذكرَكم ربَّكم بقلوبكم فإنّ معناه: أن يكون القلب متعلّقاً بالله مُعظِّماً له دائماً في قلبه مُستحضِراً نِعَمه التي لا تُحصى، وأما ذكرَكم ربكم بألسِنتكم فهو النُّطق بكلّ ما يُقرِّب إلى الله من تهليل وتكبير وتحميد وتسبيح وقراءة القرآن وقراءة العلوم الشرعية ونُصح العباد للقيام بأوامر الله.

- وأما ذكرَكم ربّكم بجوارحِكم فهو كل فِعل يُقرِّب إلى الله عزّ وجل من طهارة وصلاة وزكاة وصوم وحج وبرِ الوالدين وصِلَة الأرحام.

- فلازموا عباد الله ذكر ربكم في جميع أوقاتكم وأحوالكم، فإنّ الله مع الذاكرين كما قال سبحانه في الحديث القدسي: **«أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكَرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خير منهم»**.

- أسأل الله أن يجعلنا جميعا من الذين يزكرونه حق ذكره ويشكرونه حق شكره إنه أرحم الراحمين جواد كريم -.

* * *

«من مفاتيح الرزق» شكر الله تعالى وحمده

(أحبتى في الله)

إن تعريف الشكر، كما قال الجوهري في تهذيب اللغة: عن الليث: إن الشكر هو عرفان الإحسان وحمده موليه. والشكور من عباد الله هو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته، وأداء ما وجب عليه من عبادته. والشكر ثلاثة أنواع: شكر القلب واللسان والجوارح، ويعبر ابن القيم عن حقيقة الشكر بأنه: ظهور أثر نعمة الله تعالى على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة.

أركان الشكر وتطبيقها على الواقع:

١ - الإقرار بالنعم.

٢ - نسبتها إلى المنعم وهو الله.

٣ - صرفها فيما يحب.

والشكر يكون باللسان، والقلب، والجوارح، في المال والبدن.

تطبيقها على الواقع: وذلك كنعمة العلم والمال والبدن، فشكر نعمة العلم العمل به وتعليمه للناس، وشكر نعمة المال أن يصرف في طاعة الله لا في معصيته. وشكر نعمة البدن أن يسخره في عبادة الله وفعل الصالحات والمسابقة في الخيرات.

أكل الطيب الحلال سبب لإجابة الدعوة، وأكل الحرام سبب لعدم إجابة الدعوة: (انتهى)

في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١} [المؤمنون: ٥١]».

وقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ} [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك".

الشكر: يحقق لصحابه جزاءً طيباً، قال تعالى في سورة الزمر:{ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: ٧].

وقال تعالى في سورة القمر:{نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾} [القمر: ٣٥].

وقال ﷺ: «إن الله يحب العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها»، شكر النعمة يورث محبة الله لعبده، كما في الحديث السابق.

خاتمة الآيات بعد تعداد النعم:

الحث والتوجيه والتحريض على الشكر:

جاء شكر الله سبحانه لعباده بعد بيان آلائه ونعمه عليهم خاتمة للآيات.{وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: ٨٩].

{وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[النحل: ٧٨]

{وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الأنفال: ٢٦].

{كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الحج: ٣٦].

{وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾} [القصص: ٧٣].

الشكر صفة الأنبياء:

قال تعالى في سورة النحل:{ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾} [النحل: ١٢٠ - ١٢١].

وفي سورة الإسراء:{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: ٣].

وفي سورة النمل عن سليمان:{قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل: ٤٠].

وقال عنه أيضاً: {وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ} [النمل: ١٩].

وقال ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس».

من الآيات في الشكر:

في سورة البقرة: {فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾} [البقرة: ١٥٢].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾} [البقرة: ١٧٢].

وفي سورة النحل: {فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾} [النحل: ١١٤].

وفي سورة الأعراف: {قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾} [الأعراف: ١٤٤].

وفي سورة لقمان: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾} [لقمان: ١٢].

وقال سبحانه: {أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾} [لقمان: ١٤].

ومن وصايا النبي ﷺ لمعاذ بن جبل قال ﷺ: «يا معاذ إني أحبك فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

الشكر يقابل الكفر قال تعالى في سورة البقرة: {وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢].

وفي سورة إبراهيم: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾} [إبراهيم: ٧].

وفي سورة النمل: {قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل: ٤٠].

الأمر بالشكر عقيب النعم لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة ويجلب النعم المفقودة، كما أن الكفر ينفر النعم المفقودة ويزيل النعم الموجودة.

قالوا عن الشكر:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى رجلا به بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا»، إلا كان شُكر تلك النعمة.

عن قتادة: في قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: ٣٤]. قال: غفر لهم الذنب العظيم، وشكر لهم اليسير.

قال شداد بن أوس: احفظوا عني ما أقول لكم سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد. وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب).

قال داود عليه السلام: الحمد لله كما ينبغي لكريم وجهه وعز جلاله. فأوحى الله إليه: قد أتعبت الكتبة.

عن أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: حج رجل، فلما أراد الانصراف إلى بلده وقف على باب الكعبة فقال: الحمد لله بجميع محامد الله ما علمنا منها وما لم نعلم، على جميع نعم الله ما علمنا منها وما لم نعلم. ثم انصرف إلى بلده، فلما كان من قابل حج فلما أراد الانصراف إلى بلده وقف على باب الكعبة قال مثل قوله الأول، فقيل له أو نودي: لقد أتعبت الحفظة، فما كتبوا ثواب ما قلت إلى هذا اليوم.

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ حدثهم: أن عبدا من عبيد الله قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم شأنك فأعضلت بالملكين، فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعد إلى السماء فقال الله لهما: اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها.

عن أبي حازم: إذا رأيت الله يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره.

قال أبو حازم: كل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية.

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ :«لا يشكر من لا يشكر الناس».

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ :«من أولي معروفا فليكافئ عليه، فمن لم يفعل فليذكره، فإن من ذكره فقد شكره».

أنشد محرز بن الفضل:

عَلامَةُ شُكرِ المَرءِ إِعلانُ شُكرِهِ ::: وَمَن شَكَرَ المَعروفَ مِنهُ فَما كَفَر

حدثنا الوليد بن مضاء الموصلي، قال: حدثنا محمد بن عبدالله بن عمار، قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق، عن أبي عوانة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال:«من أتى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تقدروا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافيتموه».

أنشدني علي بن الحسين، قال: أنشدني ابن أبي الدنيا:

لَو كُنتُ أعرِفُ فَوقَ الشّكرِ مَنزِلَةً ::: أعلى مِنَ الشّكرِ عِندَ اللهِ في الثمنِ

إِذا مَنَحتُكَها مِنّي مُهَذَّبَةً ::: حَذواً عَلى حَذوِ ما أَولَيتَ مِن حَسَنِ

سجود الشكر:

أن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه الأمر يسره خر ساجدا. شكر لله.

عن ابن لكعب بن مالك قال: لما أتى كعب بن مالك الذي بشره بتوبته سجد وأعطى الذي بشره ثوبيه.

عن ابن شهاب قال: أخبرني سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال لعمر بن الخطاب: إنا لنجد: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء. قال عمر: غلا من حاسب نفسه. قال كعب: إلا من حاسب نفسه. فكبر عمر وخر ساجدا.

وأيضا عن علي بن زيد بن جدعان قال: كنا عند الحسن البصري وهو متوار في منزل أبي خليفة العبدي فجاء رجل فقال: يا أبا سعيد توفي الحجاج فخر ساجدا.

كان بعض السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالي أصبح في نهاره صائما ويجعل صيامه شكرا للتوفيق للقيام.

كل نعمة على العبد من الله في دين أو دنيا يحتاج إلى شكر عليها ثم للتوفيق للشكر عليها نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان ثم التوفيق للشكر الثاني نعمة أخرى يحتاج إلى شكر أخر وهكذا أبدا فلا يقدر العبد غلى القيام بشكر النعم.

و حقيقة الشكر الاعتراف بالعجز عن الشكر كما قيل

إذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر

قال أبو عمر الشيباني: قال موسى عليه السلام يوم الطور: يا رب إن أنا صليت فمن قبلك وإن أنا تصدقت فمن قبلك وإن بلغت رسالاتك فمن قبلك فكيف أشكرك؟ قال: يا موسى الآن شكرتني.

* * *

[من شكر الله على نعمه]

- أحبتي في الله.

كفى بنعمة الخلق نعمة، وما أعظم نعمة الهداية على الإسلام، بل ما أعظم نعمة الالتزام بالإسلام، والشكر أحبتي في الله قرن بالزيادة قال تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ } [إبراهيم: ٧].

* * *

أفضل الشاكرين على الإطلاق

هو النبى محمد ﷺ

(أحبتى في الله)

إن النبى محمد ﷺ كما هو معلوم لدينا جميعا هو خير من شكر الله على نعمته حتى إنه تورمت قدماه من إطالة الوقوف بين يدي ربه في الصلاة مع أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ليضرب لنا ﷺ أروع الأمثلة في شكر الله على نعمه والتي من أعظمها التوفيق في الطاعة.

فعن عبد الله بن محصن الحظمي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافاً في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا» (١).

قال الشاعر:

إذا اجتمع الإسلام والقوت للفتى ::: وكان صحيحاً جسمه وهو في أمن
فقد ملك الدنيا جميعاً وحازها ::: وحق عليه الشكر لله ذي المن

فيا سبحان الله من يمتلك هذه الأشياء فقط فكأنما حيزت له الدنيا!! فما بال من ملك أضعاف ذلك مئات المرات ما كان يجب عليه من شكر لله تعالى؟ فالمسلم إذا أراد أن تستقر عليه هذه النعم فليحمد الله سبحانه وتعالى ويشكره بقلبه ولسانه وعمله؛ بمحبته وطاعته لله تعالى، وليمتثل

(١) رواه الترمذي (٤/٥٧٤ ح٢٣٤٦)، وقال: حسن غريب.

أوامر الله ويجتنب نواهيه، وليفعل ما أوجب وليترك ما حرم، وليكثر من ذكر الله تعالى، وليكثر من شكره سبحانه، وليحافظ على أحسن العبادة وليدعُ الله ليل نهار أن يوفقه.

يقول تعالى: {وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل: ١٩]، وقال تعالى: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف: ١٥].

فعلى العبد أن ينتبه لهذا الأمر العظيم وهو الدعاء فالله سبحانه وتعالى هو الذي رزقنا بنعمه العظيمة وأسبغها علينا ظاهرة وباطنة وهو الذي علمنا سبحانه وتعالى الدعاء وآدابه ثم بعد ذلك يستجيب منا هذا الدعاء ويعتبر أن كلمة (الحمد لله) من أساليب شكره على هذه النعم العظيمة؛ فيا لكرم الله تعالى الكريم اللطيف بعباده، ويا لعظمة الإسلام ويسره، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا...» [(١)].

(أحبتي في الله)

إن الشكر: هو استعمال نعم الله تعالى في محابه، كما قال الغزالي [(٢)]، وقال في موضع آخر: " وجود الزيادة في المال نعمة وشكرها أن تصرف إلى الخيرات أو أن لا تستعمل في المعصية " [(٣)]. وقال ابن القيم: " الشكر، هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده، ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة " [(٤)]. وقال القرطبي نحو هذا [(٥)].

(١) رواه البخاري (١٥/١)، كتاب الإيمان، باب الدين يسر.
(٢) إحياء علوم الدين (٨٥/٤).
(٣) إحياء علوم الدين (١٣١/٤).
(٤) مدارج السالكين (٢٥٤/٢).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٤/١٤)، وانظر - أيضاً - فتح الباري (١٥/٣).

وقد فرق بعض العلماء جزئيًا بين الحمد والشكر، فجعلوا بينهما عمومًا وخصوصًا من وجه، لكن رجح أبو جعفر الطبري أن الحمد قد يُنطق به في موضع الشكر، وأن الشكر قد يوضع موضع الحمد، لأن ذلك لو لم يكن كذلك لما جاز أن يقال: " الحمد لله شكرًا " [(١)].

ولذا فسَّر الطبري:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ} [الفاتحة: ٢] في سورة الفاتحة بالشكر الخالص لله تعالى بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد [(٢)].

قلت: وهذه النعم الكثيرة التي لا تحصى ولا تستقصى ومن جملتها نعمة المال تستوجب الشكر من الخلق للخالق الرازق المتفضل، وهذا الشكر والحمد له سبحانه سبب من أسباب استجلاب الزيادة، وحصول البركة في المال، تفضلاً منه سبحانه وتعالى ونعمة.

قال ابن القيم: " جعل الله الشكر سببًا للمزيد من فضله وحارسًا وحافظًا لنعمته، وموصلاً الشاكر إلى مشكوره بل يعيد الشاكر مشكورًا " [(٣)].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه يضيق معنى الشكر عند بعض الخلق فيظن أن غايته أن يقول بلسانه الحمد لله، أو الشكر لله، ونحوهما، مع عدم استعانته بالنعمة على المعصية، وإن لم يصرف هذه النعمة إلى الطاعة، وهذا مما لا شك فيه قصور في الفهم، وعن اتباع السلف الصالح.

والشكر - في حقيقة الأمر دائرته - أوسع من ذلك، ومجاله أرحب فالصلاة مثلاً شكر، والصيام شكر، وكل خير يعمله الإنسان لله تعالى شكر، واستحياء العبد من تتابع النعم عليه شكر، واعترافه بالتقصير على شكر المنعم عليه، واعتذاره عن تقصيره أيضا شكر، وتحدثه بنعمة الله

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن (١٣٨/١).
(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن (١٣٥/١).
(٣) مدارج السالكين (٢٥٢/٢) بتصرف يسير.

شكر، واعترافه بأن النعمة موهبة من الله تعالى مع أنه لا يستحقها شكر، وتواضعه للنعم والتذلل فيها للمنعم شكر، وقلة اعتراضه وحسن أدبه مع المنعم، وتلقي النعمة بحسن القبول، وإن كانت بسيطة أو قليلة، واستعظامها وعدم احتقارها أو استصغارها شكر، والتيقن بأن الشكر بحد ذاته هو نعمة من الله تعالى وتوفيقه شكر، وأفضل الشكر هو حمد الله تعالى [(١)].

* * *

حقيقة الشكر

(أحبتي في الله)

(قلت)

إن حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكره وذكر إحسانه إليه، وشكر الحق سبحانه للعبد، ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، ثم إن إحسان العبد طاعته لله تعالى، وإحسان الحق إنعامه على العبد بالتوفيق للشكر له. (انتهى)

{وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ} [سبأ: ١٣].

أي: قليل من عبادي من يشهد أن النعمة مني لأن حقيقة الشكر الغيبة عن شهود النعمة بشهود المنعم ولا دخل في هذا المعنى لمبحث تفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر عند كثيرين.

كما ذكره ابن حجر على خلاف ما أجمع عليه الأولياء.

وجمهور العلماء: العلي بتشديد الياء، فعيل من العلو وهو البالغ في علو الرتبة بحيث لا رتبة إلا وهي منحطة عن رتبته.

وقال بعضهم: هو الذي علا عن الإدراك ذاته وكبر عن التصور صفاته.

---

(١) أشار إلى بعض هذه المعاني ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٦٩٨/٣).

وقال آخر: هو الذي تاهت القلوب في جلاله وعجزت العقول عن وصف كماله.

وحظك منه أنك إذا شاهدت علوه وسمت همتك إليه فجعلتها في كل أحوالك واقفة عليه وذلك نفسك في طاعاته وعبادته الظاهره والباطنه وبذات روحك في العلم والعمل حتى تبلغ الغاية في الكمالات الأنسية والحالات القدسية والمراتب العلمية من العلمية والعملية.

قال القشيري:

من علوه تعالى أنه لا يصير بتكبير العباد له كبيرا ولا جليلا بإجلالهم وتعظيمهم له كثيرا بل من وفقه لإجلاله فبتوفيقه أجله ومن أيده بتكبيره وتعظيمه فقد رفع محله ومن حق من عرف عظمته أن لا يذل لخلقه بل يتواضع لهم لأجله فإن من تذلل لله في نفسه رفع الله قدره على أبناء جنسه وقيل المؤمن ليس له الكبر وله العزة وله التواضع لا المذلة الكبير وضده الصغير يستعملان بالعتبار مقادير الأجسام وباعتبار الرتب وهو المراد هنا أما باعتبار أنه أكمل الموجودات وأشرفها من حيث إنه قديم أزلي غني على الإطلاق وما سواه حادث مفتقر إليه في الإيجاد والإمداد بالاتفاق وأما باعتبار أنه كبير عن مشاهدة الحواس وإدراك العقول وعلى الوجهين فهو من أسماء التنزيه.

قيل في معنى الله أكبر: أي أكبر من أن يقال له أكبر، أو أكبر من أن يدرك غيره كنه كبريائه وحظك منه أن تشهد كبرياءه دائما حتى تنسى كبرياء غيره وتجتهد في تكميل نفسك علما وعملا بحيث يتعدى كمالك إلى غيرك فيقتدي بآثارك ويقتبس من أنوارك وتقربك بهذا الاسم تعلقا أن تبالغ في التواضع وتخلقا أن تحترز من سوء الأدب بلزوم الخدمة وحفظ الحرمة.

ففي الصحيح: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته».

أي: أهلكته وكسرت عنقه واختصت العظمة بالإزار والكبرياء بالرداء لأن في الكبير من الفخامة فوق العظيم وإن كان كل منهما مختصا له تعالى لا شريك له فيه بوجه ما ومن ثم قصم المنازع في واحد منهما.

وفي الحديث: «أن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها».

ومن ثم قال علي كرم الله وجهه: " علو الهمة من الإيمان ".

واختلف المشائخ في أفضلية الهمة والخدمة وعندي أن الخدمة إنما تنشأ من الهمة فلا خلاف في الحقيقة.

علو الهمة من الإيمان واختلف المشائخ في أفضلية الهمة والخدمة وعندي أن الخدمة إنما تنشأ من الهمة فلا خلاف في الحقيقة) - انتهى -.

من كتاب: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.

المؤلف: الملا على القاري.

للعلامة الشيخ ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي مع شرحه مرعاة المفاتيح للشيخ أبي الحسن عبيد الله بن العلامة محمد عبدالسلام المباركفوري حفظه الله.

- يقول صاحب كتاب البهجة في شرح التحفة ما يأتى:

- يقول الشيخ أبو الحسن على بن عبد السلام التسولى:

فلا يبلغ العبد حقيقة الشكر شرعاً إلا بكمال التقوى والاستقامة الظاهرة والباطنة.

أما المخلط في أحواله فلم يؤد ما وجب عليه من الشكر بتمامه نعم الطاعة الصادرة منه هي بعض ما وجب عليه من الشكر، ولما لم يكن المخلط مؤدياً ما وجب عليه وكان الكثير من الناس مخلطاً.

قال تعالى: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } [سبأ: ١٣] إلخ.

إذ المراد بصرف الجميع أن لا يخرج العبد عن طاعة مولاه بأن تسلم

جوارحه كلها من مخالفة أمره ونهيه في جميع الأوقات فلا يكون شاكراً لنعم الله تعالى شكراً حقيقياً إلا بصرف الجميع.

والعبد لا يخلو عن نعم الله طرفة عين.

وعن ذلك أفصح الجنيد رضي الله عنه بقوله: الشكر أن لا يعصى الله بنعمه، أي جوارحه لأنها نعمة من الله عليه قال هذه القولة في صباه.

وبأدنى تأمل يعلم أن النسب ست إذ بين كل واحد من الثلاثة والشكر عرفاً العموم والخصوص بإطلاق.

فهذه ثلاث نسب، وبين الحمد لغة والحمد عرفاً والشكر لغة العموم والخصوص من وجه وبين الحمد عرفاً والشكر لغة الترادف) انتهى.

(انتهى من كتاب: البهجة في شرح التحفة

المؤلف: أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي

(أحبتي في الله)

إن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بالشكر، بل إنه قرن سبحانه وتعالى الشكر بالذكر إذ قال: {فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾} [البقرة: ١٥٢].

كما وعد بالجزاء على الشكر، بل قطع سبحانه بالمزيد مع الشكر فقال: {وَسَنَجْزِي ٱلشَّٰكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٥].

وقال أيضًا: {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧].

وقال أيضًا: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾} [الضحى: ١١]. وقال أيضًا: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ} [سبأ: ١٣].

وأقوال العلماء المفسرين حول هذه الآيات تؤيد المعاني السابقة في شكر الله سبحانه وتعالى، وتؤكدها.

فقد قال أبو جعفر الطبري عند قوله تعالى: {وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢].

أي: لا تجحدوا إحساني إليكم فأسلبكم نعمتي التي أنعمت عليكم، ولكن اشكروا لي عليها، وأزيدكم فأتمم نعمتي عليكم، وأهديكم لما هديت له من رضيت عنه من عبادي، فإني وعدت خلقي أن من شكر لي زدته، ومن كفرني حرمته، وسلبته ما أعطيته [(١)].

قلت: وقول أبي جعفر هنا " ومن كفرني " ليس بالضرورة أن يكون هو (الكافر) حقيقة وهو مقابل (المسلم)، ولكن يريد ما هو أعم من هذا، فيدخل فيه من جحد النعمة فلم يظهرها ويؤدي حقها وشكرها على المعاني السابقة، والله أعلم.

وقال القرطبي معلقًا على الآية الأخرى:{لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧].

أي: لئن شكرتم إنعامي عليكم لأزيدنكم من فضلي، والآية نص في أن الشكر سبب المزيد [(٢)].

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى:{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: ١١].

أي: أنشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء، والتحدث بنعم الله، والاعتراف بها شكر، والخطاب للنبي ﷺ ، والحكم عام له ولغيره [(٣)].

وأما قوله تعالى:{وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: ١٣].

فقد قال القرطبي في معناها: " أي قليل من يفعل ذلك لأن الخير أقل من الشر، والطاعة أقل من المعصية " [(٤)].

قلت: والظاهر - والله أعلم - أن نعم الله كثيرة لا حصر لها، وهي لا تزال متجددة متكاثرة على العباد بفضل الله عز وجل، والشكر بأنواعه وأشكاله يحتاج إلى عزيمة ويقين، فيضعف كثير من الناس، ويقصّرون في شكر المنعم وحمده حق شكره وحمده، ولذلك كان الشاكرون قليلين،

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣/٢١٢).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩/٣٥٣).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٠٢ - ١٠٣).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٦٤ - ٢٦٥).

وهم الخاصة، وفي مقدمة هؤلاء الشاكرين إمامهم سيد البشر محمد ﷺ، وذلك لأنه أتقى الخلق، وأعرفهم بحق خالقه وأشكرهم له، يظهر ذلك جليًا من خلال النظر في حاله وسيرته مع أصحابه رضوان الله عليهم، ويبرز ذلك بأمور منها:

١ - كان ﷺ يجتهد في العبادة بشتى أنواعها مع أنه مغفور له المتقدم والمتأخر من ذنبه.

فلقد جاء عند البخاري [١]، ومسلم [٢] من حديث المغيرة ابن شعبة وحديث عائشة - رضي الله عنهما - أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا».

هذا لفظ حديث عائشة عند البخاري، وعندهما نحو هذا اللفظ أيضًا.

* * *

سجود الشكر من هديه ﷺ

وقد كان من هديه ﷺ وهدي أصحابه سجود الشكر عند تجدد نعمة تسُرُّ، أو اندفاع نقمة، كما جاء عند كل من أبي داود [٣]، والترمذي [٤]، وابن ماجه [٥]، وأحمد [٦]، من حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر يسرُّه أو يُسَرُّ به خرَّ ساجدًا شكرًا لله تبارك وتعالى. واللفظ لابن ماجه، والباقون بنحوه، وعند أحمد فيه قصة، وقال

(١) الصحيح، كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ الليل (١٤/٣) وكتاب التفسير، باب ليغفر الله لك... (٥٨٤/٨)، وكتاب الرقاق، باب الصبر على محارم الله (٣٠٣/١١).
(٢) الصحيح، كتاب صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (٢١٧١/٤ - ٢١٧٢).
(٣) السنن، كتاب الجهاد، باب سجود الشكر (٨٩/٣).
(٤) الجامع، كتاب السير، باب ما جاء في سجدة الشكر (٢٠٠/٥).
(٥) السنن، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة والسجود عند الشكر (٤٤٦/١).
(٦) المسند (٤٥/٥).

الترمذي في آخره: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث بكار ابن عبد العزيز، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم، رأوا سجدة الشكر. وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: لما تاب الله عليه خرَّ ساجدًا. عند ابن ماجه [(١)]، وقال البوصيري [(٢)]: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وهو موقوف، قال ابن حزم: لا مغمز في خبر كعب ألبتة، ثم روي عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب نحوه. انتهى.

توجيهاته لأصحابه وأقواله في الشكر وبيان فضله. فقد قال ﷺ لمن رآه رثَّ الثياب: «**ألك مال؟**»، قال: نعم، قال: «**من أي المال؟**»، قال: قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق، قال: «**فإذا أتاك الله مالاً فلير أثر نِعمة الله عليك وكرامته**» رواه أبو داود [(٣)]، والنسائي [(٤)]، والحاكم [(٥)] هذا لفظ أبي داود والحاكم مثله إلا أنه عنده مطول، وعند النسائي بنحوه عند أبي داود، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه - أيضًا - الألباني [(٦)].

وعند الترمذي [(٧)]، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»، وقال الترمذي: حديث حسن، ثم قال: وفي الباب عن أبي الأحوص عن أبيه وعمران بن حصين وابن مسعود، وحسنه - أيضا - الألباني [(٨)].

وقال ﷺ: «**من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك،**

---

(١) السنن، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر (٤٤٦/١).
(٢) مصباح الزجاجة (٤٤٩/١).
(٣) السنن، كتاب اللباس، باب في غسل الثوب وفي الخلقان (٥١/٤).
(٤) السنن، كتاب الزينة، باب الجلاجل (١٨١/٨).
(٥) المستدرك (١٨١/٤).
(٦) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص ٦٣)، وصحيح سنن أبي داود (٧٦٧/٢).
(٧) الجامع، كتاب الأدب، باب ما جاء إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (١٠٦/٨).
(٨) صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٤٦/٢) رقم (١٨٨٤).

لا شريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر، فقد أدَّى شكر يومه، ومن قال: مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته».

رواه كل من أبي داود [١]، وابن حبان [٢]، واللفظ لأبي داود، وهو عند ابن حبان بنحوه مع شيء من الاختصار، وقد حسَّنَه ابن القيم [٣]، والنووي [٤]، والحافظ ابن حجر [٥].

وفي حديث أنس - رضي الله عنه - عند ابن ماجه [٦] أنه ﷺ قال: **«ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذه».** يعني الذي أداه وفعله من الحمد، أفضل مما أخذ من النعمة، وحسنه البوصيري [٧]، وقال النووي: إسناده جيد [٨]. وفي الفتوحات الربانية على الأذكار النووية [٩] : ورواه أيضا أبو داود والنسائي عن عبدالله بن غنام، وابن حبان والنسائي عن ابن عباس، وقال الحافظ بعد تخريجه: حديث حسن.

اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك، اللهم ارزقنا رزقاً واسعاً حلالاً طيباً كثيراً مباركاً فيه، اللهم طهر أرزاقنا من الحرام، اللهم اجعل لنا من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً وارزقنا من حيث لا نحتسب، اللهم ارزقنا القناعة والحفاظ على صلاة الجماعة، اللهم وفقنا إلى طاعتك

---

(١) السنن، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (٣١٨/٤).
(٢) الصحيح (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) (١٤٢/٣ - ١٤٣) رقم (٨٦١).
(٣) زاد المعاد (٣٧٣/٢).
(٤) الأذكار (ص ٧٤).
(٥) انظر: التعليق على صحيح ابن حبان (١٤٣/٣).
(٦) أخرجه مسلم في كتاب التوبة (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٧) أخرجه أحمد (١٣٠٤٩)، والترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، والدارمي (٢٧٢٧) من طريق علي بن مسعدة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه، وقال الترمذي: " غريب "، وصححه الحاكم (٢٤٤/٤)، وتعقبه الذهبي بقوله: " على لين "، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٥).
(٨) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٤٠)، وقال: " حديث حسن غريب "، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٤٠٠/٢): " إسناده لا بأس به "، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٧).
(٩) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وباعد بيننا وبين معاصيك، وارحم أمة محمد رحمة عامة يا كريم.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من عبادة الشاكرين الذاكرين إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

* * *

[من مفاتيح الرزق] الاستغفار

(أحبتي في الله)

- إن من أعظم مفاتيح الرزق الاستغفار وهذا الأمر غفل عنه الكثيرون من المسلمين حتى قال قائل: أنا لم أفعل ذنبا حتى أستغفر وفي السطور القادمة نستعرض لكم - أيها الأحبة - هذا الأمر حتى نعلم جميعا أن الاستغفار سببا رئيسيا في بركة الرزق واستجلابه وأن المستغفر يرزقه الله تعالى رزقا كبيرا.

* * *

حقيقة الاستغفار

والاستغفار - أيها الإخوة - هو التعرض لنفحات الله جلَّ وعلا في أوقاتها المناسبة، كأوقات العبادة، وأدبار العبادة، وكأوقات إجابة الدعاء، وثلث الليل الأخير؛ وغيرها؛ فإن الله تعالى ينزل ويقول لعباده: من يستغفرني فأغفر له!!، فأين المستغفرون؟! وأين المنكسرون؟! وأين المقبلون على الله عز وجل؟! وأين المخبتون إلى الله؟! الله جلَّ وعلا وهو الغني ينزل إلى سماء الدنيا ويقول: من يستغفرني فأغفر له! ليس الله تعالى بحاجة إلى عباده!!: {هُوَ ٱلْغَنِيُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ} [يونس: ٦٨]، وكما يقول جلَّ وعلا: «**يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضُري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني!! يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم**».

ذكر النووي رحمه الله تعالى في كتابه الأذكار: أن أعرابياً وُجِدَ واقفاً عند الكعبة منكسراً لله عز وجل منطرحاً بين يديه، وهو يقول: (اللهم! إنَّ استغفاري مع إصراري على الذنبِ لؤمٌ!) لاحظ هذا الأعرابي مع جهله؛ لكن كيف ألهمه الله تعالى حسن الاستغفار! يقول: اللهم إنَّ استغفاري مع إصراري على الذنبِ لهو نوعٌ من اللؤمٌ، فأنا لئيم؛ إذاً أستغفرك يا رب، وأنا مصرٌ على ذنبي، (وإن تركي للاستغفار مع علمي بِسعة رحمتك لهو عجزٌ) فإن الله تعالى واسع المغفرة، (يا رب: أنا أتبغض إليك بالمعاصي

مع عظيم حاجتي إليك، وأنت تتحببُ إليَّ بالنعم مع غناك عنِّي، يا من إذا وعد وفى، وإذا توعَّدَ تجاوز وعفى، أدخل عظيم جرمي في عظيم رحمتك يا أرحم الراحمين!) هذا التبتل، هذا الاستغفار والصدق، حتى من رجلٍ قد يكون من عامة الناس، لكن الله تعالى ألهمه بصدقِ إيمانه، وصحة قلبه، وسلامة نفسه: صدقَ الاستغفار، (اللهم إن استغفاري مع إصراري على الذنب لؤمٌ، وإن تركي للاستغفار مع علمي بسعة رحمتك عجزٌ، يا رب أنا أتبغض إليك بالذنوب مع عظيم حاجتي إليك، وأنت تتحببُ إليَّ بالنعم مع شدة غناك عني، يا من إذا وعد وفى، وإذا توعد تجاوز وعفى، أدخل عظيم جرمي في عظيم رحمتك، يا أرحم الراحمين!).

ما للعباد عليه حقٌ واجبُ ::: كلا ولا سعيٌ لديه ضائعٌ
إن عُذِّبوا فبعدله أو نُعِّموا ::: فبفضله وهو الكريم الواسعُ

فالله تعالى إذا توعد العبد، فقد يعفو عنه، وقد قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ} [النجم: ٣٢]، وإذا وعده فإن الله تعالى لا يخلف الميعاد! ويرهب ابن العم والجار صولتي ولا أنثني عن صولة المتهددِ وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلفُ إيعادي ومنجز موعدي فهذا من كرم الله تعالى وعظيم جوده أنه واسع المغفرة، إذا توعد العبد فقد يعفو عنه، وإذا وعده بالخير فإنه لا يخلف الميعاد، بل ينجزه لعبده.

* * *

حالات الاستغفار

الاستغفار يكون - أيها الأحبة - في كل حال، ليس الاستغفار خاصة بحال المعصية كما يتصور الجهال، كلا! بل الاستغفار يكون حتى في حال الطاعة، ولهذا فالله عز وجل أمر رسوله والمؤمنين أن يستغفروه وهم في حال التلبس بالإحرام، والنسك، والخضوع لله جلَّ وعلا، فقال: { ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ } [البقرة: ١٩٩].

فإذا أفاض الناس من عرفة مخبتين لله، ضاحين لمن أحرموا له،

خالعين الدنيا كلها، أمرهم الله تعالى بأن يستغفروا الله:{ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩ } [البقرة: ١٩٩]، وهكذا كان النبي ﷺ ، كما في حديث ثوبان في صحيح مسلم: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا انصرف من صلاته قال: (أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله) فهو يستغفر الله تعالى عقب الطاعة!! وليس عقب المعصية، لماذا يستغفر العبد عقب الطاعة؟ لأسباب: أولاً: لأن هذه الطاعة التي يقوم بها البعد لا تخلو من تقصير، أو غفلة، أو سهو، أو تفريط، أو شيءٍ لا يحيط به الإنسان، أو أن الشيطان يتسلط على الإنسان فيصرفه عن صلاته، أو يصرفه عن حجه، أو عن عبادته، أو عن صومه، فيقول: " أستغفر الله عما يكون في هذه العبادة من نقصٍ، أو خطأ، أو سهوٍ، أو تقصير "، هذه واحدة.

ثانياً: أن استغفارك عقب الطاعة إشعارٌ بأن هذه الطاعة شيءٌ قليل إلى جنب ما يجب لله الجليل جلَّ وعلا! فماذا تبلغ طاعتك بالقياس إلى حق الله جلَّ وعلا؟! إنها - والله - لا تكاد تكون شيئاً مذكوراً، خاصةً إذا تذكرت أن هذه الطاعة نفسها هي من فضله وامتنانه وإحسانه جلَّ وعلا، فحينئذٍ العبد يستغفر الله، مثل الذي يقول: ربِ سامحني عن التقصير في أداء شكرك وحقك! ثالثاً: أن العبد قد يداخله نوعٌ من العُجْبُ والاغترار بعمله، وهذا العجب قد يحبط العمل، فإذا قال عقب العبادة: " أستغفرُ الله " معناه أن هذا العبد صاحب قلبٍ عارف بحق الله جلَّ وعلا، عارفٍ بتقصيره، معترفٍ بعظيم جرمه، وهذا بإذن الله تعالى يكون وقايةً من كيد الشيطان بإدخال العجب والغرور على الإنسان، فهذا من أسرار استغفار الإنسان عقب الطاعة، وإذا كانت حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - كلها - طاعةً لله جلَّ وعلا، كما وصفت لكم، من دعوة، إلى عبادة، إلى علم، إلى هجرة، إلى جهاد، إلى غزو، إلى حج، إلى عمرة، إلى قيام، إلى صيام، إلى نسك، إلى صدقة، إلى تعليم، إلى صبر، إلى أخلاق فكان ﷺ ، كما وصف الله عز جلَّ وأمره:{ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣ } [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

هكذا كان ﷺ ، ولما سُئلت عائشة رضي الله عنها كما في صحيح

مسلم عن خلق النبي ﷺ ، قالت للسائل: هل أنت تقرأ القرآن؟ قال: نعم، قالت: [كان خلقه ﷺ القرآن] ومع هذا كانت حياته كلها عبادة، ومع هذا فيآخر حياته أنزل الله عليه قوله:{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾} [النصر: ٣].

كان عمر رضي الله عنه يجمع كبار المهاجرين والأنصار في مجلسه، ويجمع معهم عبد الله بن عباس، فقال له بعض المهاجرين، يا أمير المؤمنين: إنك تأتي معنا بـ عبد الله بن عباس، وهو غلام صغير، كُلنا لنافي مثل سنه، فقال: إنه فقيهٌ عالمٌ!! ثم قال لهم: يا معشر المهاجرين! أرأيتم قول الله عز وجل:{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾} [النصر: ١ - ٣]، ما تقولون في هذه السورة؟ فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ إذا جاء نصر الله والفتح أن يسبحه ويحمده ويستغفره، لا نعلم إلا ذلك، قال: فما تقول يا ابن عباس؟ قال: يا أمير المؤمنين! هذا أجلُ رسول الله ﷺ ، أخبره به ربه!! قال عمر: والله ما أعلم منها إلا ما تعلم يا ابن عباس!! فعلم الصحابة رضي الله عنهم، لماذا كان عمر يقرب ابن عباس رضي الله عنه!! فكانت هذه السورة إيذاناً بقرب أجل رسول الله ﷺ.

فالمشروع للعبد أن يختم حياته بكثرة الاستغفار وكثرة التوبة إلى الملك الغفار جلَّ وعلا، ولهذا أمر الله نبيه ﷺ في آخر عمره أن يسبح بحمد الله ويستغفره؛ إنه كان تواباً، فكان يسبح بحمد الله ويستغفره في قيامه وركوعه وسجوده وقعوده.

حال الغفلة: الحالة الثالثة: التي يستغفر العبد منها، هي: حال الغفلة، وكلنا خطاءون وكلنا غافلون، فأما الخطايا فحدث ولا حرج، فإن العبد لو نظر في خطاياه: ماذا جنت يداه؟ ماذا جنت عيناه؟ ماذا جنى لسانه؟ ماذا جنت أذنه؟ ماذا جنت قدمه؟ ماذا أكل؟ ماذا شرب؟ ماذا أخذ؟ ماذا أعطى؟ ماذا قال؟ ماذا سمع؟ ماذا نظر؟ لوجد أنه في حالٍ نسأل الله تعالى أن يستر علينا! ونقول: اللهم لا تفضحنا في الأرض، ولا يوم العرض، برحمتك يا أرحم الرحمين، فالعبد أحوج ما يكون إلى كثرة الاستغفار.

أما الحالة الثالثة فهي - أيضاً - من الظهور بمكان، وهي حال الغفلة، وما أكثر الغافلين الشاردين عن الله عز وجل، ألم تعلم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يقول - كما سبق - في المجلس الواحد مائة مرة: أستغفر الله الرسول عليه السلام يقول كما في حديث الأغر المزني وهو في صحيح مسلم يقول: «والله إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة في المجلس الواحد» يعني الرسول عليه الصلاة والسلام يشير إلى أنه يأتي - أحياناً - حالات يصبح في قلبه شيءٍ من السهو، يسهو، وقد يغفل عليه الصلاة والسلام، فيرى أن هذا في حقه تقصير ﷺ ؛ لأن مثله في مقامه، وما أكرمه الله تعالى به، يكون أعظم من تلك الحال، فيستغفر الله تعالى مما يشعر به في قلبه.

وكان عليه الصلاة والسلام لشدة قربه إلى الله جلَّ وعلا يحس بأدنى شيء، حتى إنه في الصحيحين: (أن الرسول ﷺ صلى يوماً صلاة الظهر، ثم سلم من ركعتين، ولما سلم قام إلى خشبةٍ معروضة في المسجد، فاتكأ عليها كأنه غضبان، وشبك بين أصابعه) وعادة التشبيك غالباً ما يستخدمها من يكون في قلبه شيء، وفي نفسه ضيق، أو في صدره حرج، ومع ذلك كأنه غضبان، وجد الصحابة في وجه رسول الله ﷺ أثر التغير، فالصحابة رضي الله عنهم هابوا أن يكلموا رسول الله ﷺ أنه سلم من ركعتين، وفيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب، لكن هابوا أن يكلموه، فقام رجلٌ يقال له ذو اليدين، واسمه الخرباق، في يده طول، ويكنى ذو اليدين: (فقال يا رسول الله! قصرت الصلاة أم نسيت؟ قال: «لا! ما قصرت ولا نسيت»، يظن أنه صلى أربعاً عليه الصلاة والسلام، قال: لا.

بل نسيت يا رسول الله! قال عليه الصلاة والسلام: أكما يقول ذو اليدين؟ قالوا: نعم يا رسول الله، فقام واستقبل القبلة، وصلى بهم، ثم سلم، ثم سجد للسهو عليه الصلاة والسلام).

إذاً لما نسي - مع أنه سهى عليه الصلاة والسلام - بان أثر ترك هاتين الركعتين في وجهه عليه الصلاة والسلام وفي هيئته وفي محياه، فلمح الصحابة في وجه رسول الله ﷺ أثر الغضب

والتغير، أما نحنُ فكثيرٌ منا قد يغفل عن كثير من العبـادة، وكثير من الصلاة، وكثير من الذكر، ولكن لا يشعر بذلك!

* * *

رواية فيها عبرة

(جاء في بعض روايات بني إسرائيل أن رجلاً قال: يا رب! كم أعصيك ولا تعاقبني - يقول: يا رب أنا أسمع أنه من يعصي الله يعاقب، فيا رب! أنا كم مرة عصيتك ولا عاقبتني!! - فأوحى الله تعالى: يا عبدي! كم عاقبتك ولا تشعر!! الغفلة في قلبك عقوبة، ونسيان الذنب عقوبة، وضيق الرزق عقوبة، وفساد الولد عقوبة، وتسليط الآخرين عليك عقوبة، وغلبة الدَّين عقوبة، وقهر الرجال عقوبة)

(قلت)

وما أكثر العقوبات! لكن أصحاب القلوب الميتة لا يَعُونَ ولا يشعرون! ولهذا: (كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء، قال: غفرانك!) يستغفر الله عز وجل، إذا خرج من الخلاء، لماذا؟ قال بعضهم: يستغفر ﷺ من لحظاتٍ لم يتح له فيها أن يذكر الله تعالى، مع أنه عليه الصلاة والسلام كان يذكر الله في كل أحيانه، كما في صحيح البخاري عن عائشة: (كان يذكر الله في كل أحيانه) لكن حال الخلاء لا يذكر الله تعالى فيه؛ لأنه لا يناسب ذكر الله، فإذا خرج من الخلاء قال: غفرانك، كأنه يستغفر من لحظات لم يتح له فيها أن يذكر الله تعالى، وقال آخرون: بل إن قوله ﷺ : غفرانك! إشارةٌ إلى أنه عليه الصلاة والسلام (أو أن الإنسان) معترفٌ بالتقصير في شكر نعمة الله، الذي رزقه هذا الطعام والشراب وأساغه، وجعل الجسم يمتص أفضل ما فيه، ويتخلص مما لا فائدة منه، فيستغفر العبد من التقصير في شكر نعمة الله تعالى، فإذا خرج من الخلاء قال: غفرانك! وكذلك جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وسنده صحيح، أن النبي ﷺ قال: (من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: " سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له) فهذه كفارة المجلس.

أي مجلس فيه لغط، فيه كلام بدون فائدة، فيه إفاضة في الحديث، فيه فضول، فيه قولٌ لا خير فيه ولا فائدة من ورائه، وضربٌ بالكلام في كل وادٍ، ففي آخر المجلس تذكر الإنسان، فقال: " سبحانك اللهم وبحمدك،

أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك "، فإن الله تعالى يغفر له، أما إن كان المجلس مجلس ذكرٍ وعلم وعبادة، فإن هذه الكلمة تكون كالطابع تختم عليه، ولا يفتح ولا يكسر إلى يوم القيامة

في حال العبادة

الحالة الأولى: التي يستغفر عندها العبد هي: حال العبادة، فإذا تلبس العبد بالعبادة، أو فرغ من العبادة، أقبل على الاستغفار، يدفع عن نفسه به، مَعَرَّة التقصير، أو مَعَرَّة الاغترار.

في حال المعصية

الحالة الثانية: التي يستغفر عقبها العبد هي: حال المعصية، وهذا هو الذي يعرفه كثير من الناس، خاصةً من عامتهم، أن الاستغفار لا يكون إلا عن ذنب، فإذا قيل لأحدهم: استغفر الله، قال: وهل أذنبت؟!، ونسي: قوله ﷺ : (كل بني آدم خَطَّاء، وخير الخطائين التوابون)!.

فإن الله عز وجل أمر بالاستغفار حال الذنب، قال تعالى في وصف المتقين: { **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾** } [آل عمران: ١٣٥]، ويقول الله عز وجل في محكم تنزيله: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾} [الزمر: ٥٣].

ولهذا أمر النبي ﷺ العبد، كلما أذنب أن يقبل على الله ويستغفر، في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (كنتُ إذا حدثني أحدٌ من أصحاب محمد ﷺ حديثاً استحلفته، فإذا حلف لي صدقته أي يقول: احلف بالله أنك سمعت الرسول عليه الصلاة والسلام يقول هذا الكلام، يقول علي رضي الله عنه: وقد حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر!! أن النبي ﷺ قال: «**ما من عبدٍ يذنبُ ذنباً، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ركعتين، ويقول: اللهم إني أذنبتُ فاغفر لي ؛ إلا غفر الله تعالى له!!**» والحديث صحيح.

انظر إلى سعة رحمة الله جلَّ وعلا: {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} [النجم: ٣٢]،

وقـــال: {قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ} [الزمر: ٥٣]، وقال جلَّ وعلا: {وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ} [آل عمران: ١٣٥].

المهم لا ينقطع حبلك مع ذي الجلال والإكرام! لا تغفل عن هذا الإله الجليل الكريم الوهاب! تقبل عليه بقلبٍ منكسر! وتقول: " أستغفر الله" فيمحو عنك ما فَرَطَ من ذنوبك وسيئاتك وتقصيرك! تتوضأ وتصلي ركعتين، وتقبل على الله تعالى بقلبك وبدنك، وتقول: " اللهم إني ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنبي؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم اغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم"، فيقول الله

عز وجل برحمته، وكرمه، وجوده: (عبدي علم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، قد غفرت لك!!) وأي شيء تريد أعظم من هذا؟! أعظم من أن يتجاوز عن ذنبك، ويحفظ لك حسناتك؟ فإذا جاء يوم القيامة أتتك حسناتك كاملةً موفورة، وعرض الله عز وجل عليك سيئاتك، فقال: (يا عبدي! أنا سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم) ثم تعطى كتاب حسناتك بيمينك، أي شيء تريد بعد هذا؟! وأي فضلٍ أعظم من هذا؟!: {إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ} [النجم: ٣٢].

فوائد الاستغفار:

الصحيح أيها الإخوة: الاستغفار مما ينبغي أن يلازمه الإنسان في كل حال.

وللاستغفار فوائد عظيمة جداً، منها: مغفرة الذنوب، فإن الله تعالى وعد بذلك: {إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر: ٥٣]، وما أكثر الذنوب التي نقترفها، فلنحرقها بالاستغفار ومنها: رفع الدرجات، فإن العبد إذا استغفر الله تعالى رفع درجاته ومنزلته في الجنة ومنها: إزالة الغفلة عن القلوب، وإحداث اليقظة، والإقبال على الله تعالى بسبب الاستغفار ومنها أن الله تعالى يحفظ العبد من الإعجاب بعمله أو الاغترار بما قدم بكثرة الاستغفار ومنها: أن الله تعالى يجعل له من كل همٍ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، كما جاء في الحديث - وإن كان فيهٌ ضعف - أن النبي ﷺ

قال: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍ فرجاً، ومن كل ضيقٍ مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب».

والحديث الآخر - وهو صحيح - حديث ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له: «يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك» من حفظ الله أن تستغفره من الذنوب والمعاصي.

وفي الحديث الآخر، أن النبي ﷺ قال - كما في سنن ابن ماجة، وسنده جيد كما يقول النووي: «طوبى لمن وُجِدَ في صحيفته استغفارٌ كثير» وطوبى: شجرة في الجنة، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾} [الرعد: ٢٩].

ماذا يضرك يا أخي الحبيب وأنت نائم، أو مضطجع، أو تأكل، أو تشرب، أو راكبٌ في سيارتك، أو تعاني أي عملٍ من عمل دنياك، أن تعود لسانك أن يكون رطباً بذكر الله تعالى واستغفاره، لا يضرك أبداً.

وأختم هذا المجلس الطيب بسيد الاستغفار: في الصحيح عن شداد بن أوس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: " اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قاله حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قاله حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة».

(أحبتي في الله)

في الاستغفار - بإذن الله - الفرجُ من كلّ همّ، والمخرجُ من كلّ ضيق، ورزقُ العبد من حيث لا يحتَسب، في الحديث: «من لزم الاستغفارَ جعلَ الله له من كلِّ همّ فرجًا، ومن كلّ ضيقٍ مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٤٧٢٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٦١٨)، وأبو داود في الصلاة (١٥١٦)، والترمذي في الدعوات (٣٤٣٤)، وابن ماجه في الأدب (٣٨١٤)، وقال الترمذي: " حسن صحيح غريب "، وصححه ابن حبان (٩٢٧)، وهو مخرج في السلسلة الصحيحة (٥٥٦).

إن الاستغفارَ الحقَّ صدقٌ في العزم على ترك الذنب، والإنابةُ بالقلوب إلى علام الغيوب. إن الخيرَ كلّه معلّق بصلاح القلوب وقبُول الإيمان، وحينئذ يأتي الغفران،{إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [الأنفال: ٧٠].

ألا فاتقوا الله رحمكم الله، اتقوا الله ربَّكم، وتوجَّهوا إليه بقلوبكم، وأحسنوا به الظنَّ. ارجعوا على أنفسكم بالمحاسبة، ومن صدَق في اللجوء صحَّت عنده التوبة. جانِبوا أهلَ الفحش والتفحُّش، ومجالسةَ أصحابِ الرَّدى، ومماراةَ السفهاء. احفَظوا للناس حقوقَهم،{وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ } [هود: ٨٥].

إنها لا تفسد الأحوالُ ولا تضطربُ الأوضاعُ إلا بطغيان الشهوات واختلاط النيات واختلاف الغِيَر والمداهنات، لا يكون الفسادُ إلا حينَ يُترَك للناس الحبلُ على الغارب، يعيشون كما يشتهون، بالأخلاق يعبثون، وللأعراض ينتهكون، ولحدود الله يتجاوَزون، من غير وازعٍ ولا رادع، ولقد تقرَّر عند أهل العلم بما صحَّ من الأخبار عن رسول الله أنَّ منعَ الزكاة وأكلَ الحرام وتركَ الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر أسبابٌ خاصة في منع القطر من السماء وعدم إجابة الدعاء. إذا كثُر الخبثُ استحقَّ القومُ الهلاكَ، وبكثرة الخبثِ تُنتقَص الأرزاق، وتُنزَع البركات، وتفشو الأمراض، وتضطرب الأحوال.

إنَّ للمعاصي شؤمَها، وللذنوب أثرها، فكم أهلكَت من أمَم، وكم دمَّرت من شعوب،{وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾} [الأنبياء: ١١].

(أحبتى في الله)

عباد الله، إن من رحمة الله بنا وبكم ومزيد فضله عليكم ما رتب على الاستغفار من عظيم الجزاء وسابغ الفضل والعطاء، فإن كثرة الاستغفار والتوبة من أسباب تنزل الرحمات الإلهية والألطاف الربانية والفلاح في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه:{لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }

[النمل: ٤٦]، وقال عز وجل: {وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١].

وإذا كثر الاستغفار في الأمة وعم أفرادها وصدر عن قلوب موقنة مخلصة دفع الله به عن العباد والبلاد ضروبًا من البلاء والنقم وصنوفًا من الرزايا والمحن، كما قال عز وجل: {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: ٣٣].

* * *

بعض منافع الإستغفار

- أحبتي في الله -

وإن من آثار الاستغفار أنه سبب لنزول الغيث المدرار وحصول البركة في الأرزاق والثمار وكثرة النسل والنماء، كما قال سبحانه حكاية عن نوح عليه السلام: {فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا} [نوح: ١٠ - ١٢].

والمستغفرون يمتعهم ربهم متاعًا حسنًا، فيهنؤون بحياة طيبة، ويسبغ عليهم سبحانه مزيدًا من فضله وإنعامه، {وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ} [هود: ٣].

وفي ملازمة الاستغفار تفريج الكرب والهموم والمخرج من ضائقات الأمور وحصول الرزق من حيث لا يحتسب العبد، ففي الحديث عند الإمام أحمد وأبي داود وابن ماجه: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٤)، وأبو داود في الصلاة (١٥١٨)، وابن ماجه في الأدب (٣٨١٩) من طريق الحكم بن مصعب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وليس عند ابن ماجه: " عن أبيه ".، وصححه الحاكم (٢٩١/٤)، وتعقبه الذهبي بقوله: " الحكم فيه جهالة "، وهو مخرج في السلسلة الضعيفة (٧٠٥).

فهذه - يا عباد الله - بعض فضائل الاستغفار ومنافعه، جلاّها لنا ربنا في كتابه، وأفصح عنها رسوله فيما صح من خبره، تحمل أهل الإيمان وأرباب التقوى على البدار بالتوبة وكثرة الاستغفار، غير أن هذه المنح الإلهية والفضائل الربانية إنما تحصل للمستغفرين الله تعالى حقًا وصدقًا، إذ الاستغفار ليس بأقوال ترددها الألسن وعبارات تكرر بين الحين والآخر فحسب، وإنما الاستغفار الحق ما تواطأ عليه القلب واللسان، وندم صاحبه على ما بدر منه من ذنوب وآثام، وعزم أن لا يعود على اقتراف شيء من ذلك، إذ هذه أركان التوبة النصوح التي أمر الله تعالى بها العباد، ووعد عليها تكفير الخطيئات والفوز بنعيم الجنات، فقال عز شأنه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [التحريم: ٨]. قال الإمام القرطبي رحمه الله قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار، ويثبت معناه في الجنان، وليس التلفظ بمجرد اللسان، فمن استغفر بلسانه وقلبه مصرّ على معصيته فاستغفارُه يحتاج إلى استغفار "[١]، وقال بعض العلماء: " من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته فهو كاذب، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه ".

فاتقوا الله عباد الله، وتذكروا أن في حوادث الزمان وفجائع الأيام ما يحمل أولي الألباب والنهى وذوي الإيمان والتقى على الاعتبار والادّكار والعودة إلى الله الواحد القهار والاعتصام بهدي القرآن واقتفاء هدي سيد الأنام والإقبال على طاعة الله ومرضاته وكثرة التوبة والاستغفار، فإن ذلك من أعظم الأسباب لحلول الأمن في البلاد وإضفاء الطمأنينة في نفوس العباد، وهو وحده الكفيل بحفظ أمة الإسلام في كافة بلادها ومختلف مجتمعاتها من كل ما تخشى وتحاذر.

فأقبلوا على ربكم وأطيعوه، واستغفروه وتوبوا إليه، فقد قال عز شأنه: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢١٠).

يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾} [الزمر: ٥٣ - ٥٤].

(أحبتي في الله)

تذكروا أنه لن يخرج أحد من هذه الحياة الدنيا حتى يرى الحسن من عمله والسيئ منه، وإنما الأعمال بالخواتيم، وما الليل والنهار إلا مطيتان، فأحسنوا السير فيهما إلى الآخرة، ولتحذروا التسويف والتفريط، ولا تكونوا ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل، فإن الآجال مغيبة، والموت يأتي بغتة، فلا يغترنّ أحدكم بحلم الله عز وجل؛ فإن الله يمهل ولا يهمل، وإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله.

وإن من نفاذ البصيرة وصدق الإيمان كثرة التوبة والاستغفار على الدوام، فذلك هدي رسول الهدى مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقول أبو هريرة: ما رأيت أكثر استغفارًا من رسول الله (١).

وإن مما صح عنه عليه الصلاة والسلام من جوامع أدعية الاستغفار ومما وجه الأمة إليه ما روى البخاري في صحيحه عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقنًا فمات من يومه قبل أن يمسي- فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**» (٢)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه؛ غفرت ذنوبه وإن كان قد فرّ من الزحف**» رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه (٣)، وفي الصحيحين أنه كان يكثر أن يقول في ركوعه

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (٣٩)، والراوي عن أبي هريرة مبهم.
(٢) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٠٦).
(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة (١٥١٧)، والترمذي في الدعوات (٣٥٧٧) من طريق بلال بن يسار بن زيد عن أبيه عن جده، وقال الترمذي: " غريب لا نعرفه إلا

وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»[(١)]، وروى مسلم في صحيحه أن من آخر ما كان يقول في صلاته قبل التسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»[(٢)].

فاتقوا الله عباد الله، وبادروا بالتوبة، ولازموا الاستغفار، وتعرضوا لنفحات ربكم في الجهر والإسرار. حتى يزيدكم الله من الرزق الحلال الطيب.

وصلوا وسلموا على سيد المستغفرين وخاتم النبيين...

* * *

[حقائق عن الاستغفار]

- أحبتي في الله -

والاستغفار: هو محو الذنب، وإزالة أثره ووقاية شره، وستره. والاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمنه، وكل منهما يدخل في مسمَّى الآخر، عند الإطلاق والإفراد، وأما عند الاقتران أي اقتران أحدهما بالآخر كقوله تعالى: {وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ} [هود: ٣]، فيكون الاستغفار هنا طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

قلت:

ومن المهم هنا أن يُعلم أن التوبة والاستغفار عبادة تَعَبَّدَنا الله تعالى بها باستمرار وعلى الدوام، سواء أوقعت ذنوب أو معاصي أم لم تقع،

من هذا الوجه"، وبلال وأبوه كل منهما مقبول كما في التقريب. وأخرجه الحاكم (٦٩٢/١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وصححه.

(١) أخرجه البخاري في الأذان (٨١٧)، ومسلم في الصلاة (٤٨٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

لكن إن حصلت - وما أكثرها! - إذ الإنسان خطاء، فيجب الإسراع إلى التوبة والندم وكثرة الاستغفار. وهذه العبادة لها أهمية بالغة يصعب استقصاء فضلها وفوائدها هنا لكن مما لا شك فيه، فيها رضى الرب عز وجل وقربٌ منه، وبعدٌ عن الشيطان، واستجلابٌ الخيرات وحصول البركات، ودفعٌ للشرور والمكروهات، ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفةناطقة حافلة بهذا، ومن ذلك قول هود - عليه السلام - لقومه: {وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾} [هود: ٥٢].

ذكر القرطبي: أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار، وأن عادًا كانوا أهل بساتين وزروع وعمارة فحبس عنهم المطر فقال لهم هود إن آمنتم وأكثرتم الاستغفار يحيي الله بلادكم ويرزقكم، الأموال والأولاد، ويزيدكم قوة إلى قوتكم [(١)].

وقال تعالى: {فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا} [نوح: ١٠ - ١٢].

(أحبتي في الله)

إن الذي يتدبر هذه الآيات يتبين له:

- أن التوبة والطاعة وكثرة الاستغفار سبب في بسط الرزق وحصول المال والبركة فيه، وهكذا أرشد نوح - عليه السلام - قومه إلى الطاعة وكثرة الاستغفار، أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه، وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع وأدرَّ لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها [(٢)].

قال ابن كثير: " يستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية: {فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾} [نوح: ١٠] [(٣)]. وقال

(١) الجامع لأحكام القرآن (٩/٥٣ - ٥٤) بتصرف.
(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم (١٨/٢٨٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٥٤٧).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٤٦).

الشعبي: خرج عمر - رضي الله عنه - يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأمطروا. فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟. فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر. ثم قرأ: {ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا} [نوح: ١٠]، أخرجه كل من عبدالرزاق [(١)]، وابن أبي شيبة [(٢)]، وابن أبي حاتم [(٣)]، والبيهقي [(٤)]. والشعبي وإن أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم إلا أنه لم يسمع من عمر - رضي الله عنه - كما ذكر غير واحد منهم ابن أبي حاتم [(٥)]، وقد قال العجلي: لا يكاد الشعبي يرسل إلا صحيحًا، وقال الآجري عن أبي داود: مرسل الشعبي أحب إليَّ من مرسل النخعي[(٦)].

وقد روى الأثر عن عمر غير واحد - أيضًا - منهم عطاء عند عبدالرزاق [(٧)]، وابن المسيب عند البيهقي [(٨)]، وأبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي عن أبيه عند البيقهي [(٩)] أيضًا، وفيه قال عبيد السعدي ألا يتكلَّم لما خرج له، ولا أعلم أن الاستسقاء هو الاستغفار فمطرنا.

وقد جاء الأثر أيضًا مسندًا مختصرًا عند ابن أبي شيبة قال: ثنا وكيع عن عيسى بن حفص بن عاصم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي عن أبيه قال خرجنا مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - نستسقي فما زاد على الاستسقاء [(١٠)].

---

(١) المصنف لعبدالرزاق (٨٧/٣) رقم (٤٩٠٢)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٩٠/١٨).
(٢) المصنف (٤٧٤/٢).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢٠٤٥/٦).
(٤) السنن الكبرى (٣٥١/٣ - ٣٥٢)، ومعرفة السنن والآثار (١٧٤/٥).
(٥) المراسيل (ص ١٦٠).
(٦) تهذيب التهذيب (٦٧/٥ - ٦٨)، ولم أقف عليه في (سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود)، فالله أعلم.
(٧) المصنف (٨٦/٣ - ٨٧).
(٨) معرفة السنن والآثار (١٧٣/٥ - ١٧٤).
(٩) السنن الكبرى (٣٥١/٣).
(١٠) المصنف (٤٧٤/٢).

قلت: وإسناده متصل ورجاله كلهم ثقات بلا استثناء. وبهذا يصح الأثر عن عمر - رضي الله عنه - والله أعلم.

وقد بين الرسول ﷺ سيِّد الاستغفار كما جاء عند البخاري [١] فقال: " سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنتن خلقتني وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت... ".

* * *

(١) الصحيح، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار (١١/٩٧ - ٩٨).

الحكمة من استغفار النبي ﷺ

- أحبتي في الله)

وقد جاء عند البخاري [١] أنه ﷺ قال: " والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ". وعند مسلم [٢] قال: قال ﷺ : " إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة " وفي رواية " يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة ". كل هذا مع أنه ﷺ قد غفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه كما جاء في قوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح: ١ - ٢]، وقد تقدم في الشكر أنه كان ﷺ يقوم حتى تتفطر قدماه. فلما سئل قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا.

وواضح مما سبق أن التوبة والاستغفار سبب لكل خير دنيوي وأخروي.

ومن جملة ذلك حصول الخير والبركة في المال، ودفع كل سوء ومكروه. وقد وجد كذلك نصوص صريحة في هذا.

منها: ما رواه أبوداود [٣]، وابن ماجه [٤]، والنسائي [٥]، وأحمد [٦]، والطبراني [٧]، والحاكم [٨]، والبيهقي [٩] من حديث ابن عباس - رضي الله - عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«من لزم الاستغفار – وفي لفظ (أكثر) – جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب»**. وصححه الحاكم، لكن تعقبه الذهبي قائلا: " أحد رواته فيه جهالة "، وقال

(١) الصحيح، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ▫ في اليوم والليلة (١٠١/١١).
(٢) الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٢٠٧٥/٤ - ٢٠٧٦).
(٣) السنن، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار (٨٥/٢).
(٤) السنن، كتاب الأدب، باب الاستغفار (١٢٥٤/٢).
(٥) عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٤٥٦).
(٦) المسند (٢٨٤/١).
(٧) المعجم الكبير (٣٤٢/١٠) حديث رقم (١٠٦٦٥).
(٨) المستدرك (٢٦٢/٤).
(٩) السنن الكبرى (٣٥١/٣).

المنذري: " في إسناده الحَكَم بن مصعب، ولا يحتج به " [1]، كما ضعفه الألباني بسبب الحكم بن مصعب أيضًا [2].

قلت: وقد رمز السيوطي له بالصحة [3]، وقال صاحب التاج: " سنده صحيح " [4]، كما قال أحمد شاكر - أيضًا - إسناده صحيح، وقد ذكر الاختلاف في الحكم بن مصعب ورجح تعديله، كما رد على المنذري فقال " وهذا غلو منه شديد " [5].

وقد روى الربيع بن صبيح أن رجلاً أتى الحسن فشكا إليه الجدوبة، فقال له الحسن: " استغفر الله "، فأتاه آخر فشكا إليه الفقر، فقال له: " استغفر الله "، وأتاه آخر فشكا إليه جفاف بساتينه، فقال له: " استغفر الله "، وأتاه آخر فقال له: " ادع الله أن يرزقني ابنا "، فقال له: " استغفر الله ". فقلنا له: " أتاك رجال يشكون إليك أبوابًا، ويسألونك أنواعًا، فأمرتهم كلهم بالاستغفار "، فقال: " ما قلت من ذات نفسي في ذلك شيئًا، إنما اعتبرت فيه قول الله تعالى إخبارًا من نبيه نوح - عليه السلام - أنه قال لقومه: { فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ } [نوح: ١٠ - ١٢].

* * *

[من أنواع الاستغفار]

- من كتاب جامع العلوم والحكم -

وأفضل أنواع الاستغفار: أنْ يبدأ العبدُ بالثَّناء على ربِّه، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة كما في حديث شدَّاد بن أوس عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «سيِّدُ الاستغفار أنْ يقول العبدُ: اللهمَّ أنت ربِّي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذُ بك من شرِّ ما

(١) مختصر سنن أبي داود (٢/١٥٢).
(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٧٠٥).
(٣) الجامع الصغير (٢/١٦٦).
(٤) التاج الجامع للأصول (٥/١٥٠).
(٥) المسند، حديث رقم (٢٢٣٤).

صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي، فإنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلاَّ أنتَ» خرَّجه البخاري [(١)].

وفي " الصحيحين " [(٢)] عن عبد الله بن عمرو أنَّ أبا بكرٍ الصديق - رضي الله عنه - قال:

يا رسولَ الله، علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «قل: اللهمَّ إنِّي ظلمتُ نفسي ظُلماً كثيراً، ولا يغفرُ الذُّنوب إلاَّ أنتَ، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنَّك أنت الغفورُ الرحيم».

ومن أنواع الاستغفار أنْ يقولَ العبدُ: «أستغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيُّوم وأتوب إليه». وقد رُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّ من قاله، غُفِر له وإنْ كان فرَّ من الزَّحف؛ خرجه أبو داود والترمذي [(٣)].

وفي كتاب " اليوم والليلة " [(٤)] للنسائي، عن خَبَّاب بن الأرتّ، قال: قلت يا رسول الله، كيف نستغفر؟ قال: «قل: اللهمَّ اغفر لنا وارحمنا وتُبْ علينا، إنك أنت التَّوابُ الرحيم»، وفيه عن أبي هريرة، قال: ما رأيت أحداً أكثر أنْ يقولَ: أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ [(٥)].

وفي " السنن الأربعة " [(٦)] عن ابن عمر، قال: إنْ كنَّا لنَعُدُّ لرسولِ الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرَّة يقول: «ربِّ اغفر لي وتُب عليَّ، إنَّك أنتَ

---

(١) في " صحيحه " ٨/٨٣ (٦٣٠٦) و٨/٨٨ (٦٣٢٣).

(٢) صحيح البخاري ١/٢١١ (٨٣٤)، وصحيح مسلم ٨/٧٤ (٢٧٠٥) (٤٨).

(٣) ١٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٧) من حديث بلال بن يسار بن زيد، عن أبيه، عن جده، به مرفوعاً، وقال الترمذي: ♂غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، وبلال وأبوه مجهولان، وزيد جد بلال لا يعرف له إلاّ هذا الحديث.

(٤) برقم (٤٦١)، وهو في " السنن الكبرى " (١٠٢٩٥)، وعنه أخرجه ابن السني في " عمل اليوم والليلة " (٣٧٢)، وهذا حديث معلول بالإرسال، والمرسل هو الصواب كما ذكر ذلك المزي في " تحفة الأشراف " ٣/٤٦ (٣٥٢١).

(٥) أخرجه: عبد بن حميد (١٤٦٥)، والنسائي في " الكبرى " (١٠٢٨٨) وفي " عمل اليوم والليلة "، له (٤٥٤)، وفي إسناده مقال.

(٦) أخرجه: أبو داود (١٥١٦)، وابن ماجه (٣٨١٤)، والترمذي (٣٤٣٤)، والنسائي في " الكبرى "، له (١٠٢٩٢) وفي " عمل اليوم والليلة "، له (٤٥٨)، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

التوَّابُ الغفور».

وفي " صحيح البخاري " [1] عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ ، قال: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

وفيَ " صحيح مسلم " [2] عن الأغرِّ المزني، عن النَّبيِّ ﷺ ، قال: «إنَّه ليُغانُ على قلبي، وإنِّي لأستغفرُ الله في اليوم مئة مرة».

- انتهى من كتاب جامع العلوم والحكم لأبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي

* * *

[من صيغ الإستغفار]

- صِيَغُ الِاسْتِغْفَارِ:

- ٦ - وَرَدَ الِاسْتِغْفَارُ بِصِيَغٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَالْمُخْتَارُ مِنْهَا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُول: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ [3].

- ٧ - وَمِنْ أَفْضَل أَنْوَاعِ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُول الْعَبْدُ: أَسْتَغْفِرُ الله الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ. [4] وَهَذَا عَلَى سَبِيل الْمِثَال وَلَيْسَ الْحَصْرِ كَمَا

---

(١) ٨/ ٨٣ (٦٣٠٧).

(٢) ٨/ ٧٢ (٢٧٠٢) (٤١).

(٣) تفسير القرطبي ٤ / ٤٠، والأذكار ٧١، ٣٥٩ ط الحلبي، ومدارج السالكين ١ / ٢٢١ ط نصار، وفتاوى ابن تيمية ١٠ / ٢٤٩، وإتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين ٥ / ٦٠، والكلم الطيب والعمل الصالح لابن القيم ص ٢٢ ط الرياض. وحديث شداد بن أوس أخرجه البخاري (فتح الباري ١١ / ٩٧ ط السلفية).

(٤) حديث " أستغفر الله الذي.... " أخرجه أبو داود والترمذي مرفوعا من حديث زيد مولى النبي ◘ بلفظ " أنه سمع النبي ◘ يقول: من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه.

- أَنَّ بَعْضَ الأَوْقَاتِ وَبَعْضَ الْعِبَادَاتِ تَخْتَصُّ بِصِيَغٍ مَأْثُورَةٍ تَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهَا وَيَنْبَغِي التَّقَيُّدُ بِأَلْفَاظِهَا، وَمَوْطِنُ بَيَانِهَا غَالِبًا كُتُبُ السُّنَّةِ وَالأَذْكَارِ وَالآدَابِ، فِي أَبْوَابِ الدُّعَاءِ وَالاِسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ.

- وَإِذَا كَانَتْ صِيَغُ الاِسْتِغْفَارِ السَّابِقَةِ مَطْلُوبَةً فَإِنَّ بَعْضَ صِيَغِهِ مَنْهِيٌّ عَنْهَا،

مرقاة المفاتيح ٢ / ٦٣٤ ط المكتبة الإسلامية، والزرقاني على الموطأ ٢ / ٣٤ ط الاستقامة، والفتاوى الكبرى لابن حجر ١ / ١٤٩ ط عبد الحميد أحمد حنفي، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٤٥٢ ط دار الكتب العلمية.

- فَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّ الله لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ

" أخرجه البخاري (فتح الباري ١١ / ١٣٩ ط السلفية).

- اسْتِغْفَارُ النَّبِيِّ ﷺ :

- اسْتِغْفَارُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } [محمد: ١٩].

- وَقَدْ ذَكَرَ الْفُقَهَاءُ وَالْمُفَسِّرُونَ وُجُوهًا عَدِيدَةً فِي اسْتِغْفَارِهِ ﷺ مِنْهَا: أَنَّهُ يُرَادُ بِهِ مَا كَانَ مِنْ سَهْوٍ أَوْ غَفْلَةٍ، أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ ذَنْبٍ، وَإِنَّمَا كَانَ لِتَعْلِيمِ أُمَّتِهِ، وَرَأْيُ السُّبْكِيِّ: أَنَّ اسْتِغْفَارَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ يَحْتَمِل إِلاَّ وَجْهًا وَاحِدًا، وَهُوَ: تَشْرِيفُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ ذَنْبٌ، لأَنَّهُ ﷺ لاَ يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى.

- من كتاب الفتوحات الربانية ٧ / ٢٦٩، والزرقاني على خليل ١ / ٧٧ ط دار الفكر، والفواكه الدواني ٢ / ٤٣٢، ومرقاة المفاتيح ٣ / ٦٠، وفتاوى ابن تيمية ١٥ / ٥٧، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣ / ٤٦٤.

-

الِاسْتِغْفَارُ بَعْدَ الْوُضُوءِ:

١٠ - يُسَنُّ الِاسْتِغْفَارُ ضِمْنَ الذِّكْرِ الْوَارِدِ عِنْدَ إِتْمَامِ الْوُضُوءِ [١] رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، كُتِبَ فِي رَقٍّ، ثُمَّ جُعِلَ فِي طَابَعٍ، فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [٢].

وَقَدْ وَرَدَتْ صِيَغٌ أُخْرَى تَتَضَمَّنُ الِاسْتِغْفَارَ عَقِبَ الِانْتِهَاءِ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَثْنَاءَهُ يَذْكُرُهَا الْفُقَهَاءُ فِي سُنَنِ الْوُضُوءِ.

الِاسْتِغْفَارُ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ:

١١ - يُسْتَحَبُّ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ، وَالشَّافِعِيَّةِ، وَالْحَنَابِلَةِ، الِاسْتِغْفَارُ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ [٣]، لِمَا وَرَدَ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ [٤]

وَالْوَارِدُ فِي كُتُبِ الْحَنَفِيَّةِ أَنَّ الْمُصَلِّيَ يَقُولُ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ: اللَّهُمَّ

(١) ابن عابدين ١ / ٨٧ ط بولاق، وحاشية البناني على عبد الباقي ١ / ٧٣ ط دار الفكر، والفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية ٢ / ٣١٧، ومدارج السالكين ١ / ١٧٦.

(٢) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم. قال ابن حجر الهيثمي: إنه ضعيف وإن قال الحاكم إنه صحيح. رواه سفيان الثوري عن أبي هاشم فرفعه. وأخرجه الطبراني في الأوسط بلفظ مقارب، ورواته رواه الصحيح، وصوب النسائي وقفه على أبي سعيد الخدري (الفتوحات الربانية ٢ / ٢٠ نشر المكتبة الإسلامية، ومجمع الزوائد ١ / ٢٣٩ نشر.

(٣) شرح ميارة الصغير ٢ / ١٣٧ ط الحلبي، ومنح الجليل ١ / ٥٦ ط ليبيا، والجمل ١ / ٤٥٣، والمغني لابن قدامة ١ / ٤٥٥ ط الرياض، والأذكار النووية ٢٥ ط الباروردي ودار الفلاح، وكشاف القناع ١ / ٣٠١.

(٤) حديث فاطمة بنت رسول الله ◘ أخرجه ابن ماجه والترمذي وحسنه لكثرة طرقه (تحفة الأحوذي ٢ / ٢٥٣ - ٢٥٥ نشر المكتبة السلفية، وسنن ابن ماجه بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١ / ٢٥٣ ط عيسى الحلبي).

افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَعِنْدَ خُرُوجِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ [١]

الإِسْتِغْفَارُ فِي الصَّلاَةِ:

أَوَّلاً - الإِسْتِغْفَارُ فِي افْتِتَاحِ الصَّلاَةِ:

١٢ - جَاءَ الإِسْتِغْفَارُ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي دُعَاءِ الإِفْتِتَاحِ فِي الصَّلاَةِ، وَأَخَذَ بِذَلِكَ الشَّافِعِيَّةُ مُطْلَقًا، وَالْحَنَفِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ فِي صَلاَةِ اللَّيْلِ، [٢] مِنْهَا مَا رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [٣].

وَيُكْرَهُ الإِفْتِتَاحُ فِي الْمَكْتُوبَةِ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ [٤].

وَمَحَل الإِسْتِغْفَارِ فِي دُعَاءِ الإِفْتِتَاحِ يَذْكُرُهُ الْفُقَهَاءُ فِي سُنَنِ الصَّلاَةِ، أَوْ فِي كَيْفِيَّةِ الصَّلاَةِ.

ثَانِيًا: الإِسْتِغْفَارُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالْجُلُوسِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ:

١٣- يُسَنُّ الدُّعَاءُ بِالْمَغْفِرَةِ فِي الرُّكُوعِ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ، وَالْحَنَابِلَةِ. رَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُول فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي [٥] يَتَأَوَّل الْقُرْآنَ، أَيْ يُحَقِّقُ قَوْله تَعَالَى:{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ } [النصر: ٣]، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. إِلاَّ أَنَّ الشَّافِعِيَّةَ يَجْعَلُونَ ذَلِكَ لِلْمُنْفَرِدِ، وَلإِمَامِ قَوْمٍ مَحْصُورِينَ رَضُوا بِالتَّطْوِيل. وَلاَ يَأْتِي بِغَيْرِ التَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ، وَالْمَالِكِيَّةِ، غَيْرَ

(١) مراقي الفلاح ص ٢١٥، ٢١٦ ط بولاق. أخرج مسلم من حديث أبي أسيد مرفوعا " إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك " (صحيح مسلم ١ / ٤٩٤ ط عيسى الحلبي).

(٢) المجموع ٣ / ٣١٥ ط المنيرية، والمغني لابن قدامة ٤٧٤/١ ط الرياض، والأذكار ص٤٣، ٤٤، وفتاوى ابن تيمية ١٠ / ٢٤٩، والكلم الطيب والعمل الصالح لابن القيم ص ٢٢٠ ط الرياض.

(٣) حديث " اللهم إني ظلمت نفسي ظلما...... " أخرجه البخاري (فتح الباري ٢ / ٣١٧ ط السلفية).

(٤) الكافي لابن عبد البر ١ / ٢٠٦ ط الرياض.

(٥) حديث عائشة أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي (التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ١ / ١٩٠ ط دار إحياء التراث العربي ١٣٨١ هـ).

أَنَّ الْحَنَفِيَّةَ يُجِيزُونَ الاِسْتِغْفَارَ عِنْدَ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ [(١)].

- أسأل الله أن يجعلنا الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنة أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الآلباب (آمين).

* * *

(١) الزرقاني على خليل ١ / ٢١٧، وابن عابدين ١ / ٣٤٠ والجمل على المنهج ١ / ٣٦٤ ط دار إحياء التراث العربي، والزوائد في فقه الإمام أحمد ١ / ١٢٠ ط السلفية.

[من مفاتيح الرزق السعي في الكسب أخذًا بالأسباب]

(أحبتي في الله)

إن مما لا شك فيه أن الحصول على المال يحتاج إلى سعي، واتخاذ الأسباب الجالبة للرزق، والبركة فيه، وقد وجه الشارع العباد إلى العمل، وعدم التواكل أخذًا بالأسباب، فإن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، ولم يرض الإسلام للإنسان المسلم أن يكون عالة على غيره، واقعا في ذل السؤال والحاجة إلى الناس.

ونصوص القرآن الكريم والسنة المشرفة مليئة بالتوجيهات بهذا الخصوص، فمن ذلك قوله تعالى: { فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ } [الجمعة: ١٠]. أي انتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم وابتغوا من رزق الله[١].

وقال تعالى: { هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ } [الملك: ١٥]. أي فسافروا حيث شيءتم من أقطارها وترددوا في أرجائها وأطرافها وأقاليمها وفجاجها في أنواع المكاسب والتجارات، والسعي هنا لا ينافي التوكل حالكم كحال الطير لها غدو ورواح لطلب الرزق مع توكلها على خالقها [٢]. ونحو هذا المعنى في

قوله تعالى: { وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ } [المزمل: ٢٠].

ومن السنة المشرفة أن النبي ﷺ قال: « **ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإنَّ نبي الله داود – عليه السلام – كان يأكل من عمل يده** » أخرجه البخاري [٣] وآخرون. وقد سئل رسول الله ﷺ أي الكسب أطيب أو أفضل فقال: « **عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور** » .

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠٥/١٨).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥١١/٤) بتصرف.

(٣) الصحيح، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (٣٠٢/٤).

أخرجه بهذا اللفظ كل من أحمد [١]، والبزار [٢]، والطبراني في (الأوسط [٣]، والحاكم [٤] من حديث رافع ابن خديج، وقال الطبراني: " لم يرو هذا الحديث عن وائل بن داود إلا المسعودي " وبنحو هذا قال البزار عقبه، وممن أخرجه أيضا الحاكم [٥] من حديث سعيد بن عمير عن عمه (البراء بن عازب) بنحوه، وقال الحاكم: " صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووائل بن داود وابنه بكر ثقتان وقد ذكر يحيى بن معين أن عم سعيد بن عمير البراء بن عازب وإذا اختلف الثوري وشريك فالحكم للثوري ". أهـ. ووافقه على ذلك الذهبي.

وحصول الرزق، والبركة فيه وإن كان واضحًا من النصوص السابقة إذ إن السعي أو الكسب سبب في حصول الخيرات والبركات إلا أن ثمة أمورًا لابد من مراعاتها ليتم استجلاب البركة والنماء من الكسب وإلا لربما يشوب المرء رزقه وماله بشيء من الحرام فتذهب هذه البركة أدراج الرياح.

... ومن هذه الأمور التي لابد من مراعاتها وهي التي يستجلب النماء والبركة بسببها بإذن الله تعالى:

١ - أن يكون الكسب مباحًا حلالاً لا يدخله الحرام مهما قلَّ أو دقَّ:

وذلك لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، والحرام خبيث ارتكب بسببه المعصية، فلا يبارك الله فيه بل يمحق الرزق، ويمنع تجدد وصوله، وقد جاء عند مسلم [٦] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه ﷺ قال: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا» وفيه: «ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث، أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام،

(١) المسند (١٤١/٤).
(٢) المسند (كشف الأستار عن زوائد البزار) (٨٣/٢).
(٣) المعجم الأوسط (٤٤٦/٨) رقم (٧٩١٤).
(٤) المستدرك (١٠/٢).
(٥) المستدرك (١٠/٢).
(٦) الصحيح، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٧٠٣/٢).

ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك؟».

وقد حذَّر النبي ﷺ من فتنة المال، وعدم توخي الحلال والتحري في الكسب كما جاء عند البخاري [1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام».

٢ - الصدق والأمانة:

ومما يستجلب به البركة في المال، الصدق والأمانة في التعامل، فقد روى البخاري [2] حديث حكيم بن حزام قال: قال رسول الله ﷺ: «البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا – أو قال: حتى يتفرقا – فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما».

(يقول الشيخ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي في كتابة نظم الدرر في تناسب الآيات والسور).

ولما كان السعي في طلب الرزق ملهياً عن الذكر، بين أنه أعظم السعي في المعاش وأن من غفل عنه لم ينجح له مقصد وإن تحايل له بكل الحيل وغير ذلك فقال: {وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ} [الجمعة: ١٠] أي الذي بيده كل شيء ولا شيء لغيره فإنه لا رخصة في ترك ذكره أصلاً.

ولما كان العبد مطلوباً بالعبادة في كل حال فإنه مجبول على النسيان، فمهما فتر عن نفسه استولت عليها الغفلة فمرنت على البطالة فهلكت قال:

---

(١) الصحيح، كتاب البيوع، باب من لم يبال من حيث كسب المال (٢٩٦/٤).
... قلت: والممارسات المحرمة القاضية بذهاب بركة المال وزواله كثيرة لا مجال لذكرها هنا، منها: الربا، والاحتكار، والحلف الكاذب، وجميع البيوع المحرمة، ونحو هذا، والله أعلم.

(٢) الصحيح، كتاب البيوع، باب إذا بيَّن البيعان، ولم يكتما ونصحا (٣٠٩/٤).
قال الحافظ ابن حجر: " قوله صدقا، أي من جانب البائع في البيع ومن جانب المشتري في الوفاء، وقوله بيَّنا: أي لما في الثمن والمثمن من عيب فهو من جانبيهما وكذا نقصه. قال: وفي الحديث حصول البركة لهما إن حصل منهما الشرط، وهو الصدق والتبيين، ومحقها إن وجد ضدهما وهو الكذب والكتم. وفي الحديث أن الدنيا لا يتم حصولها إلا بالعمل الصالح وأن شؤم المعاصي يذهب بخيري الدنيا والآخرة " (فتح الباري (٣١١/٤).

﴿كَثِيرًا﴾ [الجمعة: ١٠]، أي: بحث لا تغفلوا عنه بقلوبكم أصلاً ولا بألسنتكم حتى عند الدخول إلى الخلاء وعند أول الجماع وعند الإنزال، واستثنى من اللساني وقت التلبس بالقذر كالكون في قضاء الحاجة.

ولما كان مراد الإنسان من جميع تصرفاته الفوز بمراداته قال معللاً لهذا الأمر:﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، أي: لتكونوا عند الناظر لكم والمطلع عليكم من أمثالكم ممن يجهل العواقب على رجاء من أن تظفروا بجميع مطلوباتكم، فإن الأمور كلها بيد من تكثرون ذكره، وهو عالم بمن يستحق الفلاح فيسعفه به وبمن عمل رياء ونحوه فيخيبه، فإذا امتثلتم أمره كان جديراً بتنويلكم ما تريدون، وإن نسيتموه كنتم جديرين بأن يكلكم إلى أنفسكم فتهلكوا.

ولما كان التقدير مما ينطق به نص الخطاب: هذه أوامرنا الشريفة وتقديساتنا العظيمة وتفضلاتنا الكريمة العميمة، فما لهم إذا نودي لها توانى بعضهم في الإقبال إليها، وكان قلبه متوجهاً نحو البيع ونحوه من الأمور الدنيوية عاكفاً عليها ساعياً بجهده إليها فخالف قوله أنه أسلم لرب العالمين فعله هذا، عطف عليه قوله:﴿وَإِذَا رَأَوْا﴾ [الجمعة: ١١] أي: بعد الوصولإلى موطنها المريح ومحلها الفسيح الشرح المليح، والاشتغال بأنها العالي﴿تِجَٰرَةً﴾ [الجمعة: ١١]، أي: حمولاً هي موضع للتجارة.

ولما ذكر ما من شأنه إقامة المعاش أتبعه ما هو أنزل منه وهو ما أقل شؤونه البطالة التي لا يجنح إليها ذو قدر ولا يلقي لها باله فقال:﴿أَوْ لَهْوًا﴾ [الجمعة: ١١]، أي: ما يلهي عن كل نافع.

ولما كان مطلق الانفضاض قبيحاً لأنه لا يكون إلا تقرباً على حال سيئ، فض الفم والطلع: كسرهما، فكيف إذا كانت علته قبيحة، قال تعالى معبراً به:﴿ٱنفَضُّوٓاْ﴾ أي نفروا متفرقين من العجلة.

ولما كان سبب نزول الآية أنه اكن أصاب الناس جوع وجهد، فقد دحية الكلبي رحمه الله تعالى بعير تحمل الميرة، وكان في عرفهم أن يدخلوا في مثل ذلك بالطبل والمعازف والصياح، وكان قصد بعض المنفضين العير،

وبعضهم ما قارنها من اللهو.

(انتهى من كتاب نظم الدرر).

* * *

طلب الرزق والتوكل

المجيب د. عبدالله بن عمر السحيباني

عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم

التصنيف الفهرسة/ الرقائق و الأذكار/التوكل

التاريخ ١٤٢٣/٣/٢٤

السؤال

الإلحاح في طلب الرزق وزيادة الدخل الشخصي للمسلم، هل ينافي التوكل و الرضا بالقضاء و القدر؟

الجواب

إن السعي في طلب الرزق والحرص عليه، وفعل الأسباب الموصلة إليه لا ينافي القدر؛ لأن الله - تعالى - قدر الأقدار، وأمر بالأسباب وكل ميسر لما خلق له، وقد دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، قال الله تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾} [الجمعة: ١٠]، وقال - سبحانه -: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: ١٥]، وقال - سبحانه -: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ} [البقرة: ١٩٧]، وهذه آيات صريحة في الأمر بطلب الرزق والكسب والتجارة المباحة، والاستغناء عن المخلوقين، مع عدم نسيان ذكر الله وما عنده من الأجر العظيم والنعيم المقيم.

وجاء في الحديث الصحيح أنه قيل للنبي ﷺ: «أرأيت ما يعمل الناس فيه ويكدحون فيها جفت به الأقلام وطويت به الصحف؟» لما قيل له: أفلا نتكل على الكتاب؟ قال: «لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له» البخاري (٤٩٤٩) مسلم (٢٦٤٧).

قال شيخ الإسلام: وجماع هذا أن الله خلق الأمور بأسباب، فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع " (انظر

قاعدة في الرد على الغزالي في التوكل، تحقيق الشيخ علي الشبل، وهي مفيدة في هذا الباب).

لكن الذي ينبغي أن يعلمه السائل أن الإلحاح في طلب الرزق أو الحرص الزائد والشره مما يذم عليه المسلم، وربما أفسد عليه دينه جاء في الحديث الصحيح: " ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه " الترمذي (٢٣٧٦) أحمد (١٥٧٨٤).

من أبرز هذه الأسباب الجالبة للبركة في الرزق بشكل عام:

أ - تقوى الله عز وجل بفعل الطاعات، وتجنب المعاصي والمحرمات.

ب - حسن التوكل على الخالق، والانقطاع إليه دون غيره، مع ملازمة الذكر، والشكر، والدعاء والاستغفار.

ج - السعي في طلب الرزق واستجلاب البركة فيه، مع توخي الحلال والابتعاد عن الحرام بجميع صوره وأشكاله.

د - بذل الأموال، والقيام بالواجبات المتعلقة به من عبادات، وصدقات، وصلة أرحام، بسخاوة نفس وجود وبذل للمعروف.

ه - الاقتصاد في المعيشة، مع حسن التدبير، والابتعاد عن الترف والتبذير.

٦ - إن عدم اتباع الشرع، أو الإخلال بشئ من هذه الأسباب يؤدي إلى زوال البركة، ومحق الرزق، وحرمان الإنسان من تجدد النعم واستقرارها.

* * *

[عدم السعي على الرزق من أسباب تخلف المسلمين]

(أحبتى في الله)

الفرق بين الفقر والتخلف في المفهوم الإسلامي:

١ - المفهوم الإسلامي للفقر:

الإسلام يرى أن الفقر هو: «**عدم القدرة على الحصول على الاحتياجات الضرورية لعدم توفر أسباب العيش الكريم الرغد، وهو ما يعني العِوَز والتعرض للجوع والحرمان والإملاق**».

ومن ثَم فجهود التنمية وعمارة الأرض في الإسلام تهدف إلى رفع مستوى المعيشة وتحسينه بانتظام بما يكفل توفير حد الكفاية لجميع الأفراد، أي إغناء كل فرد بحيث يكون قادراً على الإنفاق على نفسه وعلى من يعول؛ وذلك تمييزاً له عن حد الكفاف الذي يعد الحد الأدنى للمعيشة.

ولا يقتصر توفير حد الكفاية على ضرورات الحياة اليومية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، بل يمتد إلى ما يلزم لتهيئة حياة كريمة للفرد مثل توفير الرعاية الطبية والتعليم الأساسي وسبل الزواج، أي كل ما يجعل الفرد يلحق بالمستوى المعيشي السائد في المجتمع.

والفقير في المفهوم الإسلامي هو من لا يملك قوت يوم وليلة لقوله ﷺ : «**من سأل وعنده ما يغنيه؛ فإنما يستكثر من النار**»، فقيل: وما حد الغنى يا رسول الله؟ قال: «**شِبَعُ يوم وليلة**» رواه أبو داود.

٢ - المفهوم الإسلامي للتخلف الاقتصادي:

إن الناظر في القرآن الكريم والسنة النبوية وأفعال الصحابة ليدرك أن الإسلام ينظر إلى التخلف على أنه تراخٍ عن العمل، وتراخٍ في السعي في طلب الرزق وعمارة الأرض بشكل فعّال؛ فإن الله قد أعطى للإنسان العديد من الثروات والنعم التي لا تحصى، وطالبه بعمارة الأرض. يقول تعالى: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: ٦١]، وإن الإسلام يساعد الفقراء من مال الصدقة، ولا يساعد المتخلفين أو القاعدين عن العمل بغير عذر.

وهكذا فرق الإسلام بين الفقر والتخلف، واعتبر أن للفقير حقاً معلوماً في الزكاة وموارد بيت المال.

وعمارة الأرض - وهي مطلب شرعي - غير مقصورة على البعد المادي المتمثل في إنتاجِ ما من المنتجات، بل يشمل أبعاداً أخرى

اجتماعية وثقافية وأخلاقية؛ حيث تهدف عمارة الأرض إلى إقامة مجتمع المتقين الذي يتمتع بمستوى معيشي طيب يصل إليه بزيادة الإنتاج إلى أقصى حد مع استشعار تقوى الله في ذلك. فإذا أصيب المجتمع بمصيبة التخلف؛ فإن هناك ثلاثة معايير يمكن النظر إليها على أنها تفرقة بين الدول المتخلفة والدول المتقدمة؛ وذلك في المفهوم الإسلامي:

١ - وجود الموارد الطبيعية الملائمة.

٢ - وجود الجهد البشري الفعال الذي يتعامل مع تلك الموارد أو يحيلها إلى منتجات نافعة.

٣ - وجود القيم التي تضمن بصفة مستمرة تفاعل الجهد البشري مع الموارد، ومن ثم دوام عملية الإشباع المتزايد للحاجات.

إذا وجدت تلك العناصر مجتمعة فإن المجتمع يعتبر مجتمعاً متقدماً، أو بالتعبير القرآني: مجتمعاً يحيا حياة طيبة تجمع بين رغد العيش واطمئنان النفس. يقول تعالى:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً } [النحل: ٩٧].

وتعد عمارة الأرض من أهم الأعمال الصالحة.

وإذا تخلف عنصر من العناصر السابقة فَقَدَ المجتمع طيب الحياة؛ فإذا خلا من الموارد الطبيعية المناسبة فعليه أن يبذل قصارى جهده في تعويضها وإلا كان فقيراً وليس متخلفاً ما دامت بقية العناصر قائمة.

وإذا فُقِدَ الجهد البشري في عمليات الإنتاج مع توفر الموارد فإنه في تلك الحالة يعتبر متخلفاً؛ إذ كان في إمكانه التقدم ولم يفعله، وإذا فقد مجموعة القيم الصالحة التي تضمن دوام التلاحم ونمو الإنتاج وعدالة توزيعه فإن ضخامة إنتاجه الاقتصادي لن تستمر طويلاً، وإذا كان متقدماً فهو تقدم وقتي سرعان ما يزول. يقول تعالى:{ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ } [النحل: ١١٢].

ومما سبق نخلص إلى أن الإسلام ربط المشكلة بالإنسان وبما هو

عليه من قيم، أي ربط المشكلة بجذورها الثقافية والاجتماعية العميقة مع عدم تجاهل عنصر المال ولا عنصر النشاط الاقتصادي للإنسان، أي العنصر المادي في التقدم.

- إذن فلابد من السعى - إخوة الإسلام - في طلب الرزق حتى نواكب جميع حضارات الدنيا بدلا من تضييع الوقت في مالا ينفع وطلب الحاجات من الناس حتى لايصيب أمة الإسلام الفقر والعوز أكثر من ذلك والله أعلى وأعلم

(انتهى)

* * *

من مفاتيح الرزق - البكور في طلبة -

(أحبتى في الله)

وهذا المفتاح ثابت في الشرع، متعارف عليه عند الخاصة والعامة، مجرَّب بالحس والمشاهدة فلعلَّ الله سبحانه وتعالى جعل في هذا الوقت من اليوم (الصباح) من البركة، والتيسير ما لم يجعل في باقي الأوقات فيما يتعلق بالسعي وطلب الأرزاق وقضاء الحاجات، لأنه وقت النشاط، والقوة.

وهنا تتجلى رحمة الله تبارك وتعالى في جعل مدة ما بين صلاتي الفجر وصلاة الظهر أطول مدة بين صلاتين من صلوات النهار وذلك حتى يتمكن الإنسان من السعي والذهاب لقضاء حاجاته والله أعلم.

(أحبتى في الله)

والاجتهاد بالطاعة أول النهار - كما بينا -؛ لأن الله يقسم الأرزاق أول النهار، ولأن أول النهار وقت مبارك، ويكون فيه الإنسان أقوى ما يكون وأنشط.

أخرج الترمذي وغيره بسنده من حديث صخر الغامدي قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**»، قال: وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم أول النهار، وكان صخر رجلا تاجرا، وكان إذا بعث

تجارة بعثهم أول النهار، فأثرى وكثر ماله [١]. قال أبو عيسى: حديث صخر الغامدي: حديث حسن [٢].

وأخرج الطبراني بسنده من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «من صلى الغداة كان في ذمة الله حتى يمسي».

دعاء النبي ﷺ مستجاب، وما دعا به النبي ﷺ دليل على فضله وأهميته، بل وكان يفعل البكور في الأمور المهمة، وخاصة بعث البعوث، فكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم أول النهار؛ لتحقيق البركة بالنصر والظفر والغنيمة ودحر الأعداء. وفهم ذلك الصحابة رضي الله عنهم فاقتدوا برسول الله ﷺ ، وخاصة صخر الغامدي، أثرى من بركة البكور. ثم إن صلاة الفجر مع الجماعة سبب لدخول المصلي في حفظ الله وتوفيقه حتى المساء، ومن يكون في ذمة الله ييسر الله له أموره، ومنها حصوله على الرزق والفضل من الله الرزاق العليم.

ومما يؤيد بركة الطلب والسعي في الصباح الباكر، هو أن الرسول ﷺ قال: " اللهم بارك لأمتي في بكورها "، قال: " وكان - يعني الرسول ﷺ - إذا بعث سرية أو جيشًا بعثهم أول النهار، وكان صخر - راوي الحديث - رجلاً تاجرًا، وكان إذا بعث تجارةً بعثهم أول النهار فأثرى وكثر ماله ". أخرجه أبو داود [٣]، والترمذي [٤]، وابن ماجه [٥]، وأحمد [٦]، والطبراني[٧]، وابن حبان [٨] وغيرهم من حديث صخر ابن وداعة،

(١) سنن الترمذي البيوع (١٢١٢)، سنن أبو داود الجهاد (٢٦٠٦)، سنن ابن ماجه التجارات (٢٢٣٦)، مسند أحمد بن حنبل (٤٣٢/٣)، سنن الدارمي السير (٢٤٣٥).
(٢) جامع الترمذي ٣ \ ١٢١٢، وأخرجه أبو داود برقم ٢٦٠٦، وأحمد ٣ \ ٤١٦، ٤١٧.
(٣) السنن، كتاب الجهاد، باب في الابتكار في السفر (٣٥/٣).
(٤) الجامع، كتاب البيوع، باب التبكير في التجارة (٤٠٢/٤).
(٥) السنن، كتاب التجارات، باب ما يرجى من البركة في البكور (٧٥٢/٢).
(٦) المسند (١٥٤/١، ١٥٥، ١٥٦)، (٤١٦/٣، ٤١٧، ٤٣٣)، (٣٨٤/٤، ٣٩٠، ٣٩١).
(٧) المعجم الأوسط، الأحاديث ذات الأرقام (١٠٠٠، ٢٩٩٩، ٣٣٣٦، ٤٠٨٢٦، ٥٧٤٧، ٦٨٧٩).
(٨) الصحيح، (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) (٦٢/١١ - ٦٣) حديثا (٤٧٥٤ - ٤٧٥٥).

وصحابة آخرين، هذا لفظ الترمذي، والباقون بمثله وبعضهم باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

وقال الترمذي عقبه: " حسن "، وصححه ابن حبان، كما صححه - أيضًا - الألباني [(١)]، وقال المنذري: قد رواه جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: **«باكروا طلب الرزق، فإن الغدو بركة ونجاح».**

(قلت):

وهذا الحديث عند كل من الطبراني [(٢)] والبزار [(٣)].

و هذا لفظ البزار، ومثله الطبراني إلا أنه زاد لفظ: " والحوائج " بعد لفظ " الرزق ".

وقال البزار عقبه: " هذا غريب لم نسمعه إلا من إبراهيم بن سعيد، وإسماعيل بن قيس صالح الحديث "

لكن قال الحافظ ابن حجر: " بل ضعفه جماعة " [(٤)]. وقال الهيثمي بعد أن عزاه للبزار والطبراني في (الأوسط): " فيه إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد ابن ثابت وهو ضعيف " [(٥)].

... وأيضا هناك أحاديث كثيرة بهذا المعنى، وفي النهي عن نوم الصبحة وأنه يمنع الرزق لكن كلها ضعيفة ومنكرة، وحديث عائشة المتقدم أمثلها، ويشهد له حديث صخر السابق، كما يشهد له ما ذكر بعده وبخاصة أنه في الفضائل وليس في الحلال والحرام، والله أعلم.

وقد بوَّب البخاري بالحديث المعلَّق كان النبي ﷺ: **«إذا لم يقاتل أول**

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٤٩٤/٢)، وصحيح سنن ابن ماجه (٢١/٢).
(٢) الطبراني في الأوسط حديث (٧٢٤٦).
(٣) مسند البزار (كشف الأستار) رقم (١٢٤٧).
(٤) مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد (٥٠٣/١).
(٥) مجمع الزوائد (٦١/٤).

النهار أخر القتال حتى تزول الشمس» [١]، وذكره البخاري أيضًا [٢] بأتم من هذا معلقًا من حديث النعمان بن مقرن قال: شهدت القتال مع رسول الله ﷺ : " كان إذا لم يقاتل في أول النهار، انتظر حتى تهب الأرواح، وتحضر الصلوات "، والحديث وصله كل من أبي داود [٣]، والترمذي [٤]، وأحمد [٥] وفيه عندهم لفظ: " حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر "، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقد ذكر العلماء من أسباب وجود البركة في البكور، فقال الحافظ ابن حجر: " خصَّ البكور بالبركة لكونه وقت النشاط " [٦]..

وقال العجلوني: " العقل بكرة النهار يكون أكمل منه وأحسن تصرفًا منه في آخره، ومن ثم ينبغي التبكير لطلب العلم ونحوه من المهمات " [٧]..

* * *

[من مفاتيح الرزق: القناعة والعفاف، والإجمال في الطلب]

(أحبتي في الله)

قد تقدم في مقدمة الكتاب الإشارة إلى أن الله تعالى بمنه وكرمه تكفل بأرزاق العباد بل وجميع الدواب، وأن الرزق مقسوم، وأنه يطلب صاحبه كما يطلبه أجله، وهنا سيُقتصر على بيان أن القناعة والتعفف، والإجمال في الطلب، وعدم إشراف النفس للمال، وسؤال الناس كل ذلك سبب في حصول البركة في المال، وقد امتدح الله - سبحانه وتعالى - المتعففين من المساكين إذ قال: { لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا

(١) الصحيح، كتاب الجهاد، باب كان النبي ▫ إذا لم يقاتل (١٢٠/٦).
(٢) الصحيح، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب (٢٥٨/٦).
(٣) السنن، كتاب الجهاد، باب في أي وقت يستحب اللقاء (٤٩/٣).
(٤) الجامع، كتاب السير، باب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال (٢٣٨/٥).
(٥) المسند (٤٤٥/٥).
(٦) فتح الباري (١١٤/٦).
(٧) كشف الخفاء ومزيل الإلباس (ص ١٨٧).

يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا} [البقرة: ٢٧٣].

أي متعففون في لباسهم، وفي حالهم، ومقالهم، بحيث يحسبهم من لا يعرفهم أغنياء، وبخاصة أنهم لا يسألون أحدًا ولا يلحون في المسألة لئلا يكلفوا الناس ما لا يحتاجون، ولذا فلا يفطن الناس إليهم لجهلهم بحال فقرهم.

والآية وإن كان فيها مدح لهؤلاء الفقراء، ففيها أيضًا من جانب آخر حض وتنبيه وتذكير بهؤلاء وأمثالهم حتى لا يغفل عنهم ويُظن أن المساكين فقط هم الذين يَسألون ويُعطون، والله أعلم [١].

* * *

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٣٤ - ٤٣٥)

فضل القناعة برزق الله تعالى

- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» مسلم.

قوله ﷺ : (قد أفلح) أي فاز وظفر بالمقصود (من أسلم) أي انقاد لربه (ورزق) أي من الحلال (كفافا) أي ما يكف من الحاجات ويدفع الضرورات (وقنعه الله) أي جعله قانعا بما آتاه. (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي).

* * *

فضل اللجوء إلي الله

- عَنْ عِمْرَانُ قَالَ قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ : «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ قَالُوا وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» مسلم.

قوله ﷺ : «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب» فيه: عظم ما أكرم الله سبحانه وتعالى به النبي ﷺ وأمته - زادها الله فضلا وشرفا -، وقد جاء في صحيح مسلم سبعون ألفا مع كل واحد منهم سبعون ألفا.

قوله ﷺ : «هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون» اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، والظاهر من معنى الحديث ما اختاره الخطابي ومن وافقه وحاصله، أن هؤلاء كمل تفويضهم إلى الله عز وجل فلم يتسببوا في دفع ما أوقعه بهم. ولا شك في فضيلة هذه الحالة ورجحان صاحبها. وأما تطبب النبي ﷺ ففعله ليبين لنا الجواز. والله أعلم. وقوله ﷺ : «وعلى ربهم يتوكلون» قال الإمام الأستاذ أبو القاسم القشيري - رحمه الله تعالى اعلم أن التوكل محله القلب، وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد أن الثقة من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر فبتيسيره. وقال سهل بن عبد الله التستري

رضي الله عنه: التوكل الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد، وقال أبو عثمان الجبري التوكل الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه. وقيل التوكل أن يستوي الإكثار والتقلل. شرح صحيح مسلم النووي.

* * *

فضل ترك سؤال الناس

- عَنْ ثَوْبَانُ قَال قَالَ رَسُولِ الله ﷺ: «مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ شَيْئًا وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ فَقَالَ ثَوْبَانُ أَنَا فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا» صححه الألباني.

قول الرسول ﷺ: (من تكفل) من استفهامية أي ضمن والتزم (لي) ويتقبل مني (أن لا يسأل الناس شيئا) أي من السؤال أو من الأشياء (فأتكفل) بالنصب والرفع أي أتضمن (له بالجنة) أي أولا من غير سابقة عقوبة، وفيه إشارة إلى بشارة حسن الخاتمة (فقال ثوبان أنا) أي تضمنت أو أتضمن (فكان) ثوبان بعد ذلك (لا يسأل أحدا شيئا) أي ولو كان به خصاصة.

* * *

[معنى الإجمال في الطلب]

(أحبتى في الله)

وقد حض رسول الله ﷺ أصحابه على الإجمال في الطلب، وعدم التشوف والحرص، فقال في الحديث الذي رواه ابن ماجه [١] من حديث جابر - رضي الله عنه -: **«يا أيها الناس! اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم»**، وصححه الألباني [٢]. وعند البزار [٣] من حديث حذيفة - رضي الله عنه - بنحوه. وقال البزار عقبه: لا نعلمه عن حذيفة إلا بهذا الإسناد.

---

(١) السنن، كتاب التجارات، باب الاقتصاد في طلب المعيشة (٧٢٤/٢).
(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٦/٢).
(٣) مسند البزار (كشف الأستار) (٨١/٢ - ٨٢).

قلت: وما قبله وما بعده يشهد له.

وقد روى الترمذي [١] حديث خولة بنت قيس قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن هذا المال خَضِرَة حلوة، من أصابه بحقه بورك له فيه، ورُبَّ متخوِّضٍ [٢] فيما شاءت به نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار»**. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وكذا صححه الألباني [٣].

وجاء عند البخاري [٤] من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن أناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نَفِدَ ما عنده فقال: **«ما يكون عندي من خير فلن أدَّخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبَّر يصبِّره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر»**.

وجاء أيضًا في حديث حكيم بن حزام - رضي الله عنه - أنه سأل النبي ﷺ ثلاث مرات وكل مرة يعطيه ثم قال: **«يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه كالذي يأكل ولا يشبع»**.

وجاء في هذا الحديث أيضًا أن حكيمًا قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ [٥] أحدًا بعدك شيئًا، حتى أفارق الدنيا.

فكان أبو بكر - رضي الله عنه - يدعو حكيماً إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه.

ثم إن عمر - رضي الله عنه - دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئًا.

فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم، إني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه.

---

(١) الجامع، كتاب الزهد، باب أخذ المال بحقه (٤٣/٧ - ٤٤).

(٢) أي: ربَّ متصرف في مال الله تعالى بما لا يرضاه الله، وقيل: هو التخليط في تحصيل المال من غير وجهه كيف أمكن. النهاية في غريب الحديث (٨٨/٢).

(٣) صحيح سنن الترمذي (٢٨٠/٢).

(٤) الصحيح، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (٣٣٥/٣).

(٥) لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا: أي لا آخذ من أحد بعدك شيئًا، فأنقص بهذا الأخذ ماله، كما في النهاية في غريب الحديث (٢١٨/٢) بتصرف.

فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي، أخرجه البخاري [(١)] ومسلم [(٢)] وآخرون. وزاد إسحاق بن راهويه في مسنده في آخر خبر حكيم المتقدم لفظ: " فمات حين مات وإنه لمن أكثر قريش مالاً " [(٣)].

ومما يؤخذ من الأحاديث السابقة:

١ - الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها والصبر حتى يأتي الرزق بغير مسألة.

٢ - قد يقع الزهد مع الأخذ فإن سخاوة النفس هو زهدها.

٣ - أن الأخذ مع سخاوة النفس يحصل أجر الزهد والبركة في الرزق.

٤ - أن الإجمال في الطلب مقرون بالبركة.

٥ - البركة تكون في الشيء الكثير وفي الشيء القليل أو اليسير وليست مقصورة فقط على ما هو كثير كما يفهمه بعض الناس وذلك لأنها خلق من خلق الله تعالى [(٤)].

* * *

من مفاتيح الرزق: الاقتصاد في المعيشة وعدم التبذير

(أحبتي في الله)

يقول الله عز وجل عن عباد الرحمن: { وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ

---

(١) الصحيح، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (٣/٣٣٥). وكتاب الجهاد، باب فضل النفقة في سبيل الله (٦/٤٨ - ٤٩). وكتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم (٦/٢٤٨). وكتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا (١١/٢٤٤). وباب قول النبي ﷺ هذا المال خضرة حُلوة (١١/٢٥٨).

(٢) الصحيح، كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا (٢/٧٢٧ - ٧٢٩)، وباب فضل التعفف والصبر (٢/٧٢٩).

(٣) فتح الباري (٣/٣٣٧)، ولم أقف على هذه الزيادة في (إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري، ولا في (المطالب العالية) لابن حجر. فالله أعلم.

(٤) انظر: فتح الباري (٣/٣٣٧) بتصرف.

يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾} [الفرقان: ٦٧].

الإسراف: هو تعدي الحدود في النفقة. لاسيما إذا كان ذلك في معصية الله عز وجل، والقوام: الإنفاق في طاعة الله عز وجل.

ولو أنفق الإنسان كل ماله فالإسراف أن ينفق ولو درهماً أو نصف درهم في معصية الله عز وجل، والقوام: أن ينفق ما ينفقه في طاعة الله سبحانه وتعالى.

إذاً عندنا نفقة في معصية الله عز وجل - سواءٌ أكانت قليلة أم كثيرة - فهي تدخل في باب الإسراف، وفاعلها من الذين لا يحبهم الله عز وجل، وعندنا أمر آخر وهو النفقة فيما يرضي الله سبحانه وتعالى، فهي طاعة لله عز وجل، ولا تدخل في باب الإسراف أبداً ولو أنفق الإنسان كل ماله، ولذلك جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه بماله كله ذات يوم إلى رسول الله ﷺ فوضعه في حجر رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : «**يا أبا بكر! ما تركت لأهلك؟**» قال: (تركت لهم الله ورسوله)، فدعا له الرسول ﷺ بخير، وكعب بن مالك رضي الله عنه حينما أنزل الله توبته في قوله سبحانه{وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ} [التوبة: ١١٨]، جاء فقال: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي شكراً لله، فقال له رسول الله ﷺ : «**أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك**»، يقول العلماء في هذين الخبرين الصحيحين: أما الأول فإن أبا بكر رضي الله عنه يعرف عنه رسول الله ﷺ الجلد والصبر، فهو يتحمل شظف العيش، ويستطيع أن يتحمل كل شيء في ذات الله عز وجل، فقبل منه الرسول ﷺ كل ماله، أما بالنسبة لـ كعب بن مالك فقد عرف منه الرسول ﷺ أنه لا يتحمل شظف العيش، فأمره أن يحتفظ بشيء من ماله، ويكفي أن يقدم جزءاً من ماله لله عز وجل شكراً لله سبحانه وتعالى.

فالمال - ولو كان - شيئا بسيطا - لايجوز أن تنفقه في معصية الله فإنه محرم، أما الإنفاق في المباحات فإذا وصل إلى درجة المبالغة فيدخل في قول الله تعالى: (يُسْرِفُوا)، أي أن الإسراف هو المبالغة ولو كان في بعض الأمور المباحة؛ لأن الله تعالى قد ذم قوماً فقال:{أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا} [الأحقاف: ٢٠]، فهذه صفة الكافرين يجب على

المسلم أن يبتعد عنها حتى لا تكون صفة من صفاته.

إذاً: القوام - وهو قوام الحياة - يكون وسطاً بين الإسراف وبين التقتير، فالإسراف هو المبالغة في البذل، والتقتير هو البخل في البذل، فكما حرم الله عز وجل وذم الإسراف والزيادة في البذل ولو كان ذلك في المباحات فقد ذم الله عز وجل التقتير، والتقتير يشمل أموراً، منها: منع ما أوجب الله عز وجل من النفقات والزكاة والصدقات الواجبة إلى غير ذلك، ومن التقتير: البخل على النفس وعلى الأهل، بحيث يصبح ذلك الإنسان لا يؤدي ما أوجب الله عز وجل عليه تجاه نفسه وتجاه أهله وذويه الذين أمرهم الله عز وجل بالإنفاق عليهم، قال عز وجل: {لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا} [الطلاق: ٧]، إذاً التقتير محرم وممنوع، كما أن الإسراف أيضاً محرم وممنوع، فلا يجوز للإنسان أن يبخل بما أوجب الله عليه، أما إذا وصل الأمر إلى البخل بالأمور الواجبة العظيمة كالبخل بالزكاة - نعوذ بالله - أو البخل في النفقات الواجبة؛ فإن هذا من أعظم المحرمات عند الله عز وجل، لاسيما إذا كان في الزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام، قال عز وجل: {وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ} [فصلت: ٦ - ٧]، وقاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه من منع الزكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ وقال: (والله! لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالاً - أو عناقاً - كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه).

إذاً معنى ذلك أن التقتير إذا وصل إلى البخل بما أوجب الله عز وجل فهنا يكون الوعيد الشديد، نسأل الله العافية والسلامة.

فالله تعالى قد توعد الذين يبخلون بالزكاة بأنه يُحمى على هذا المال في نار جهنم، ثم يكوى به الجنب والجبين والظهر، وكلما برد أعيد فأحمى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - وهو يوم القيامة - حتى يقضى بين العباد،

ثم يرى مصيره إما إلى الجنة وإما إلى النار، والله تعالى يقول: {وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ

وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾}
[التوبة: ٣٤ - ٣٥].

فعلى المسلم أن يحسب كل ماله على رأس كل سنة مالية بالنسبة له؛ ليدفع ربع عشر هذا المال بعد أن يحصيه إحصاءً كاملاً، وبعد أن يخصم منه ما عليه من ديون، ثم بعد ذلك عليه أن يؤدي ربع عشر هذا المال، وهذا الذي يقدمه هو الذي يقربه إلى الله عز وجل يوم القيامة، ولذلك الرسول ﷺ يقول: «**داووا مرضاكم بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة، وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع**».

(أحبتي في الله)

إن المال أمانة بيد الإنسان، يُسأل عنها يوم القيامة من أين أتى به؟ وفيم أنفقه؟

لذا وجب التصرف فيه بالعدل، فيحفظ حيث يجب الحفظ، ويبذل حيث يجب البذل، فالإمساك في محل البذل بخل، والبذل حيث يجب الإمساك تبذير، وسلوك الوسطية هو المحمود، مع مراعاة البذل والجود ما أمكن، والخير كل الخير، والبركة والنماء باتباع الشرع، ومن توجيهات القرآن الكريم والسنة المشرفة بهذا الخصوص:

أوّلاً: حسن التّدبير والاقتصاد في المعيشة:

قال الله تعالى: {وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ}
[الأعراف: ٣١].

وقال تعالى: {وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾}
[الإسراء: ٢٦ - ٢٧].

وقال: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾} [الإسراء: ٢٩].

وقال: {وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا}
[الفرقان: ٦٧].

ومما ينبغي ملاحظته من خلال النظر في هذه الآيات الكريمات ما

يلي:

١ - الأمر بالاقتصاد في العيش وهو التوسط، من غير بخل أو تقتير أو تقصير بالحقوق والواجبات، ومن غير سرف أو تبذير في الإنفاق، فيعطي فوق طاقته، أو يصرف فوق دخله.

٢ - أن الذي يسرف ويبذر في النفقة من مأكل ومشرب وملبس وغيرها يقع في الحسرة والندامة والحرج الشديد لذهاب البركة من رزقه ونفاد ما بيده.

٣ - النهي عن بسط اليد وكثرة الإعطاء فوق الطاقة إنما يكون ذلك في حق من لا يستطيع الصبر على الكفاف، فيقع بهذا البذل في الحسرة على ما خرج من يده مع حاجته إليه، وأما من وثق بموعود الله عز وجل وجزيل ثوابه فيما أنفقه مع صبره واحتماله فغير مراد بالآية [(١)].

٤ - أفاد بعض العلماء أن التبذير الذي جاء في الآية هو الإنفاق في غير حق. قاله ابن مسعود، وابن عباس [(٢)] - رضي الله عنهما - وقد روى ابن أبي حاتم بإسناده إلى مجاهد قال: وأنفقت مثل أبي قبيس ذهبا في طاعة الله لم يكن إسرافًا، ولو أنفقت صاعًا في معصية الله كان إسرافًا [(٣)].

وقد علق البخاري بصيغة الجزم واللفظ له [(٤)] قوله ﷺ: «**كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة**» [(٥)]. وصله كل من الترمذي [(٦)]، والنسائي [(١)]، وابن ماجه [(٢)]، والطيالسي [(٣)]، وابن أبي

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٥٥) بتصرف.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٥٣).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٥/١٤٦٥).
(٤) الصحيح، كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده (١٠/٢٥٢).
(٥) المخيلة: بوزن عظيمة، وهي بمعنى الخيلاء وهو التكبر، وقيل: بوزن مفعلة من اختال إذا تكبر، والخيلاء، التكبر ينشأ عن فضيلة يتراءاها الإنسان من نفسه أي يتصورها ويتوهمها. انظر: فتح الباري (١٠/٢٥٣) بشئ من التصرف.
(٦) الجامع، كتاب الأدب، باب ما جاء إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٨/١٠٦).

الدنيا [٤]، والحاكم [٥]، كلهم وصلوه من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا، وزاد بعضهم لفظ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»، واقتصر بعضهم على هذا اللفظ الأخير فحسب. والحديث صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، كما حسنه الترمذي. كما علق البخاري بصيغة الجزم أثر ابن عباس رضي الله عنهما قال: " كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة " [٦]، وصله كل من عبدالرزاق[٧]، وابن أبي شيبة [٨]، والدينوري [٩]، والطبري [١٠]، وابن أبي حاتم [١١] من طريق معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس وهو عند عبدالرزاق والطبري وابن أبي حاتم بلفظ: " أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة "، وهذا الأثر صحيح [١٢].

قال الموفق عبد اللطيف البغدادي: " هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة، فإن السرف في كل شيء يضر بالجسد، ويضر بالمعيشة فيؤدي إلى الإتلاف، ويضر بالنفس إذ كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال " [١٣].

ومما يؤيد أن حسن التدبير والاقتصاد في المعيشة - يمنع بإذن الله - الفقر ويجلب الرزق وتحصل معه البركة، هو ما جاء في حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عال من اقتصد» عند كل من ابن أبي

(١) السنن، كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة (٧٩/٥).
(٢) السنن، كتاب اللباس، باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة (١١٩٢/٢).
(٣) المسند، حديث (٢٣٧٥).
(٤) الشكر، حديث (٥١)، وفي التواضع والخمول، حديث (١٥٧).
(٥) المستدرك (١٣٥/٤).
(٦) الصحيح، كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: قل من حرم زينة الله (٢٥٢/١٠).
(٧) المصنف (٢٧٠/١١).
(٨) المصنف (٤٠٥/٨) و(٩٥/٩ - ٩٦) بنفس اللفظ.
(٩) عزاه له الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٥٣/١٠) ولم أقف عليه في المجالسة له.
(١٠) جامع البيان (٣٩٤/١٢).
(١١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٤٦٥/٥).
(١٢) انظر: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير (٤٢٠/١).
(١٣) فتح الباري (٢٥٣/١٠).

شيبة [١]، وأحمد [٢]، والطبراني في الكبير [٣]، والأوسط [٤]، والشاشي [٥]، قال الهيثمي في أسانيدهم إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف [٦].

قلت: هو ليِّن يكتب حديثه للاعتبار، وقد حسن الحديث السيوطي[٧]، لكن تعقبه الألباني فضعفه [٨]. قلت: لكن الحديث يشهد له ما قبله كما أن له شواهد منها حديث - ابن عباس رضي الله عنهما - مرفوعا: " ما عال مقتصد قطُّ " عند الطبراني في الكبير [٩]، والأوسط [١٠]. قال الطبراني عقبه في (الأوسط): " لم يرو هذا الحديث عن أبي روق إلا خالد بن يزيد تفرد به هشام بن خالد "، وقال الهيثمي بعد أن عزاه للطبراني في الكتابين: " ورجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف " [١١]، لكن أشار محقق (المعجم الكبير) أن الحديث منقطع.

قال المناوي [١٢] : " أي ما افتقر من أنفق قصدًا، ولم يتجاوز إلى الإسراف، والمعنى إذا لم يبذر بالصرف في معصية الله ولم يقتر فيضيق على عياله ويمنع حقا وجب عليه شحا وقنوطا من خلف الله الذي كفاه المؤمن ".

(أحبتى في الله)

فالذين يسرفون هم المفرطون الذين يبالغون في إنفاق المال فيضعونه في غير محله الشرعي وكأنه ملك لهم يتصرفون فيه حيث شاءوا وكيف

(١) المصنف (٩/٩٦).
(٢) المسند (١/٤٤٧).
(٣) المعجم الكبير (١٠/١٣٣).
(٤) المعجم الأوسط (٦/٤٤).
(٥) المسند (٢/١٦٢).
(٦) مجمع الزوائد (١٠/٢٥٢).
(٧) الجامع الصغير (٢/١٤٦).
(٨) ضعيف الجامع (ص ٧٣٦).
(٩) ١٢/١٢٣).
(١٠) ٩/١١٤ - ١١٥).
(١١) مجمع الزوائد (١٠/٢٥٢).
(١٢) فيض القدير (٥/٤٥٤).

شاءوا، والواقع أنه أمانة عندهم من الله سبحانه وتعالى استخلفهم فيها لينظر كيف يعملون.

ولهذا أدب الله رسوله ﷺ على هذا المنهج القويم، فقال:{ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ } [الإسراء: ٢٩]، فلابد أن يكون الإنسان متوسطاً في الصرف، وألا يكون مسرفاً وألا يكون مقصراً، فالحد الوسط هو المنهج الصحيح وهو الاعتدال في هذا الباب، الذين يفرطون في جانب الإنفاق يسرفون فيبالغون في الإنفاق، سواء كان ذلك في أمور الدنيا أو في أمور الآخرة، فيتجاوزون الحد المرضي شرعاً، ففي أمور الآخرة ينفقون أكثر مما حدده الشارع ويريدون بذلك المبالغة فيرجعون إلى الحد الذي ذكرناه في الإفراط في العبادة.

ولذلك فإن رسول الله ﷺ لما سمع أن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه أنفق جذاذ نخله جميعاً في يوم واحد، غضب عليه غضباً شديداً، وعندما سمع أن رجلاً من الأنصار - وكان عليه دين - قد دبر ستة أعبُد، فعندما توفي جمعهم رسول الله ﷺ ورد هذا التصرف وأقرع بينهم، فأعتق اثنين وأرق أربعة، وجعل له الثلث فقط.

وقد كان كثيراً ما يرد التصرفات في هذا الجانب إذا كان فيها غلو ومبالغة، فقد قال لـ كعب بن مالك عندما بشره بأن الله قد تاب عليه: (يا كعب بن مالك! أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، فقلت: يا رسول الله! أمن عند الله أم من عندك؟ فقال: بل من عند الله، فقلت: يا رسول الله! إن من تمام توبتي أن أخرج من مالي كله في سبيل الله، فقال: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك).

وكذلك عندما جاء يعود سعد بن أبي وقاص في حجة الوداع وهو مريض قال: (قلت له: يا رسول الله! إني ذو مال ولا يرثني إلا بنية لي، أفأتصدق بمالي كله في سبيل الله؟ قال: لا، قلت: أفأتصدق بثلثيه؟ قال: لا، قلت: أفأتصدق بثلثه؟ قال: فالثلث والثلث كثير - وفي رواية: كبير - إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، فقلت: يا رسول الله! أأخلف بعد أصحابي؟ قال: إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليه حتى ما تجعل في فيِّ امرأتك، وعسى الله أن ينفع بك

أقواماً ويضر بك آخرين)، فكان سعد آخر العشرة موتاً، وورثه اثنا عشر ولداً من أولاده لصلبه.

فرسول الله ﷺ لم يقبل من أولئك المبالغة في الإنفاق، وفي المقابل قد يقبل من بعض الناس ذلك؛ لعلمه بقوة إيمانه واستقامته على المنهج كـ أبي بكر، فقد خرج من ماله كله في سبيل الله وقبل ذلك منه رسول الله ﷺ ؛ لما جعل الله في قلبه من الإيمان والقناعة؛ ولأنه مكتسب عارف بأمور التجارات أيضاً؛ ولأنه - قطعاً - سيؤدي حقوق عياله ولا يمكن أن يظلمهم حقاً لهم، فلذلك قبل منه رسول الله ﷺ ذلك، أما من سواه فكان رسول الله ﷺ يرد عليهم ولا يقبل منهم هذا النوع من المبالغات.

وكذلك فإن الذي يبالغ في السرف فيما يتعلق بأمور الدنيا لابد أن يكون من المبذرين وهم إخوان الشياطين، وهذا النسب من شر الأنساب، نسأل الله السلامة والعافية.

* * *

[من أضرار التبذير]

وقد بين الله سبحانه وتعالى ضرر التبذير وأثره العظيم، وبين أنه سبحانه وتعالى لا يحب المسرفين، فالسرف في أمور الدنيا يقتضي من الإنسان أن تكون الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه وأن يحبها حباً شديداً فهو يتتبع موضاتها ويشتغل بها غاية الاشتغال، فكلما ازداد حطبها ازداد لهبها، ويزداد الإنسان ولوعاً بها ويتعلق قلبه بها حتى يؤثرها على الآخرة نسأل الله السلامة والعافية، وقد قال الله تعالى: { مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾} [الشورى: ٢٠]، وقال تعالى: {فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ } [البقرة: ٢٠٠].

وقال تعالى: {مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾} [الإسراء: ١٨ - ١٩].

كذلك في المقابل التقصير في مجال الإنفاق مقتضٍ للبخل، وأن لا

يؤدي الإنسان الحقوق التي عليه، فالذي يمنع رفده ويأكل وحده ويضرب عبده شر الناس، كما قال رسول الله ﷺ: «**شر الناس من منع رفده وأكل وحده وضرب عبده**».

قوله: (من منع رفده) معناه: منع الماعون ولم يعط خيره للآخرين، فلم ينفعهم مما آتاه الله، فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن ننفق مما آتانا فقال:

{ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} [الحديد: ٧].

وهذا يشمل الإنفاق على النفس، والأهل، والجيران، والإنفاق في أمور الدنيا، والإنفاق في أمور الدين، وتركه من التقصير والتقتير وهما مذمومان شرعاً.

فالمقترون مقصرون عن أداء الحقوق وهم متصفون بصفة البخل التي هي شر الصفات، والذي يتصف بها ويصاب بالشح لابد أن يبتلى بنقص الإيمان وتراجعه دائماً، ولذلك قال الله تعالى: {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ} [التغابن: ١٦]، فالشحيح لا يفلح أبداً، فلذلك لابد من التوسط في هذا المنهج بين المبالغة بالإنفاق وبين التقتير والتقصير.

* * *

[أمور تساعد على الاقتصاد في المعيشة]

ومما يساعد على الاقتصاد في المعيشة وحصول البركة في المال كيل الطعام، فقد ثبت عن الرسول ﷺ فيما أخرجه البخاري [(١)]، وابن ماجه [(٢)]، وأحمد [(٣)]، والطبراني [(٤)] أنه قال: «**كيلوا طعامكم يُبَارَكْ لكم فيه**». هذا لفظهم، وليس فيه عند البخاري لفظ " فيه "، وقال البوصيري [(١)]: إسناد ابن ماجه صحيح.

(١) الصحيح، كتاب البيوع، باب ما يستحب من الكيل (٤/٣٤٥).
(٢) السنن، كتاب التجارات، باب ما يرجى في كيل الطعام من البركة (٢/٧٥٠).
(٣) المسند (٤/١٣١)، (٥/٤١٤).
(٤) المعجم الكبير (٤/١٢١)، (٢٠/٢٧٣).
(١) مصباح الزجاجة (٢/١٨٥).

وقد بين العلماء معنى هذا الحديث وكيف يكون الكيل فيه بركة بما يلي:

١ - قال ابن بطال: الكيل مندوب إليه فيما ينفقه المرء على عياله، والمعنى أخرجوا بكيل معلوم يبلغكم إلى المدة التي قدَّرتم.

٢ - قال ابن الجوزي: يشبه أن تكون هذه البركة للتسمية عليه عند الكيل.

٣ - إن الكيل - غالبًا - يرافقه طلب البركة والدعاء بذلك.

٤ - الكيل محمول على الطعام الذي يشترى فالبركة تحصل فيه بالكيل لامتثال أمر الشارع، وإذا لم يمتثل الأمر فيه نزعت البركة منه لشؤم العصيان، وبناءً على هذا فالكيل بمجرده، لا تحصل به البركة ما لم ينضم إليه أمر آخر وهو امتثال الأمر فيما يشرع فيه الكيل، كما لا تنزع البركة من المكيل بمجرد الكيل ما لم ينضم إليه أمر آخر كالمعارضة أو المخالفة، ونحوهما.

٥ - ويحتمل أن المراد بالكيل هنا هو عند الادخار طالبين من الله البركة، واثقين بالإجابة، أما من يكيل بعد ذلك ليتعرف مقداره فيكون ذلك شكًا في الإجابة فيعاقب بسرعة نفاده.

٦ - البركة التي تحصل بالكيل بسبب السلامة من سوء الظن بالخادم لأنه إذا أخرج بغير حساب قد يفرغ ما يخرجه وهو لا يشعر فيتهم من يتولى أمره بالأخذ منه، وقد يكون بريئا، وإذا كاله أمن من ذلك.

- أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الذين مدحهم الله في كتابه.
- وهو التوسط في الإنفاق وأن يجنبنا الإسراف والتبذير (آمين).

* * *

[من مفاتيح الرزق: الدعـاء] والتذلل لله وحده

(أحبتي في الله)

إن من أفضل مفاتيح الرزق الدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى

فبالدعاء تنكشف الكربات وتكثر الخيرات والبركات.

* * *

من أقوال السلف في الدعاء

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: إني لا أحمل همّ الإجابة ولكن همّ الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه - ذكره في اقتضاء الصراط المستقيم (٧٠٦/٢).

وعنه - رضي الله عنه - قال: بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح - جامع العلوم والحكم (٢٧٦/١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: إن الله لا يقبل إلا الناخلة من الدعاء، إن الله - تعالى - لا يقبل من مسمِّع، ولا مراء، ولا لاعب، ولا لاه، إلا من دعا ثبتَ القلب - شعب الإيمان (٥٠/٢ - ٥١).

وعن أبي الدرداء قال: ادع الله في يوم سرائك، لعله يستجيب لك في يوم ضرائك - أخرجه أحمد في الزهد (ص١٣٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢٢٥/١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٢/٢).

وعن الحسن أن أبا الدرداء كان يقول: جِدوا بالدعاء، فإنه من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له - أخرجه ابن أبي شيبة (٢٤/٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٢/٢).

وعن حذيفة قال: ليأتينَّ على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغرِيق - أخرجه ابن أبي شيبة (٢٤/٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠/٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: دعوة المسلم مستجابة ما لم يدع بظلم أو قطيعة رحم أو يقول: قد دعوت فلم أجب - أخرجه ابن أبي شيبة (١٣٣/٧).

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: يكفي من الدعاء مع البر، كما يكفي الطعام من الملح - أخرجه ابن أبي شيبة (٤٠/٧).

وعن محمد بن واسع قال: يكفي من الدعاء مع الورع اليسير، كما

يكفي القدر من الملح - شعب الإيمان (٢/٥٣ - ٥٤).

وعن طاووس قال: يكفي الصدق من الدعاء، كما يكفي الطعام من الملح - شعب الإيمان (٢/٥٤).

وعن عبد الله بن أبي صالح قال: دخل علي طاووس يعودني فقلت له: ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن، فقال: ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه - صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٢٨٩).

وعن أبي بكر الشبلي في قوله - تعالى -:{ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ} [غافر: ٦٠]، قال: ادعوني بلا غفلة، أستجب لكم بلا مهلة - شعب الإيمان (٢/٥٤).

وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول: إلهي أسألك تذللا، فأعطني تفضلا.

ويقول: كيف أمتنع بالذنب من الدعاء، ولا أراك تمتنع بالذنب من العطاء.

ويقول: لا تستبطئن الإجابة إذا دعوت، وقد سددت طرقها بالذنوب - شعب الإيمان (٢/٥٤).

وعن غالب القطان، أن بكر بن عبد الله المزني عاد مريضا، فقال المريض لبكر: ادع الله - عز وجل - لي، فقال: ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه - أخرجه الطبراني في الدعاء (١١٣٧).

عن الحسن في قوله - عز وجل -:{ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ} [غافر: ٦٠]، قال: اعملوا وأبشروا، فإنه حق على الله - عز وجل - أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله - أخرجه الطبري في تفسيره (٢/٩٤)، والطبراني في الدعاء (٩).

وعنه قال: كانوا يجتهدون في الدعاء ولا تسمع إلا همسا - أخرجه ابن أبي شيبة (٧/١٠٩).

وعن حبيب أبي محمد قال: الترياق المجرب الدعاء - مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا (ص١٢١).

وعن داود بن شابور قال: قال رجل لطاووس: ادع لنا، فقال: ما أجد لقلبي خشية فأدعو لك - أخرجه ابن أبي شيبة (١٤٢/٧).

وعن سعيد بن المسيب قال: إن الرجل لَيُرفع بدعاء ولده من بعده - أخرجه ابن أبي شيبة (١١٩/٧).

وعن إبراهيم التيمي قال: كان يقال: إذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء فقد وجب، وإذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على رجاء - أخرجه ابن أبي شيبة (٢٤/٧).

وعن النخعي قال: كان يقال: إذا دعوت فابدأ بنفسك، فإنك لا تدري في أي دعاء يستجاب لك - أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣/٧).

وعن وهب بن منبه قال: مثل الذي يدعو بغير عمل، مثل الذي يرمي بغير وتر - أخرجه ابن أبي شيبة (٣٩/٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣/٢).

وعنه قال: من سره أن يستجيب الله دعوته فليطب طعمته - جامع العلوم والحكم (٢٧٥/١).

وعن محمد بن حامد قال: قلت لأبي بكر الوراق: علمني شيئا يقربني إلى الله - تعالى - ويقربني من الناس، فقال: أما الذي يقربك إلى الله فمسألته، وأما الذي يقربك من الناس فترك مسألتهم - طبقات الصوفية للسلمي

(ص٢٢٤)، شعب الإيمان (٣٥/٢).

وعن الأوزاعي قال: أفضل الدعاء الإلحاح على الله - عز وجل - والتضرع إليه - شعب الإيمان (٣٨/٢).

وعن مُورِّقٍ العجلي قال: ما وجدت للمؤمن مثلا إلا كمثل رجل في البحر على خشبة، فهو يدعو: يا رب، يا رب، لعل الله - عز وجل - أن ينجيه - الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦١/٧)، شعب الإيمان (٣٩/٢).

وعن هلال بن يساف قال: بلغني أن العبد المسلم إذا دعا ربه فلم يستجب له كتبت له حسنة - شعب الإيمان (٤٩/٢).

وعن السري السقطي قال: كن مثل الصبي، إذا اشتهى على أبويه شهوة فلم يمكناه، فقعد يبكي عليها، فكن أنت مثله، فإذا سألت ربك فلم يعطكه، فاقعد فابك عليه - شعب الإيمان (٥٣/٢).

وعن ابن عيينة قال: لا تتركوا الدعاء، ولا يمنعكم منه ما تعلمون من أنفسكم، فقد استجاب الله لإبليس وهو شر الخلق، قال: { قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ } [الأعراف: ١٤ - ١٥]، - شعب الإيمان (٥٣/٢).

وقال بعض العباد: إنه لتكون لي حاجة إلى الله، فأسأله إياها، فيفتح علي من مناجاته ومعرفته والتذلل له والتملق بين يديه، ما أحب معه أن يؤخر عني قضاءها، وتدوم لي تلك الحال - مدارج السالكين (٢٢٩/٢).

وقال بعض العارفين: ادع بلسان الذلة والافتقار، لا بلسان الفصاحة والانطلاق - الإحياء (٥٥٤/١).

* * *

أهمية الدعاء وإجابة الله للداعي

قال الله تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ } [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } [البقرة: ١٨٦]، والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.

وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعداً أو قائماً.

وإجابة الله لدعاء العبد، مسلماً كان أو كافراً، وإعطاؤه سؤاله من جنس رزقه لهم، ونصره لهم، وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقاً، ثم قد يكون ذلك فتنة في حقه ومضرة عليه، إذ كان كفره وفسوقه يقتضي ذلك.

وفي سنن ابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**».

وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال: الله يغضب إن تركت سؤاله

وبُنيّ آدم حين يُسأل يغضبُ

قال ابن عقيل: قد ندب الله تعال إلى الدعاء، وفي ذلك معان: أحدها: الوجود، فإن من ليس بموجود لا يدعى.

الثاني: الغنى، فإن الفقير لا يدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى.

فذكر أن الله تعالى يجيب من دعاه، ويعطي من سأله، وأنه سبحانه يفرح بدعاء الداعين، وأنه يستجيب دعوتهم.

الله يغضب إن تركت سؤاله

وتقدم الحديث الذي يقول فيه النبي ﷺ: (من لم يسأل الله يغضب عليه)، ونحن نحب رضاه، ورضاه يتوقف على أن نسأله ونستعينه عند العجز، ونستنصر به عند الخوف، نطلب منه أن يؤمننا وأن يغنينا، وأن يعزنا، وأن يغفر لنا، ونطلب منه كل حاجاتنا، ونرغب عمن سواه من ذكر وأنثى، من صغير وكبير، ونجعل رغبتنا إليه سبحانه.

وتقدم ذلك البيت الذي نظم به ذلك الحديث، وقبله يقول الشاعر: لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب الرب يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب يقول بعضهم: لو أنك مشيت مع إنسان، وأخذت كل ساعة تقول له: أعطني حفنة تراب أعطني حفنة تراب، أليس يضجر منك ويمل ويقول: أتعبتني؟! لا شك أنه يكلفه، مع أن التراب موجود، ولكن قد يتكلف أن ينحني ويأخذ التراب، ثم يناولك وأنت - مثلاً - راكب أو نحو ذلك، لو سئلوا تراباً لملوا، فكيف إذا سئلوا شيئاً يملكونه، أو لهم فيه سبب من الأسباب، ولأجل ذلك على الإنسان أن يعلق

رجاءه بربه، ويطلب منه حاجاته كلها، ولا يسأل غيره، يقول بعضهم: لا تجلسن بباب من يأبى عليك دخول داره وتقول حاجاتي إليه يعوقها إن لم أداره واتركه واقصد ربها تقضى ورب الدار كاره فإذا قصدت الرب سبحانه وتعالى، وأنت صادق مخلص، قضى حاجتك، سواء كانت متعلقة بإنسان، أو متعلقة فيما بينك وبين الرب.

ذكروا أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله اشتكى إليه بعض أصحابه جوعاً نزل به؛ لأنهم لا يكتسبون، عند ذلك نظم أبياتاً يقول في أولها: أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا حاسر أنا عاري هي ستة وأنا الضمين بنصفها فكن الضمين بنصفها يا باري لم يتعلق إلا بربه، فكتب هذه الأبيات، ولما اطلع عليها بعض الذين من الله عليهم، أعطاهم ما يسد حاجتهم، فالرب هو الذي يسر لهم هذا الرزق بواسطة هذا الإنسان، ولم يسألوا أي إنسان، وإنما علقوا قلوبهم بربهم.

إذاً فنقول: على الإنسان أن يجتهد في دعائه لله سبحانه وتعالى، وأن يسأل ربه كل حاجاته، خاصة أن يوسع الله عليك في رزقك وأن تسأل الله في كل شيء ولا تترك حاجة تظن أنك ستحتاج إليها في يوم من الأيام إلا وتسأل ربك أن يقضيها لك سبحانه.

يقول بعض العلماء: سل الله كل شيء حتى ملح طعامك.

وذلك لأنك بحاجة إلى أن يمدك ربك بكل شيء، فأنت مأمور أن تفعل السبب، ومع ذلك تعرف أن الله تعالى هو الذي ييسر لك هذه الأشياء ويجعلها مفيدة ومؤثرة.

* * *

[أهمية الدعاء في طلب الرزق]

- أحبتي في الله -

إن أهمية الدعاء كثيرة، منها قول الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠].

ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: (الدعاء هو العبادة)، وقرأ هذه الآية، فجعل الدعاء عبادة، ومثل ذلك أيضاً قول الله تعالى: {ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾} [الأعراف: ٥٥ - ٥٦].

* * *

من شروط وآداب الدعاء وأسباب الإجابة

- الإخلاص لله تعالى.
- أن يبدأ لحمد الله والثناء عليه، ثم بالصلاة على النبي ﷺ ويختم بذلك.
- الجزم في الدعاء واليقين بالإجابة.
- الإلحاح في الدعاء وعدم الاستعجال.
- حضور القلب في الدعاء.
- الدعاء في الرخاء والشدة.
- لا يسأل إلا الله وحده.
- عدم الدعاء على الأهل، والمال، والولد، والنفس.
- خفض الصوت بالدعاء بين المخافتة والجهر.
- الاعتراف بالذنب، والاستغفار منه، والاعتراف بالنعمة، وشكر الله عليها.
- تحري أوقات الإجابة والمبادرة لاغتنام الأحوال والأوضاع والأماكن التي هي من مظان إجابة الدعاء.
- عدم تكلف السجع في الدعاء.
- التضرع والخشوع والرغبة والرهبة.
- كثرة الأعمال الصالحة، فإنها سبب عظيم في إجابة الدعاء.
- رد المظالم مع التوبة.

- الدعاء ثلاثاً.
- استقبال القبلة.
- رفع الأيدي في الدعاء.
- الوضوء قبل الدعاء إذا تيسر.
- أن لا يعتدي في الدعاء.
- أن يبدأ الداعي بنفسه إذا دعا لغيره.
- أن يتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلي، أو بعمل صالح قام به الداعي نفسه، أو بدعاء رجل صالح له.
- التقرب إلى الله بكثرة النوافل بعد الفرائض، وهذا من أعظم أسباب إجابة الدعاء.
- أن يكون المطعم والمشرب والملبس من حلال.
- لا يدعو بإثم أو قطيعة رحم.
- أن يدعو لإخوانه المؤمنين، ويحسن به أن يخص الوالدان والعلماء والصالحون والعباد بالدعاء، وأن يخص بالدعاء من في صلاحهم صلاح للمسلمين كأولياء الأمور وغيرهم، ويدعو للمستضعفين والمظلومين من المسلمين.
- أن يسأل الله كل صغيرة وكبيرة.
- أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.
- الابتعاد عن جميع المعاصي.

* * *

أوقات وأحوال وأماكن وأوضاع يستحب فيها الدعاء

- ليلة القدر.
- جوف الليل الآخر ووقت السحر.
- دبر الصلوات المكتوبات (الفرائض الخمس).
- بين الأذان والإقامة.

- ساعة من كل ليلة.
- عند النداء للصلوات المكتوبات.
- عند نزول الغيث.
- عند زحف الصفوف في سبيل الله.
- ساعة من يوم الجمعة، وهي على الأرجح آخر ساعة من ساعات العصر قبل الغروب.
- عند شرب ماء زمزم مع النية الصادقة.
- في السجود في الصلاة.
- عند قراءة الفاتحة واستحضار ما يقال فيها.
- عند رفع الرأس من الركوع وقول: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.
- عند التأمين في الصلاة.
- عند صياح الديكة.
- الدعاء بعد زوال الشمس قبل الظهر.
- دعاء الغازي في سبيل الله.
- دعاء الحاج.
- دعاء المعتمر.
- الدعاء عند المريض.
- عند الاستيقاظ من النوم ليلاً والدعاء المأثور في ذلك وهو قوله " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شئ قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي - أو دعا - استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته "
- إذا نام على طهارة ثم استيقظ من الليل ودعا.
- عند الدعاء بـ " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ".
- دعاء الناس عقب وفاة الميت.

- الدعاء بعد الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير.
- عند دعاء الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.
- دعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب.
- دعاء يوم عرفة في عرفة.
- الدعاء في شهر رمضان.
- عند اجتماع المسلمين في مجالس الذكر.
- عند الدعاء في المصيبة بـ: " إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها ".
- الدعاء حالة إقبال القلب على الله واشتداد الإخلاص.
- دعاء المظلوم على من ظلمه.
- دعاء الوالد لولده.
- دعاء الوالد على ولده.
- دعاء المسافر.
- دعاء الصائم عند فطره.
- دعاء المضطر.
- دعاء الإمام العادل.
- دعاء الولد البار بوالديه.
- الدعاء عقب الوضوء إذا دعا بالمأثور في ذلك. وهو " أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله " فمن قال ذلك فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء.
- الدعاء بعد رمي الجمرة الصغرى.
- الدعاء بعد رمي الجمرة الوسطى.
- الدعاء داخل الكعبة، ومن صلى داخل الحجر فهو من البيت.

- الدعاء في الطواف.
- الدعاء على الصفا.
- الدعاء على المروة.
- الدعاء بين الصفا والمروة.
- الدعاء في الوتر من ليالي العشر الأواخر من رمضان.
- الدعاء في العشر الأول من ذي الحجة.
- الدعاء عند المشعر الحرام.
- والمؤمن يدعو ربه أينما كان وفي أي ساعة، ولكن هذه الأوقات والأحوال والأماكن تخص بمزيد عناية، فإنها مواطن يستجاب فيها الدعاء بإذن الله تعالى.

* * *

أخطاء تقع في الدعاء

- أن يشتمل الدعاء على شئ من التوسلات الشركية أو البدعية.
- تمني الموت وسؤال الله ذلك.
- الدعاء بتعجل العقوبة.
- الدعاء بما هو مستحيل أو بما هو ممتنع عقلاً أو عادة أو شرعاً.
- الدعاء بأمر قد تم وحصل بالفعل وفُرغ منه.
- أن يدعوا بشيء دلّ الشرع على عدم وقوعه.
- الدعاء على الأهل والأموال والنفس.
- الدعاء بالإثم كأن يدعو على شخص أن يبتلى بشيء من المعاصي.
- الدعاء بقطيعة رحم.
- الدعاء بانتشار المعاصي.
- تحجير الرحمة، كأن يقول: اللهم اشفني وحدي فقط وارزقني وحدي فقط.
- أن يخص الإمام نفسه بالدعاء دون المأمومين إذا كانوا يؤمنون وراءه.
- ترك الأدب في الدعاء كأن يقول: يا رب الكلاب ويا رب القردة والخنازير.
- الدعاء على وجه التجربة والاختبار لله عز وجل، كأن يقول: سأجرب وأدعو لأرى أيستجاب لي أم لا، وقول بعضهم: سأدعو الله فإن نفع وإلا لم يضر.
- أن يكون غرض الدعاء فاسداً.
- أن يعتمد العبد على غيره في الدعاء دائماً، ولا يحرص على الدعاء بنفسه.
- كثرة اللحن أثناء الدعاء، وخاصة إذا كان اللحن يحيل المعنى، أما

الجاهل بالمعنى وليس له معرفة باللغة فهو معذور.

- عدم الاهتمام باختيار أسماء الله أو صفات الله المناسبة للدعاء.
- اليأس وقلة اليقين من إجابة الدعاء.
- التفضيل في الدعاء تفضيلاً لا لزوم له، كأن يقول: " اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا وأجدادنا وجداتنا وخالاتنا... " وهكذا ويستمر في ذكر تفصيل الأقارب والجيران وغيرهم. أما إذا كان التفصيل معقولاً ومحدوداً فلا بأس بذلك.
- دعاء الله بأسماء لم ترد في الكتاب والسنة.
- المبالغة في رفع الصوت.
- قول بعضهم عند الدعاء: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه.
- تعليق الدعاء على المشيئة كأن يقول: اللهم اغفر لي إن شئت والواجب الجزم في الدعاء.
- تصنع البكاء ورفع الصوت بذلك.
- ترك الإمام رفع يديه إذا استسقى في خطبة الجمعة.
- الإطالة بالدعاء حال القنوت، والدعاء بما لا يناسب المقصود فيه.

* * *

أقسام الدعاء

والدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، وكل منهما ملازم للآخر، فالمصلي في صلاته يدعو ربه في كثير من أركان الصلاة وهيئاتها، ففي الفاتحة يقول: { ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ } [الفاتحة: ٦]، وهذا دعاء، وفي الركوع والسجود يقول: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي، وهذا دعاء، وبين السجدتين يقول: رب اغفر لي، ويكرر ذلك، وهذا دعاء.

وكذلك في السجود مأمور بأن يكثر من الدعاء، وكذلك في آخر التشهد مأمور بأن يدعو، فالصلاة فيها دعاء، وكذلك الحج فيه الدعاء في

الطواف، وفي السعي، وفي الوقوف بعد الرمي، وما أشبه ذلك، وهذا دليل على أن الله يحب من عباده أن يكثروا من دعائه، وأن لا يملوا من هذا الدعاء، وأنه سبحانه لا بد وأن يجيبهم إذا تمت الشروط.

وتقدم كلام ابن عقيل على هذه الأدلة التي فيها الأمر بالدعاء، فإنه استدل بها على أن الله تعالى موجود، فإن المعدوم لا يدعى، وأنه سبحانه قادر، فإن العاجز لا يمكن أن يطلب منه شيء، وأنه غني، ولو كان فقيراً لم يطلب منه شيء، فكيف يطلب من الفقير شيء وهو لا يجد! واستدل به على أنه كريم؛ وذلك لأن الكريم هو الذي يجود، وهو الذي يهب مما عنده، فالله تعالى هو الكريم، بل هو الذي لا ينقص ما عنده كما يقول النبي ﷺ: «**يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه**»، ويقول في الحديث القدسي: «**يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**»، والآيات والأحاديث والأدلة على هذا كثيرة.

* * *

الواقع يشهد بفائدة الدعاء

والواقع يشهد بفائدة الدعاء، فالنبي ﷺ لما سئل مرة وهو على المنبر أن يدعو الله تعالى بالغيث، رفع يديه وقال: «**اللهم أغثنا**» مرتين أو ثلاثاً فاستجاب الله دعاءه فنزل المطر في ذلك اليوم، واستمر نزوله أسبوعاً، وفي الجمعة الثانية دعا بقوله: «**اللهم حوالينا ولا علينا**»، فانفرجت السماء وصارت كالإكليل استجابة لدعوته، فدل على أنه يؤثر بالدعاء، سيما إذا كان مستجاب الدعوة وهو الذي تتم فيه الصفات التي يكون بها أهلاً لأن تجاب دعوته، فيأتي بشروط إجابة الدعوة، فإن للدعاء شروطاً مذكورة في الكتب المطولة، وقد جمع العلماء ما وصلهم أو ما صح عندهم من الأدعية، ففي صحيح البخاري كتاب اسمه: كتاب الدعوات أورد فيه كثيراً من الأدعية المرفوعة، سواءً كانت تتعلق بأمور الدنيا أو بأمور الآخرة،

مثل: سؤال الجنة والنجاة من النار، وسؤال الخير ومحو الشر وأشباه ذلك، والتحفظ مثل: الاستعاذة من الشرور ونحوها.

كذلك في صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء جمع فيه أدعية كثيرة، وأفردت الأدعية أيضاً بكتب من أوسعها كتاب الدعاء للبيهقي مطبوع في ثلاثة مجلدات، وإن كانت فيه مقدمة طويلة وفهارس، لكن فيه أدعية كثيرة، واهتم بذلك العلماء متقدمهم ومتأخرهم، وكل أفرد ما يسر الله أن يطلع عليه وما عَنّ له من الأدعية، ولا شك أن ذلك دليل على إجابة الدعاء.

* * *

بعض الأدعية المختارة

من دعاء النبي ﷺ:

١ - قال رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعلْ في قلبي نُوراً، وفي لساني نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل لي في نفسي نوراً، وأعظمْ لي نوراً**» صحيح بخاري ومسلم والنسائي وأحمد عن ابن عباس.

٢ - قال رسول الله ﷺ: «**اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تُشمِتْ بي عدواً ولا حاسداً، اللهمَّ إني أسألُكَ من كلِّ خير خزائِنهُ بيدك، وأعوذُ بك من كلِّ شرٍّ خزائنه بيدكَ**» حسن الحاكم.

٣ - قال رسول الله ﷺ: «**اللهمَّ أحييني مِسكيناً وأمتني مِسكيناً واحشرني في زمرةِ المساكين**» صحيح ابن ماجه وعبد بن حميد.

... ومعنى مسكيناً: أي خاشعاً متواضعاً.

٤ - قال رسول الله ﷺ: «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمةُ أمري، وأصلحْ لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلحْ لي آخِرتي التي فيها معادي، واجعلِ الحياة زيادةً لي في كلِّ خيرٍ، واجعل الموت راحةً لي منْ كلِّ شر**» صحيح مسلم

عن أبي هريرة.

٥ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلمُ به مني، اللهم اغفر لي خطئي وعمْدي وهزلي وجدِّي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت المقدمُ وأنت المؤخِّرُ، وأنت على كلِّ شيءٍ قديرٌ» صحيح بخاري ومسلم.

٦ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفرْ لي ذنبي، ووسعْ لي في داري، وبارك لي في رزقي» حسن ترمذي وأحمد طبراني.

٧ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها، اللهم أنعِشني واجبُرني، واهدني لصالح الأعمال، والأخلاقِ فإنهُ لا يهدي لصالحها ولا يصرفُ سيئها إلا أنت» حسن طبراني والحاكم.

٨ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ أمتعني بسمْعي وبصري حتى تجعلهُما الوارث مني، وعافني في ديني وفي جسدي، وانصرني ممَّن ظلمني حتى تُريني فيهِ ثأري» صحيح الحاكم والطبراني.

٩ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم اقسم لنا منْ خشيتكَ ما يحولُ بيننا وبين معاصيكَ، ومن طاعتك وما تُبلغُنا به جنتكَ، ومن اليقينِ ما يهون علينا مصيباتِ الدُنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجْعل ثأرنا على من ظلمنا وانصُرنا على منْ عادانا، ولا تجعلْ مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا ولا مبلغ عِلمِنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا» حسن ترمذي والحاكم عن ابن عمر.

١٠ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أسالكَ الهُدى والتُّقى، والعفافَ والغنى» صحيح مسلم وترمذي وابن ماجه.

١١ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجِلهِ ما علمتُ منهُ وما لمْ أعلمْ اللهم إنِي أسألكَ من خير ما سألك به عبدُكَ ونبيكَ، وأعوذُ بك منْ شر ما عاذ به عبدُكَ ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذُ بك من النارِ وما قربَ إليها من قولٍ أو عملٍ وأسألك أن تجعل كل قضاءٍ قضيتهُ لي خيراً» صحيح ابن ماجه وأحمد والحاكم.

١٢ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ برضاكَ من سخطك،

وبمعافاتِك من عقوبتك، وأعوذُ بك منكَ لا أحصي ثناءً عليكَ أنت كما أثنيت على نفسك» صحيح مسلم والنسائي وأبو داود والترمذي.

١٣ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذُ بكَ من العجزِ والكسلِ، والجُبنِ والبُخلِ والهرمِ، والقسوةِ، والغفلةِ والعيلةِ والذِّلةِ، والمسكنةِ وأعوذُ بك من الفقرِ والكفرِ والفسوقِ والشقاقِ والنفاقِ والسُّمعة والرياء، وأعوذُ بك من الصممِ والبكمِ، والجُنونِ والجزامِ، والبرصِ وسيئِ الأسقام» صحيح الحاكم والبيهقي.

١٤ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذُ بك من العجزِ والكسلِ، والجُبنِ والبُخل والهرم، وعذابِ القبر، وفتنة الدجالِ اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكها أنت خيرُ من زكاها، أنتَ وليُّها ومولاها، اللهم إني أعوذُ بك من علم لا ينفعُ، ومن قلبٍ لا يخشعُ، ومنْ نفسٍ لا تشبعُ، ومنْ دعوةٍ لا يستجابُ لهَا» صحيح مسلم والنسائي وأحمد، واللفظ لأحمد.

١٥ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بك من الفقر والقلةِ والذِّلةِ، وأعوذُ بكَ منْ أن أظلمَ أو أُظلمَ» صحيح النسائي وأبو داود، وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة.

١٦ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذُ بكَ من الهمِّ والحزنِ والعجزِ والكسلِ، والبخلِ والجبنِ وضلعِ الدَّين، وغلبةِ الرجالِ» صحيح بخاري ومسلم والنسائي، وأبو داود والترمذي وأحمد.

١٧ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ منْ زوالِ نِعمتكَ، وتحولِ عافيتكَ وفُجأةِ نقمتكَ، وجميعِ سخطك» صحيح ومسلم وأبو داود والترمذي عن ابن عمر.

١٨ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من شرِّ سمعي، ومن شرِّ بصري، ومن شرِّ لساني، ومنْ شرِّ قلبي، ومن شرِّ منيتي» صحيح أبو داود والحاكم عن شكل.

١٩ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ منْ شرِّ ما عملتُ، ومنْ شرِّ ما لم أعملْ» صحيح مسلم والنسائي وأبو داود عن عائشة.

٢٠ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من عذابِ القبر، وأعوذُ

بكَ منْ عذابِ النارِ، وأعوذُ بكَ من فتنةِ المحيا والمماتِ، وأعوذُ بكَ منْ فتنةِ المسيح الدجالِ» صحيح بخاري والنسائي عن أبي هريرة.

٢١ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذُ بكَ من علم لا ينفعُ، وعملٍ لا يُرفعُ، ودعاءٍ لا يُسمعُ» صحيح أحمد وابن حبان والحاكم عن أنس.

٢٢ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ منْ قلبٍ لا يخشعُ، ومن دعاءٍ لا يُسمعُ، ومنْ نفسٍ لا تشبعُ، ومنْ علمٍ لا ينفعُ. أعوذُ بكَ منْ هؤلاءِ الأربع» صحيح النسائيِ والترمذي عن ابنِ عمرو، ورواه أيضاً أبو داود وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة.

٢٣ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ منْ مُنكراتِ الأخلاقِ والأعمالِ والأهواءِ والأدواءِ» صحيح ترمذي والحاكم والطبراني عن عم زياد ابن علاقة.

٢٤ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني إعوذُ بك من يوم السوءِ، ومنْ ليلةِ السوءِ، ومنْ ساعة السوءِ، ومنْ صاحبِ السوءِ، ومنْ جارِ السوءِ في دارِ المُقامة» حسن طبراني عن عقبة بن عامر.

٢٥ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ باركْ لأمتي في بُكورها» صحيح النسائي وأبو داود والترمذي وأبو داود وأحمد.

٢٦ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ بعلمكَ الغيب، وقدرتكَ على الخلقِ أحييني ما علمتَ الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي. اللهم وأسالكَ خشيتك في الغيبِ والشهادةِ، وأسألكَ كلمةَ الإخلاصِ في الرضا والغضبِ، وأسألكَ القصدَ في الفقر والغني، وأسألكَ نعيماً لا ينْفدُ وأسألكَ قرة عينٍ لا تنقطعُ، وأسألكَ الرضا بالقضاءِ، وأسألك برد العيشِ بعد الموتِ، وأسألكَ لذةَ النظرِ إلى وجهكَ، والشوقَ إلى لقائكَ، في غير ضراءَ مضرةٍ، ولا فتنةٍ مضلةٍ. اللهمَّ زيّنا بزينةِ الإيمان، واجعلنا هُداةً مُهتدينَ» صحيح النسائي والحاكم عن عمار بن ياسر.

٢٧ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ كما حسنت خلقي فحسّن خُلقي» صحيح أحمد.

٢٨ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذُ بكَ منَ التردِّي والهرمِ، والغرقِ

والحرقِ، وأعوذُ بكَ أنْ يتخبطني الشيطانُ عند الموتِ» صحيح النسائي والحاكم عن أبي اليسر. وهذا جزء من حديث.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دُعاء النبي ﷺ: «**اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرةِ حسنةً وقنا عذاب النار**» صحيح البخاري.

ومعنى الحسنة في الدنيا: - تشمل كل مطلوب دنيوي من عافيه وزوجة حسنة وولد صالح ورزق واسع وعلم نافع، وعمل صالح ومركب هنئ ودار واسعة.

... الحسنة في الآخرة: أعلاها دخول الجنة، والأمن من الفزع الأكبر، وتيسير الحساب ودخول الجنة (آمين).

* * *

[باب الدعاء عند الكرب]
في الأدب المفرد للإمام البخاري

- حدثنا مسلم قال حدثنا هشام قال حدثنا قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم**».

قال الشيخ الألباني: صحيح

- حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا عبد الملك بن عمرو قال حدثنا عبد الجليل عن جعفر بن ميمون قال حدثني عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال لأبيه: يا أبت إني أسمعك تدعو كل غداة اللهم عافني في بدني اللهم عافني في سمعي اللهم عافني في بصري لا إله إلا أنت تعيدها ثلاثا حين تمسي وحين تصبح ثلاثا وتقول اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت تعيدها ثلاثا حين تمسي وحين تصبح ثلاثا فقال: نعم يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول بهن وأنا أحب أن أستن بسنته قال: وقال رسول الله ﷺ: «**دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت**» قال الشيخ الألباني: حسن.

- حدثنا محمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عبد الملك بن الخطاب بن عبيد الله بن أبي بكرة قال حدثني راشد أبو محمد عن عبد الله بن الحارث قال سمعت ابن عباس يقول: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم اللهم اصرف شره**» قال الشيخ الألباني: صحيح.

(أحبتي في الله) وإتماما للفائدة أذكر لكم بعض موانع الدعاء حتى نتجنبها وأسأل الله أن يستجيب دعاءنا إنه أرحم الراحمين.

* * *

موانع إجابة الدعاء

- أحبتي في الله -

إذا أتى الداعي بآداب الدعاء، وتحرّى مواطن الإجابة حالاً وزماناً ومكاناً، فعليه التخلّص والابتعاد عما يمنع إجابة الدعاء.

وأما موانع الدعاء فـ:

أولاً: أكلُ الحرام - أجارك الله -

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً، وَإِنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾} [المؤمنون: ٥١]، وقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ} [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبّ يَا رَبّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِك؟**» مسلم - كتاب الزكاة (٧٠٣/٢).

فكم جمع هذا المثال من آداب وأحوال يُستجاب معها الدعاء؟

فهو يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ.

يمدّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ.

يَا رَبّ يَا رَبّ [تكرار الدعاء]

ومع ذلك بعيدٌ كل البعد أن يستجاب له، أو يُسمع دعاؤه.

والسبب: الحرام فـ:

١ - مَطْعَمُهُ حَرَامٌ.

٢ - وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ.

٣ - وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ.

٤ - وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ.

فكيف يُستجاب لمن جمع تلك البليّات؟!

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستعيذ بالله من دعوةٍ لا يُستجابُ لها.

- رواه مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، (٤/٢٠٨٨).

ثانياً: استعجال الإجابة وترك الدعاء

أخبر الله - عز وجل - عن طبيعة الإنسان فقال: {خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ} [الأنبياء: ٣٧].

وقال - جل جلاله -: {وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾} [الإسراء: ١١].

والدّاعي قد تغلبه هذه الطبيعة البشرية فيترك الدعاء.

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ الله مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدّعَاءَ» رواه مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٤/٢٠٩٦).

وقد جمع هذا الحديث بين مانعين من موانع الدعاء:

الأول: الدعاء بالإثم.

والثاني: الاستعجال.

وأخرج البخاري ومسلم عن أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قال: قال

رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي

- رواه البخاري. كتاب الدعوات. باب يستجاب للعبد ما لم يعجل (١٥٣/٧) ومسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٩٥/٤).

وفي خبر موسى ﷺ أنه دعا ربَّه فقال:{رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ} [يونس: ٨٨].

فكان الجواب من ربّ الأرباب:{قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [يونس: ٨٩].

روي عن أبي جعفر محمد بن علي وعن الضحاك أنهما قالا - في قوله تعالى:{قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا} [يونس: ٨٩] -: كان بينهما أربعون سنة. وقال ابن جريج: يُقال إن فرعون ملك بعد هذه الآية أربعين سنة. قال مرزوق العجلي: دعوت ربي في حاجة عشرين سنة فلم يقضها لي، ولم أيأس منها).

- التمهيد لابن عبد البر (٣٠١/١٠).

وانظر - تفسير الجلالين (ص ٢٨٠).

أي أن دعاء موسى ﷺ لم يُستجب إلا بعد أربعين سنة.

ولا بد أن يُعلم أن من وُفّق للدعاء فقد وُفّق لخير كثير، وليست الإجابة الفورية من شرط الدعاء، لأن من دعا فهو أمام أحدِ ثلاثةِ أمور:

١ - إما أن تُجاب دعوته مباشرة.

٢ - وإما أن يُصرف عنه من البلاء مثلما سأل.

٣ - وإما أن تُدّخر له في الآخرة أحوج ما يكون إلى الحسنات.

لحديث أبي سعيدٍ الخدري أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**». قالوا: إذاً نكثر؟ قال:«**الله أكثر**».

- حديث صحيح: رواه الإمام أحمد (١٨/٣) والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٦٤ صحيح الأدب) وعبد بن حميد (٢٩٢) وابن أبي شيبة (٢٢/٦) والحاكم (٦٧٠/١) وصححه، ووافقه الذهبي. ورواه أبو نعيم في الحلية (٣١١/٦).

وكان عمرُ - رضي الله عنه - يقول: إنّي لا أحمل همَّ الإجابة ولكن همَّ الدعاء، فإذا أُلهمتُ الدعاء فإن الإجابة معه.

قال ابن الجوزي - رحمه الله -:

إذا وقعتَ في محنة يصعب الخلاص منها، فليس لك إلا الدعاء واللجأ إلى الله بعد أن تُقدّم التوبة من الذنوب، فإن الزلل يُوجب العقوبة، فإذا زال الزلل بالتوبة من الذنوب ارتفع السبب، فإذا تُبتَ ودعوتَ، ولم ترَ للإجابة أثراً فتفقّد أمرك، فربما كانت التوبة ما صحّت فصححها، ثم ادعُ، ولا تملَّ من الدعاء، فربما كانت المصلحة في تأخير الإجابة، وربما لم تكن المصلحة في الإجابة، فأنت تُثاب وتُجاب إلى منافعك، ومن منافعك أن لا تُعطى ما طلبت بل تُعوّض غيره، فإذا جاء إبليس فقال: كم تدعوه ولا ترى إجابة، فقل: أنا أتعبّد بالدعاء، وأنا موقن أن الجواب حاصل، غير أنه ربما كان تأخيره لبعض المصالح فهو يجيء في وقت مناسب، ولو لم يحصل حصل التعبد والتذلل.

- انظر - صيد الخاطر (ص ٣٠٥).

وقال - رحمه الله -: من العَجَب إلحاحك في طلب أغراضك، وكلما زاد تعويقها زاد إلحاحك، وتنسى أنها قد تُمنع لأحد أمرين:

إما لمصلحتك، فربما مُعجَّلٌ أذى.

وإما لذنوبك، فإن صاحب الذّنوب بعيد من الإجابة.

فَنَظِّف طُرق الإجابة من أوساخ المعاصي، وانظر فيما تطلبه هل هو لإصلاح دينك، أو لمجرّد هواك؟ فإن كان للهوى المجرّد، فاعلم أن من اللطف بك، والرحمة لك تعويقه، وأنت في إلحاحك بمثابة الطفل يطلب ما يؤذيه فيُمنع رفقاً به، وإن كان لصلاح دينك فربما كانت المصلحة تأخيره، أو كان صلاح الدين بِعَدَمِه. وفي الجملة فتدبير الحق - عز وجل

- لك خيرٌ من تدبيرك، وقد يمنعك ما تهوى ابتلاء ليبلوا صبرك، فَأَرِهِ الصبر الجميل ترى عن قربٍ ما يَسُرّ.

وقال ابن رجب: فإن المؤمن إذا استبطأ الفَرَج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم يظهر عليه أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنما أتيت من قبلك، ولو كان فيك خير لأُجِبتِ، وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس أهلا لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء، وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله. قال وهب: تعبد رجل زمانا ثم بَدَتْ له إلى الله حاجة، فقام سبعين سبتا يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرة، ثم سأل الله حاجته فلم يُعطها، فرجع إلى نفسه، فقال: منك أتيت، لو كان فيك خيراً أُعطيت حاجتك، فنزل إليه عند ذلك ملك، فقال له: يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت، وقد قضى الله حاجتك. خرجه ابن أبي الدنيا، جامع العلوم والحكم (١/٤٨٠).

ثالثاً: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر صمام أمان للفرد والجماعة، ومِن ذلك أن تركه سبب لعدم إجابة الدعاء.

فعن حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمانِ - رضي الله عنهما - عن النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنّ بالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أو لَيُوشِكَنّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ ثُمّ تَدْعُونَهُ فَلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ».

- حديث حسن: رواه أحمد (٥/٣٨٨) والترمذي (٤/٤٦٨) وقال: حديث حسن، وابن أبي شيبة (٧/٤٦٠).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يُستجاب لكم».

- حديث حسن: رواه أحمد (٦/١٥٩)

وابن ماجه (٤/٣٥٩) وابن حبان (١/٥٢٦).

. وينبغي أن يُعلم إلى أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يُسوّغ ترك الدعاء.

كما أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا بترك الإنكار بمراتبه الثلاث؛ الإنكار باليد واللسان والقلب.

ومَن أنكر بالقلب فإنه لم يترك الإنكار.

ومَن ترك الدعاء بترك الإنكار فقد جمع إلى الخطأ خطأ آخر، وإلى الذنب ذنباً آخر.

رابعاً: ارتكاب الذنوب والمعاصي

الذّنوب تسدّ طُرق الإجابة، وتُبعد عن علاّم الغيوب.

قال سبحانه موبِّخاً الكفار: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾} [غافر: ٤٩ - ٥٠].

إن المعاصي والذنوب مما يُقسّي القلوب، وإن أبعدَ شيءٍ من الله القلب القاسي.

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي.

- حديث حسن: رواه الترمذي (٤/٦٠٧)

والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٢٤٥)

ولذلك بوّب البخاري - رحمه الله - في أوائل كتاب الدعوات من الصحيح باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، باب التوبة...

قال الحافظ ابن حجر: أشار المصنف بإيراد هذين البابين - وهما الاستغفار ثم التوبة - في أوائل كتاب الدعاء إلى أن الإجابة تُسرع إلى من لم يكن متلبساً بالمعصية، فإذا قدّم التوبة والاستغفار قَبْلَ الدعاء كان أمكن لإجابته - فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/١٠٤ - ١٠٦).

قال يحيى بن معاذ الرازي: لا تستبطئن الإجابة إذا دعوت، وقد سَدَدْتَ طرقها بالذنوب.

رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٤/٢).

قال ابن القيم: يا مُستَفْتِحاً باب المعاش بغير إقليد التقوى، كيف توسع طريقَ الخطايا وتشكو ضيقَ الرزق، ولو وَقَفْتَ عند مرادِ التقوى لم يَفُتْكَ مُراد.

- الفوائد (ص ٧٧). ومعنى (إقليد) أي مفتاح.

خامساً: الاعتداء في الدعاء

وقد تقدّم معنا أن الاعتداء في الدعاء نوع عبثٍ لا يليق بالقُربات، وقد ينصرف القلب عن الدعاء واستحضار المطلوب إلى تلك الاعتداءات التي تضر ولا تنفع.

فمن أراد إجابة دعائه فليجتنب الاعتداء في الدعاء.

سادساً: غفلةُ القلب.

سبق إيراد قوله ﷺ: **«إن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ»**.

قال ابن القيم - بعد كلام عن الرُّقية ونفعها -: وكذلك الدعاء، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيّتِه عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرَّخْوِ جداً، فإن السهم يخرج منه خروجا ضعيفا، وإما لحصول المانع من الإجابة؛ من أكل الحرام، والظلم، ورَيْنِ الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغَلَبَتِها عليها.

- الجواب الكافي (الداء والدواء) ص (٩).

سابعاً: ثلاثة أصناف لا يُستجاب لهم

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«ثلاثة يَدْعُون الله فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأةٌ سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يُشهد عليه،**

ورجل آتى سفيها ماله، وقد قال الله – عز وجل –: {وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ} [النساء: ٥] »، رواه الحاكم (٣٣١/٢).

وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

وأورده الألباني في السلسة الصحيحة برقم (١٨٠٥).

وعدم استجابة دعاء هؤلاء إنما هو في خصومهم المذكورين في الحديث.

قال المُناوي: رجل كانت تحته امرأةٌ سيئة الخلق فلم يطلقها، فإذا دعا عليها لا يستجيب له؛ لأنه المعذب نفسه بمعاشرتها، وهو في سعة من فراقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه فأنكره، فإذا دعا لا يُستجاب له؛ لأنه المفرط المقصّر بعدم امتثال قوله تعالى: { وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ } [البقرة: ٢٨٢].

ورجل آتى سفيهاً - أي محجوراً عليه بِسَفَهٍ - ماله، أي شيئا من ماله، مع علمه بالحجر عليه، فإذا دعا عليه لا يستجاب له؛ لأنه المضيع لِمالِه فلا عُذر له.

- فيض القدير (٣٣٦/٣)

- أسأل الله أن يستجيب دعاءنا وأن يوسع أرزاقنا وأن يبارك لنا فية إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

* * *

[من مفاتيح الرزق] اتباع السُّنة

- أحبتي في الله -

إن الأخذ أو العمل بكل سبب من الأسباب الجالبة للرزق والبركة السابقة الذكر فيه اتباع للسنة بلا شك، والمراد ذكره هنا هو: أن اتباع السنة في كل الأمور الواجبة منها والمستحبة اقتداء بالرسول ﷺ محبةً له واتباعًا لكل ما جاء عنه، وذلك طلبًا لحصول بركة هذا الاتباع في الدنيا والآخرة فإن هذا بحد ذاته يعد سببًا من أسباب استجلاب الخير والبركة في الدنيا والآخرة ويمكن إلحاقه

بالأسباب الجالبة للبركة استقلالاً.

على أنه ﷺ قد أرشد وألفت الأنظار إلى بعض الأعمال والممارسات التي تكون مظنة البركة في المال لا على سبيل الإلزام ولكن على سبيل الاستحباب والندب.

ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: «البركة في نواصي الخيل».

وفي حديث آخر: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»، كلاهما عند البخاري [(١)] ومسلم [(٢)]. وقال أيضًا: «جعل رزقي تحت ظل رمحي» عند كل من البخاري [(٣)]، وأحمد [(٤)] وآخرين. وقال العراقي: " إسناد أحمد صحيح " [(٥)].

ومن هذا يظهر أن اقتناء الخيل، وارتباطها وتعلم ركوبها، وكذا تعلم الرماية وأدوات الحرب وإتقانها بنية الإعداد، والتهيؤ للجهاد في سبيل الله يكون فيه مغنم وبركة وخير في الدنيا والآخرة، وأن المال الحاصل بسبب الجهاد والإعداد له هو أفضل الرزق وأبركه [(٦)].

وقد قال رسول الله ﷺ لأم هانئ: «اتخذي غنمًا فإن فيها بركة»، كما جاء عند ابن ماجه [(٧)]. قال البوصيري: " إسناده صحيح ورجاله ثقات " [(٨)].

كما روى ابن ماجه [(٩)] حديث عروة البارقي مرفوعًا وفيه لفظ: «الإبل عز لأهلها والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة».

(١) الصحيح، كتاب الجهاد، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (٥٤/٦).
(٢) الصحيح، كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (١٤٩٢/٣ - ١٤٩٤).
(٣) الصحيح، كتاب الجهاد، باب ما قيل في الرماح (٩٨/٦).
(٤) المسند (٥٠/٢، ٩٢).
(٥) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (١٥٩٣).
(٦) فتح الباري (٩٨/٦ - ٩٩) بتصرف.
(٧) السنن، كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية (٧٧٣/٢).
(٨) مصباح الزجاج (٢٠٦/٢).
(٩) السنن، كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية (٧٧٣/٢).

وقال البوصيري: " إسناده صحيح على شرط الشيخين وبعضه في الصحيحين، وإنما انفرد ابن ماجه بذكر الإبل والغنم " [١].

كما جاء عند البخاري [٢]، أن رسول الله ﷺ قال: «**يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**».

كما أرشد ﷺ الآكل إلى لعق أصابعه والصحفة قائلاً: " إنكم لا تدرون في أيه البركة " [٣]. كما أرشد إلى الأكل من أسفل أو حوالي الصحفة لا من أعلاها أو ذروتها فقال: «**إن البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه**» عند أبي داود [٤]، والترمذي [٥]، وعند أبي داود لفظ: «**كلوا من حواليها ودعوا ذروتها يُبَارِكْ فيها**». وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قلت: والمراد هنا البدء بالجوانب أولاً قبل الذروة لا النهي عن الأكل من الذروة أو الوسط مطلقا، وقد ورد لعق الأصابع والصحفة آنفا.

كما جاء عنه ﷺ قوله: «**تسحَّروا فإن في السحور بركة**» عند البخاري [٦]. قال ابن حجر: " إن البركة في السحور تحصل بجهات متعددة وهي اتباع السنة، ومخالفة أهل الكتاب.. " [٧] وذكر أن ابن دقيق العيد أشار إلى أن البركة تعود إلى أمور دينية، وأمور دنيوية.

ومما يؤيد أيضا أن اتباع الشرع فيما جاء عنه ﷺ يحصل به البركة أن الحافظ ابن حجر قال عند الكلام على حديث كيل الطعام المتقدم في السبب التاسع قال: " فالبركة تحصل فيه بالكيل لامتثال أمر الشارع، وإذا لم يمتثل الأمر فيه بالاكتيال نزعت منه لشؤم العصيان " [١].

---

(١) مصباح الزجاجة (٢/٢٠٦).
(٢) الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم (٦/٣٥٠).
(٣) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع (٣/١٦٠٦).
(٤) السنن، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل من أعلى الصحفة (٣/٣٤٨ - ٣٤٩).
(٥) الجامع، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطعام (٥/٥٢٤).
(٦) الصحيح، كتاب الصوم، باب بركة السحور (٤/١٣٩).
(٧) فتح الباري (٤/١٤٠).
(١) فتح الباري (٤/٣٦٤).

وفي حديث حكيم بن حزام - رضي الله عنه - عندما أخذ بنصيحة النبي ﷺ ، وأنه لم يسأل أحدًا بعده ولم يقبل العطاء ولا نصيبه من أبي بكر ولا من عمر بعده - رضي الله عنهما - بارك الله لحكيم بهذه النية في اتباع السنة النبوية، وعوضه خيرًا فمات وإنه لمن أكثر قريش مالاً، والله أعلم.

تنبيه:

لئن اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون الكلام في أكثره منصبا على الأسباب الجالبة للبركة في الرزق في حياة الإنسان المعيشية الدنيوية، فليس معناه أن هذه البركة لا تنسحب بتلك الأسباب على البركة في حياته الأخروية فتحصل له البركة في الأعمال الصالحة ومضاعفة الأجر فيها بل إن الأجر والثواب الأخروي حاصل بتلك الأسباب أو أكثرها من باب أولى، إذ لا يمكن تصور حصول البركة في الرزق وازدياد المال بتلك الأسباب الجالبة لذلك من غير حصول البركة في ثواب تلك الأعمال.

ومن خلال استقراء ما جاء في البحث من نصوص حول البركة في الرزق وأسبابها، يلحظ أن البركة في الأجر ومضاعفة الحسنات داخل في ذلك دخولاً أوليًا، وكثيرًا ما نبه العلماء على هذه البركة. وزيادة على ما مر في هذا الكتاب من ذكر للأجر الأخروي ومضاعفته فهناك نصوص كثيرة ناطقة بذلك صراحة منها قوله تعالى: {مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾} [البقرة: ٢٦١].

وقد جاء عند كل من البخاري (١)، ومسلم (٢)، والترمذي (٣)، والدارمي (١) وغيرهم، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - واللفظ للبخاري والباقون بنحوه أنه ﷺ قال: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب

(١) الصحيح، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب (٢٧٨/٣). وكتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (تعرج الملائكة والروح إليه) (٤١٥/١٣).
(٢) الصحيح، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيته (٧٠٣/٢).
(٣) الجامع، كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة (٣٢٧/٣).
(١) السنن (٣٣٣/١).

- ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربِّيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوَّه [1]، حتى تكون مثل الجبل». وقد جاء عند مسلم [2]، والنسائي [3] من حديث أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ :«لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة» هذا لفظ مسلم، والنسائي بنحوه.

وقال ﷺ :«سبق درهمٌ مائةَ ألف درهم»، قالوا: وكيف؟. قال:«كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما وانطلق رجل إلى عُرْض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها». كما جاء عند النسائي [4] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وقد حسنه الألباني [5]....

(أحبتي في الله)

وردت أحاديث كثيرة تدل على وجوب اتباع السنة ومصدريتها، كقوله ﷺ :«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي»، وقوله ﷺ :«ألا إني أوتيت الكتاب ومثله»، وقوله ﷺ :«عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعَضوا عليها بالنواجذ».

والأمر الرابع: الإجماع، فقد أجمعت الأمة على وجوب العمل بالسنة، ولهذا فقد قبل المسلمون السنة كما قبلوا القرآن الكريم، وعدوها المصدر الثاني للتشريع؛ استجابة لله عز وجل وتأسيًا برسوله ﷺ.

المنكرون زنادقة مرتدون:

وإذا وقفنا على حكم من أنكر وجوب العمل بالسنة، نجد إجماع العلماء بأنه كافر مرتد، لإنكاره معلوماً من الدين بالضرورة.

يقول الإمام السيوطي في كتابه مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: " فاعلموا - رحمكم الله - أن من أنكر كونَ حديث النبي ﷺ قولاً كان أو

(١) الفلو: المهر الصغير، وقيل: هو الفطيم من أولاد ذوات الحوافر. النهاية (٣/٤٧٤).
(٢) الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها (٣/١٥٠٥).
(٣) السنن، كتاب الجهاد، باب فضل الصدقة في سبيل الله عز وجل (٦/٤٩).
(٤) السنن، كتاب الزكاة، باب جهد المقل (٥/٥٩).
(٥) صحيح سنن النسائي (٢/٥٣٢)، التعليق على ابن خزيمة حديث رقم (٢٤٤٣).

فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجةً، كفر وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء من فرق الكفرة " (انتهى).

- وإتماما للفائدة أذكر لكم:

من كتاب مفهوم أهل السنة والجماعة بين شيخ الإسلام ابن تيمية وأهل الإفراط والتفريط.

للشيخ عادل بن محمد بن فرحان البحيري الشميري.

- ذكر الشيخ في كتابة تحت عنوان:

وجوب اتباع السنة.

(السنة مثال سفينة نوح: من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، قال الزهري: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة). " الفتاوى " (٣٠٦/٢٢).

و (سبب ظهور البدع في كل أمة، هو خفاء سنن المرسلين فيهم، وبذلك يقع الهلاك، ولهذا كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة، قال مالك رحمه الله: (السنة مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)، وهذا حق، فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم، وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين، واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله، فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح السفينة باطنًا وظاهرًا، والمتخلف عن اتباع الرسالة، بمنزلة المتخلف عن اتباع نوح عليه السلام وركوب السفينة معه). " الفتاوى " (١٣٧/٤).

فالذي نحن مأمورون به هو طاعة الله ورسوله، فعلينا أن نطيع رسول الله ﷺ فيما أمرنا به، فإن الله قد ذكر طاعته في أكثر من ثلاثين موضعًا من كتابه، فقال تعالى: {مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ} [النساء: ٨٠]، وقال: { وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ } [النساء: ٦٤]، وقد أوجب السعادة لمن أطاعه بقوله: {فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا } [النساء: ٦٩]،

وعلق السعادة والشقاوة بطاعته ومعصيته في قوله: {وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾} [النساء: ١٣ - ١٤]، وكان ﷺ يقول في خطبته: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئًا» (١).

ب) بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي الخراساني، أبو علي، الإمام الثبت، المجاور بحرم الله. قال ابن كثير: (أحد أئمة العُباد الزهاد، وهو أحد العلماء والأولياء). وله مواعظ وكلمات في الورع والزهد مشهورة حتى قال ابن المبارك: (إن الفضيل بن عياض صدق الله فأجرى الحكمة على لسانه، فالفضيل ممن نفعه علمه). توفي رحمه الله سنة (١٨٧). انظر سير أعلام النبلاء (٤٢١/٨ - ٤٤٢)، والبداية والنهاية وفيات سنة (١٨٧).

وجميع الرسل دعوا إلى عبادة الله وتقواه وخشيته وإلى طاعتهم، كما قال نوح عليه السلام: {أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾} [نوح: ٣]، وقال تعالى: {وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ} [النور: ٥٢]، وقال كل من نوح والنبيين: {فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾} [الشعراء: ١١٠]، وطاعة الرسول فيما أمرنا به هو الأصل الذي على كل مسلم أن يعتمده، وهو سبب السعادة، كما أن ترك ذلك سبب الشقاوة). " الفتاوى " (٢٢/ ٣٢١. ٣٢٠).

(فإن الإسلام مبني على أصلين: أن لا نعبد إلا الله وحده، وأن نعبده بما شرعه على لسان رسوله ﷺ ، لا نعبده بالأهواء والبدع). " الفتاوى " (٩٤/٢٣).

وقد قال تعالى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك: ٢]، قال الفضيل بن

---

(١)من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -، رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس.
ح (١٠٩٧). وقد ضعفه العلامة الألباني في ضعيف أبي داود. ح (٢٣٨)، وفي خطبة الحاجة ص (١٣).

عياض رضي الله عنه: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي! ما أخلصه؟ وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. وهذا الذي قاله الفضيل متفق عليه بين المسلمين، فإنه لابد له في العمل أن يكون مشروعًا مأمورًا به، وهو العمل الصالح، ولابد أن يقصد به وجه الله، كما قال تعالى:{فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [الكهف: ١١٠].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا)، ومنه قوله تعالى:{ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾} [البقرة: ١١٢].

وقال تعالى:{ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾} [النساء: ١٢٥].

(قلت) ومن هذا العنصر في بركة الرزق وزيادته - كما بينا - أن التمسك بسنة النبى ﷺ هو الخير كل الخير ويكفينا قول الله تبارك وتعالى:{مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ} [النساء: ٨٠].

- وهذا العنصر - من مفاتيح الرزق - التي لايستغنى عنها المسلم في كل شئون حياتة فالعمل بالسنة رحمة واسعة ومنة كبيرة على المسلمين كافة

- اللهم اجعلنا من الذين يقتفون أثر النبى ﷺ في جميع شئون حياتهم وأعنا على ذلك يا أرحم الراحمين (آمين).

* * *

[من مفاتيح الرزق الإحسان إلى الضعفاء والفقراء]

(أحبتى في الله)

- إن من أفضل الآعمال عند الله في توسعة الرزق على العبد - الذي يملك المال - هو الإحسان إلى الضعفاء والمساكين حتى يبارك الله

له في ماله.

(في البخارى)

باب من اسْتعان بالضعَفاء والصالحِينَ في الحربِ.

وَقَالَ ابْن عَبَّاسٍ: أَخْبَرنـي أَبو سفْيانَ قَالَ: " قَالَ لِي قَيْصَر: سَأَلْتكَ أَشْرَاف النَّاسِ اتبعوه أَمْ ضعَفَاؤهمْ؟ فزَعَمْتَ ضعفَاؤهمْ، وَهمْ أَتْباع الرّسلِ ".

- [٢٨٩٦] - حَدَّثَنَا سلَيْمان بْن حَرْبٍ: حَدَّثَنَا محَمَد بْن طَلْحَةَ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ مصعَب بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: رَأى سَعْد (١) رضي الله عنه أَنَّ لَه فَضْلا عَلَى مَنْ دونَه، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «هَلْ تنْصَرونَ وَترْزقونَ إِلَّا بضعَفَائِكم»؟ [رواه البخاري].

(من أسباب الرزق الإحسان إلى الضعفاء والفقراء، وبذل العون لهم، فهذا سبب في زيادة الرزق وهو أحد مفاتيحه)

(أحبتى في الله)

الحث على العناية بالضعفاء والمساكين؛ ولهذا حث النبي ﷺ على هذا بقوله: «هل تنصرون وترزقون إلا ضعفائكم» والله عز وجل قد جعل الإحسان إلى الفقراء والمساكين من صفات المتقين فقال عز وجل: {لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾} [البقرة: ١٧٧].

وقال عز وجل: {فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾} [الروم: ٣٨].

{وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾} [الإسراء: ٢٦].

* * *

من كتاب فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري

للمؤلف: سعيد بن علي بن وهب القحطاني

مانصة:

فينبغي الحث على الإحسان إلى الفقراء والضعفاء، والله يحب المحسنين.

ثانيا: من أسباب النصر والرزق: الإحسان إلى الضعفاء:

دل هذا الحديث على أنه لا ينبغي للأقوياء القادرين أن يستهينوا بالضعفاء العاجزين: لا في أمور الجهاد والنصرة، ولا في أمور الرزق وعجزهم عن الكسب؛ لأن النصر على الأعداء وبسط الرزق قد يكون بسبب الضعفاء؛ ولهذا قال ﷺ: **«هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»**؟ " وهم يكونون من أسباب النصر والرزق من عدة وجوهٍ، منها:

١ - قد يكون النصر على الأعداء، وبسط الرزق بأسباب توجه الضعفاء إلى الله عز وجل وطلبهم النصر والرزق؛ لأنهم أشدّ إخلاصا في الدعاء، وأكثر خشوعا في العبادة، وأقوى توكلا وثقة بالله عز وجل؛ لسلامة قلوبهم وعدم تعلقها بزخارف الدنيا، فإذا دعوا الله على هذه الحال استجاب لهم، فينصر الله الأمة بسببهم، ويرزقهم من أجلهم

٢ - جعل الله أرزاق هؤلاء الضعفاء على أيدي القادرين والأغنياء، فإذا أعطوهم حقهم وأنفقوا عليهم رغبة فيما عند الله؛ فإن الله عز وجل يفتح لهم من أسباب النصر والرزق ما لم يكن لهم ببال ولا دار لهم في خيال، فكم من إنسانٍ كان رزقه قليلا فكثرت عائلته والمتعلقون به فقام بالواجب وأنفق عليهم، ونصره الله على أعدائه، وأمد الله وَوَسَّعَ في رزقه (١)؛

قال الله عز وجل: {وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ} [سبأ: ٣٩]. وقال النبي ﷺ: **«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول**

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٨ / ٨٩، وبهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار، للعلامة عبد الرحمن السعدي ص ٢٤٤، وشرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين ٥ / ١٣١.

أَحدهما: اللهم أعطِ منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكا تلفا»[١] وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه: " قال الله تعالى: «يا ابن آدم أنفق أنفق عليك» [٢]
وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «انفحي، أو انضحي [٣]، أو أنفقي، ولا تحصي فيحصي الله عليك [٤]، ولا توعي فيوعي [٥] الله عليك» [٦].

وفي صحيح البخاري [٧]: «لا توكي فيوكي الله عليك» [١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أخوان على عهد النبي ﷺ فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف فشكى المحترف أَخَاه إلى

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُه لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُه لِلْعُسْرَى ٢ / ١٤٧، برقم ١٤٤٢، ومسلم، كتاب الزكاة، باب المنفق والممسك، ٢ / ٧٠٠، برقم ١٠١٠.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة هود، باب قوله: وكان عرشه على الماء، ٥ / ٢٥٤ برقم ٤٦٨٤، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، ٢ / ٦٩٠، برقم ٩٩٣.

(٣) انفحي، أو انضحي: أي أعطي، والنضح والنفح العطاء، وفي رواية « وارضخي ما استطعت » البخاري برقم ١٤٣٤، والرضخ العطاء أيضا. انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي ص ٥٦٩.

(٤) لا تحصي: أي لا تبخلي فتجازين علي بخلك، وأصل هذا من الإحصاء الذي هو العد، وَعبَّرَ عن البخل بالإحصاء؛ لأن البخيل يعد ماله ويتحرَز بِهِ، ويغار عليه. انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ٣ / ٧٤.

(٥) ولا توعي فيوعي الله عليك: أي لا تجمعي وتشحي بالنفقة، يشَحَّ عليك، وتجازي بتضييق رزقك. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الواو مع العين، مادة: " وعا " ٥ / ٢٠٨.

(٦) متفق عليه: البخاري، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، ٢ / ١٤٥، برقم ١٤٣٣، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحث علي الإنفاق وكراهية الإحصاء، ٢ / ٧١٣ برقم ١٠٢٩.

(٧) البخاري، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها ٢ / ٤٤، برقم ١٤٣٣.

(١) لا توكي: أي لا تدَّخري وتشدي ما عندك وتمنعي ما في يديك، فتنقطع مادة الرزق عنك، انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، باب الواو مع الكاف مادة: « وكا » ٥ / ٢٢٣.

النبي ﷺ فقال: «**لعلك ترزق بِهِ**».

(الترمذي، كتاب الزهد، باب في التوكل، ٤ / ٤٧٤، برقم ٢٣٤٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢ / ٢٧٤).

٣ - دعاء المستضعفين المنفق عليهم؛ فإنهم يدعون الله عز وجل في كل أحوالهم لمن قام بمساعدتهم وأعانهم على فقرهم وضعفهم.

فينبغي أن يعلم الدعاة أن إعانة الضعفاء والعطف عليهم، والإِحسان إليهم، بالقول والفعل من أسباب النصر والرزق والتوفيق.

دل الحديث على التواضع؛ لأن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ظن أن له فضلا على من دونه من أصحاب النبي ﷺ ، بسبب شجاعته، ونحو ذلك من جهة الغنى وكثرة المال، فقال ﷺ : «**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟**» وهذا فيه حث على التواضع ونفي الكبر والفخر، وترك احتقار المسلم في كل حالة.

(انظر: فتح الباري لابن حجر، ٦ / ٨٩، وعمدة القاري للعيني، ١٤ / ١٧٩).

فينبغي للمسلم التواضع وعدم الترفع على إخوانه المسلمين.

(انتهى)

من كتاب فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري.

للمؤلف: سعيد بن علي بن وهب القحطاني.

(وإتماما للفائدة أنقل لك ماذكرة الإمام البيهقى في كتابة الآداب).

* * *

باب في فضل الإنفاق بالمعروف وكراهية البخل والإمساك

قال الله عز وجل في مدح المنفقين: {وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ} [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤]، وقال في ذم البخلاء: {وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ} [الحديد: ٢٣ - ٢٤].

- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الله الْحَافِظُ، وَآخَرُونَ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، إِمْلاءً، حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّوْدِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ ابْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي مُزَرِّدٍ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ بَشَّارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا».

- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بِشْرَانَ، أَنْبَأَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّزَّازُ، حَدَّثَنَا سَعْدُ ابْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يُبَلِّغُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَثَلُ الْمُنْفِقِ وَالْبَخِيلِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، أَوْ جُبَّتَانِ مِنْ لَدُنْ ثَدْيِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَإِذَا أَرَادَ الْمُنْفِقُ أَنْ يُنْفِقَ سَبَغَتِ الدِّرْعُ عَلَيْهِ، أَوْ مَرَّتْ حَتَّى تُجِنَّ بَنَانَهُ، وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَإِذَا أَرَادَ الْبَخِيلُ أَنْ يُنْفِقَ قَلَصَتْ عَلَيْهِ يَعْنِي الدِّرْعَ، وَلَزِمَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَوْضِعَهَا حَتَّى أَخَذَتْ بِعُنُقِهِ أَوْ بِتَرْقُوَتِهِ فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَهِيَ لا تَتَّسِعُ».

- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الله الْحَافِظُ، وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ السَّقَا، قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ، حَدَّثَنِي ثَوْرٌ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ الله لا يُحِبُّ الْفَاحِشَ وَالْمُتَفَحِّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّهُ عِنْدَ الله ظُلُمَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ وَالْبُخْلَ فَإِنَّهُ دَعَا مَنْ قَبْلَكُمْ إِلَى أَنْ يَقْطَعُوا أَرْحَامَهُمْ فَقَطَعُوهَا، وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَهُمْ فَاسْتَحَلُّوهَا، وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ فَسَفَكُوهَا».

- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، وَأَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَزَّازُ، بِبَغْدَادَ، قَالا: أَنْبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْفَاكِهِيُّ، بِمَكَّةَ، حَدَّثَنَا أَبُو يَحْيَى بْنُ أَبِي مَسَرَّةَ، حَدَّثَنَا الْمَقْبُرِيُّ، عَنْ مُوسَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ، وَرُوِّينَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: لا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: خَصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعُ فِي الْمَرْءِ: الْبُخْلُ، وَسُوءُ الْخُلُقِ».

(انتهى من كتاب الآداب للبيهقى)

* * *

[قصة تدل على فضل الإنفاق على الضعفاء]

نص حديث صاحب الحديقة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذه قصة عظيمة تتعلق بالصدقة والنفقة، يرويها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: (بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة يقول: اسقِ حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرَّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحوِّل الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال: يا عبد الله! لِمَ تسألني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسقِ حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أمَّا إذا قلتَ هذا، فإني أنظر إلى ما يَخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأردُّ فيها ثلثه) هذا حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى وأحمد في مسنده في كرامة وليٍّ من أولياء الله كان مشهوراً بالصدقة، والإنفاق في سبيل الله.

وقد حصل أن رجلاً كان يمشي بفلاةٍ من الأرض فسمع صوتاً في

سحابة، ولعل هذا الصوت صوت ملَك من ملائكة الله عز وجل، يقول: (اسقِ حديقة فلان) - يأمر السحاب، فالسحاب تنحَّى إلى حرَّة؛ وهي الأرض الملبسة بالحجارة السوداء، تنحَّى السحاب إليها، وأفرغ ماءه فيها كله - (فإذا شرجة من تلك الشراج...) شرجة من تلك الشراج، وهي: مسايل الماء في الحِرار أو الحرَّة، فيها طرقٍ وأخاديد تمشي فيها المياه وتسيل، إحدى الشراج استوعبت الماء الذي أُمطر على الحرَّة كله، فتتبع الماء إلى أين يذهب؛ فإذا الماء يذهب إلى حديقة وبستان معين، وإذا رجل في البستان يحوِّل الماء بمسحاته، صاحب الحديقة يحوِّل الماء بالمسحاة وهي: المجرفة من الحديد.

فالذي سمع الصوت في السحابة يقول: (اسق حديقة فلان) جاء إلى صاحب الحديقة وقال له: (يا عبد الله - وهذا الذي ينادَى به الشخص غير المعروف الاسم، قال له بدل ما يقول: يا فلان قال: يا عبد الله - ما اسمك؟ قال: فلان...) سمَّى نفسه، فإذا بالاسم يطابق الاسم الذي سمعه في السحابة، الصوت الذي قال: (اسق حديقة فلان).

ثم إن صاحب البستان استغرب من سؤال هذا الرجل عن اسمه، فسأله: (لماذا تسأل عن اسمي؟) - فأخبره أنه سمع صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه لأنه تتبع المطر الذي نزل من هذه السحابة حتى وصل إلى هذا البستان - (فقال له: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسقِ حديقة فلان باسمك - نفس الاسم، تطابَقَ الاسم - فما تصنع فيها؟...) لماذا الماء الذي نزل من السحابة على الحرَّة نَزَل كلُّه في إحدى الشراج التي تؤدي إلى بستانك أنت بالذات؟ ماذا تصنع في هذه الحديقة؟.

قال: أمَّا إذا قلتَ هذا - أمَّا وقد قلتَ ما قلتَ وغُلِبْتُ ولا طريقة لإخفاء عملي - فإني أنظر إلى ما يَخرج منها - ثمار هذا البستان - فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأرد فيها ثلثه) فقسَّم الغلة ثلاثة أقسام.

فوائد حديث صاحب الحديقة

يؤخذ من هذا الحديث:

إثبات كرامات أولياء الله

أولاً: إثبات كرامات أولياء الله تعالى: وأن الله عز وجل قد يسخر سحاباً لسُقيا حديقة معينة وبستان معين من بين جميع البساتين في المنطقة؛ وذلك لصلاح صاحبه، ونفقته في سبيل الله.

فضل الإنفاق في سبيل الله وعلى الأهل والولد وأن الله يخلفه

ثانياً: فضل الإنفاق في سبيل الله، والإنفاق على الأهل والأولاد.

الفائدة الثالثة: أن الله سبحانه وتعالى يخلف النفقة ولا يضيع أجر المحسنين لا في الدنيا ولا في الآخرة: ولذلك فإنه سبحانه يعوِّض هذا الرجل كلما أنفق بماء يسقي بستانه من غير حفر من صاحبه ولا تعب، ماء يسيل بالذات لأجل إكرام هذا العبد.

إمكان سماع صوت الملائكة

ورابعاً: أنه يمكن شرعاً أن يسمع بعض الناس صوت الملائكة: وقد حدث أن الله سبحانه وتعالى أرسل بعض الملائكة لبعض الناس مثل: الملَك الذي أرسله الله على مدرجة رجل ذهب ليزور أخاً له في الله، فسأله واستوثق منه عن سبب ذهابه إليه، ثم أخبره أن الله يحبه على هذا الفعل.

وكان عمران بن حصين من الصحابة رضوان الله تعالى عنهم يسمع تسليم الملائكة عليه.

فإذاً: يمكن لبعض الناس البشر أن يسمع صوت الملائكة.

للسحاب ملائكة موكلون

وخامساً: أن الله تعالى قد وكل بالسحاب ملائكة يسوقونها إلى المكان الذي قدر الله عزوجل وشاء أن تمطر فيه فتمطر.

(تحقيق الحديث) صحيح مسلم الزهد والرقائق (٢٩٨٤)

ومسند الإمام أحمد بن حنبل (٢/٢٩٦).

* * *

[من مفاتيح الرزق العفة عما في أيدى الناس]

(أحبتى في الله)

- إن من أفضل مفاتيح الرزق العفة عما في أيدى الناس

- ويروى من حديث سهل بن سعد مرفوعاً: «**شرف المؤمن قيامُه بالليل، وعزُّه استغناؤُه عن الناسِ**» (١).

- وقال الحسن: لا تزالُ كريماً على الناس، أو لا يزالُ الناسُ يكرمُونَك ما لم تَعاطَ ما في أيديهم، فإذا فعلتَ ذلك، استخفُّوا بكَ، وكرهوا حديثك، وأبغضوك (٢).

- وقال أيوب السَّختياني: لا يَنْبُلُ الرجلُ حتى تكونَ فيه خصلتان: العفَّةُ عمَّا في أيدي الناس، والتجاوزُ عمّا يكون منهم (٣).

- وكان عمر يقول في خطبته على المنبر: إنَّ الطمع فقر، وإنَّ اليأس غنى، وإنَّ الإنسانَ إذا أَيِسَ من الشيء استغنى عنه (٤).

- وروي أنَّ عبد الله بن سلام لقيَ كعب الأحبار عند عمر، فقال: يا كعب، مَنْ أربابُ العلم؟ قال: الذين يعملون به، قال: فما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعد إذ حفظوه وعقلوه؟ قال: يُذهبه الطمعُ، وشرَهُ النفس، وتطلبُ الحاجات إلى النَّاس، قال: صدقت (٥).

- وقد تكاثرت الأحاديثُ عن النَّبيِّ ﷺ بالأمر بالاستعفاف عن مسألة الناس والاستغناء عنهم، فمن سألَ النَّاس ما بأيديهم، كرهوه وأبغضوه؛ لأنَّ المال محبوبٌ لنفوس بني آدم، فمن طلب منهم ما يحبُّونه، كرهوه لذلك.

- وأما من كان يرى المِنَّة للسائل عليه، ويرى أنَّه لو خرج له عن مُلكِه كُلِّه، لم يفِ له ببذل سؤاله له وذِلَّته له، أو كان يقول لأهله: ثِيابُكم على غيركم أحسن منها عليكم، ودوابُّكم تحتَ غيركم أحسن منها تحتكم،

---

(١) أخرجه: الحاكم ٤/٣٢٥، وأبو نعيم في " الحلية " ٣/٢٥٣، والقضاعي في " مسند الشهاب " (١٥١) و(٧٤٦) من حديث سهل بن سعد، به، وإسناده ضعيف لضعف زافر ابن سليمان.

(٢) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٣/٢٠.

(٣) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٣/٥ بنحوه.

(٤) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ١/٥٠.

(٥) أخرجه: ابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضله " ٢/٦ بنحوه مُختصراً.

فهذا نـادرٌ جـداً مـن طبـاع بنـي آدم، وقـد انطـوى بسـاطُ ذلـك مـن أزمـانٍ متطاولةٍ.

- وأما من زهد فيما في أيدي النـاس، وعفَّ عنهم، فإنَّهم يحبُّونـه ويُكرمونه لذلك ويسود به عليهم، كما قال أعرابيٌّ لأهل البصرة: من سيِّدُ أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بما سادهم؟ قالوا: احتـاجَ النـاسُ إلـى علمـه، واستغنى هو عن دنيـاهم [(١)]، ومـا أحسن قـول بعض السَّلف في وصف الدُّنيا وأهلها:

- وما هِيَ إلاَّ جِيفةٌ مستحيلةٌ
- عليها كلابٌ هَمُّهُنَّ اجتذابُها
- فإنْ تَجْتَنبها كنتَ سِلْماً لأهلها
- وإنْ تجتذبها نازعتك كِلابُها
- (أحبتى في الله)

- العفة عما في أيدي الناس من أجمل أخلاق العبد المسلم، فكن أخي المسلم عفيفاً مستغنياً عما في أيدي الناس؛ لتبقى عندهم سيداً محبوباً جليلاً مهيباً ينتفع بك، واعلم أنك إذا طمعت فيما في أيدي الناس فقد بعت دينك بدنياك وأصبحت لديهم محتقراً مهيناً، ممقوتاً، ثقيلاً، مرذولاً، وهان عليك كل ما تلاقيه من أنواع الذلة والإهانة في سبيل الحصول على ذلك الحطام الفاني، وهذا يا أخي هو السقوط الذي لا خلاص منه والفقر الذي لا غنـى معه.

فكـن نزيـه الـنفس عـن شـبه المكاسـب واكتـف بالميسـور عـن ذل المطالب؛ فإن شبه المكتسب إثم، وكدّ الطلب ذل، والأجر أجدر بـه من الإثم، والعزّ أليق به من الذل.

وصدق من قال:

لا تخضعن لمخلـوق علـى طمـع ::: فإنّ ذلك نقـص منـك في الـدين
لن يقدر العبد أن يعطيـك خردلـة ::: إلا بإذن الذي سـواك مـن طـين

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٢/١٤٧ - ١٤٨ بنحوه مُختصراً.

فلا تصاحب غنياً تستعز به ::: وكن عفيفاً وعظم حرمة الدين
واسترزق الله مما في خزائنه ::: فإن رزقك بين الكاف والنون

- يقول الشيخ عائض القرني في بعض دروسة:

- والحديث المشهور: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» وهذا الحديث مما اضطربت فيه الأقوال، فبعضهم يضعفه، وبعضهم يصححه، لكن يقول ابن حجر: حديثٌ حسن رواه ابن ماجة، وغيره بسند حسن.

- إذا عُلِمَ هذا؛ فإن من زهد فيما في أيدي الناس؛ قَبِل الناس منه، والداعية لا يطلب الأجر من الناس، ولا يتقاضى مرتباً على دعوته، بل يطلب الأجر من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالى، قال تعالى: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ} [سبأ: ٤٧]، ولذلك ردَّ الله على كفار مكة، فقال: {أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾} [الطور: ٤٠]، كأنك تطلب منهم شيئاً، فهم مثقلون من الطلب الذي تطلبه، وقد غرموا عليك غرامة، بل أنت ما أخذتَ منهم شيئاً، ولذلك ما مدَّ يده.

- وإذا مدَّ الداعيةُ يدَه إلى الناس؛ باءت دعوتُه بالفشل، قال ابن الجوزي عن بعض الوعَّاظ، ذكرهم في القصاص، قال: كان يقف على المنبر، فيُبكي الناس، فإذا انتهى قال: " والله لا أنزل من على هذا المنبر حتى تملئوا هذا الخرج ذهباً "، وهذا مثل أحمد الغزالي، وهو أخو محمد الغزالي صاحبِ الإحياء، كان هذا يأخذ التبرعات بالقوة، ولذلك يقولون: ما قبل الناس منه فيما بعد، قدمت له امرأة سواراً من ذهب، تتبرع، قال: " قدمي السوار الآخر الذي في يدك اليسرى قطعها الله " فقدمته، وهؤلاء ذهبوا إلى الله عز وجل.

- وبعضهم يطلب أجراً معنوياً، لا يطلب دراهم؛ لكن يحب أن يُصَدَّر في صَدْر المجلس، ويحب أن يُدعَى بسماحة الشيخ، وفضيلة الشيخ، وأن يُقَبَّل على رأسه، هذا إذا بُلِيَ به واستغفر الله منه أُجِرَ على ذلك، أما إذا طلب هذا الأمر وهو الأجر المعنوي والأجر الحسي فيكون الخلاص منه مدخولاً والرياء حاصلاً؛ بتواجد هذا الأجر المعنوي أو

الحسي، ولذلك من يطلب هذه الأمور لا تأتي إليه، كتب أبو بكر لـ خالد: [فِرّ مِن الشرف يتبعك الشرف] أي: فِرّ من هذه الأمور، تتبعك هي، لكنك إذا تبعتها فرَّت منك.

- والله المستعان!

- وإنما تشوَّه علمُ مَن تشوَّه؛ لأنهم طلبوا الدنيا، وجعلوا علمهم شبكة للدنيا ومصيدة لها، فجمعوا وأخذوا، فطمس الله نور العلم منهم.

- يقول عبد القادر الجرجاني، في قصيدة مليحة له، وكان منقبضاً عن الدنيا، وعن الناس، كان يعلِّم الناس، ولا يأخذ على ذلك شيئاً، فقالوا: ما هذا الانقباض؟! فردَّ بقصيدة من أجمل القصائد:

يقولونَ لي فيك انقباضٌ ::: وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أأشقى به غَرساً وأجنيه ذلَّةً ::: إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه ::: صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ::: ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

(انتهى كلام الشيخ رحمة الله)

* * *

من مفاتيح الرزق ـ تقوى الله في السر والعلن

(أحبتى في الله)

- أخى المسلم -

عليك بتقوى الله في السر والعلن، وأبشر بالخير الكثير والفرج القريب قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ} [الطلاق: ٢ - ٣].

وقال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا} [الطلاق: ٥].

فمن رغب في رزق الله له، فلا ينسَ الضعفاء والمساكين، فإنما بهم يُرزق، ولهذا كان ﷺ يقول: «ابغوني في ضعفائكم فإنما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم» [رواه النسائي وأبو داود والترمذي، وصححه الألباني]. ابغوني: تقربوا إليَّ بالتقرب إليهم وتفقد حالهم، وحفظ حقوقهم، والإحسان

إليهم قولا وفعلا واستنصارا.

يا فاطرَ الخَلْــقِ البــديعِ وكــافلاً ::: رزقَ الجميعِ سحابُ جُودِكَ هاطِلُ
يا مُسبِغَ البرِّ الجزيلِ ومُسبلَ الـــ ::: سترِ الجميلِ عميمُ طَوْلِــكَ طائــلُ
يا عالِمَ السِّرِّ الخفيِّ ومُنجزَ الـــ ::: وعدِ الوفيِّ قضاءُ حُكمِكَ عــادلُ
عظُمَتْ صفاتُكَ يا عظيمُ فَجَلَّ أنْ ::: يُحصي الثناءَ عليكَ فيهــا قائــلُ
ربٌّ يُرَبِّـــي العـــالمينَ بِبِـــرِّهِ ::: ونَوالُــهُ أبــدًا إلــيهِم واصــلُ

(من فضائل تقوى الله)

من فضائل التقوى -

١] الحمد والثناء: قال تعالى:{وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ} [آل عمران: ١٨٦].

٢] الحفظ والحراسة من الأعداء: قال تعالى:{وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾} [آل عمران: ١٢٠].

٣] التأييد والنصرة: قال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾} [النحل: ١٢٨].

٤] النجاة من الشدائد والرزق الحلال: قال تعالى:{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾} [الطلاق: ٢ - ٣].

٥] محبة الله: - قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ } [التوبة: ٤]٤

٦] قبول الأعمال: قال تعالى:{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ } [المائدة: ٢٧].

٧] النجاة من النار: - قال تعالى:{ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ} [مريم: ٧٢].

٨] الإعزاز والإكرام: قال تعالى:{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} [الحجرات: ١٣].

٩] الولاية والبشارة عند الموت: قال تعالى:{أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾} [يونس: ٦٢ - ٦٤].

١٠] إصلاح العمل وغفران الذنوب: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

١١] الخلود في الجنة: قال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)} [آل عمران: ١٣٣].

١٢] تيسير الامور: قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} [الطلاق: ٤].

١٣] المغفرة والعلم: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)} [الأنفال: ٢٩].

وقال تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} [البقرة: ٢٨٢].

١٤] الفلاح في الدنيا والآخرة: قال تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٣٠].

١٥] غفران الذنوب وإعظام الأجور: قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا} [الطلاق: ٥].

١٦] الهداية من الله: قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢].

الأسباب المؤدية إلى تقوى الله: -

١ - الخوف من عذاب الآخرة: إذا استحضر المؤمن أمامه يوم القيامة وكيف تطير صحائف الأعمال وكيف يقابل المولى العظيم بذنوبه الكثيرة يشفق على نفسه.

٢ - الخوف من عقاب الدنيا: إن الله له عقوبات في الدنيا لمن تعدى حدوده، أمراض بالأبدان، وضيق بالرزق، وذم على ألسنة الخلق، وقد ينال بطش الجبار من يظلم نفسه أو غيره في أي لحظة فيردع ذلك المؤمن ويوفقه إلى تقوى الله.

٣ - رجاء ثواب الآخرة: مَن مِن العقلاء يرضى لنفسه ثواباً دون

الجنة التي لم يرض الله ثواباً غيرها لعبادة المؤمنين.

٤ - رجاء ثواب الدنيا: إن الله ينضّر وجه المتقين، ويطمئن قلوب الصالحين، ويرغّد حياة المؤمنين بتقواه.

٥ - الحياء من نظر الله: هذه مرتبة المحسنين الذين عرفوا لله قدره فاستحيوا منه وحفظوا لله جنابه فلهذا وجلوا منه ورأوا كرمه ونعمته فلهذا تحببوا إليه أولئك بحق هم المتقون.

- العلم: قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ} [فاطر: ٢٨]، أي أن الذين يخافون إنما هم العلماء بأمره ونهيه ووعيده وثوابه.

٧ - صدق المحبة لله تبارك وتعالى: فمن صدقت محبته صدقت عبوديته وخوفه من الله تبارك وتعالى، قال بعض الصالحين: رأيت شاباً عليه آثار القلق ودموعه تتحادر فقلت له من أنت؟ فقال آبق من مولاه، قلت تعود وتعتذر، قال: العذر يحتاج إلى حجة فكيف يعتذر المفرط، قلت له تتعلق بشفيع، قال كل الشفعاء يخافون منه، فقلت من هو؟ قال: مولى رباني صغيراً فعصيته كبيراً فوا حيائي منه ومن حسن صنيعه وقبح فعلي.

* * *

احفظ الله يحفظك

عن أبي العباس عبد الله بن عباس ب قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال لي: «يا غلام إني أعلمُكَ كلماتٍ.. احفظِ الله يحفظْكَ، احفظِ الله تجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أنْ ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوكَ إلا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لكَ، وإنْ اجتمعوا على أنْ يَضُروكَ بشيءٍ لم يَضُروكَ إلا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليكَ، رُفِعَتْ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

قوله ﷺ: " احفظ الله.. " يعني احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه.. فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه وقال

عز وجل: {هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾} [ق: ٣٢ - ٣٣]، وفُسر الحفيظ هنا بالحافظ لأوامر الله، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها.

ومما يجب حفظه: حفظ الرأس والبطن، كما في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - المرفوع: " الاستحياءُ من الله حقَّ الحياءِ أنْ تحفظَ الرأسَ وما وعى، وتحفظَ البطنَ وما حَوَى ". [خرجه الإمام أحمد والترمذي] وحفظ الرأس وما وعى يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات، وحفظ البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرم الله، قال الله عز وجل: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} [البقرة: ٢٣٥].

وقد جمع الله ذلك كله في قوله: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦].

ويتضمن أيضا حفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب.

ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله عز وجل: اللسان والفرج، وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**مَن حَفِظَ ما بين لَحْيَيْهِ وما بينَ رِجليهِ دخلَ الجنةَ**» [أخرجه الحاكم].

وأَمَرَ اللهُ عز وجل بحفظ الفرج، ومدح الحافظين لها فقال: {وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٣٥].

وقال أبو إدريس الخولاني: أول ما وصى الله به آدم عند إهباطه إلى الأرض حفظ فرجه، وقال: لا تضعه إلا في حلال.

وقوله ﷺ: «**يحفظك**..» يعني أنّ مَن حفظ حدود الله، وراعى حقوقه حفظه الله؛ فإنَّ الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} [البقرة: ٤٠]، وقال: {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ} [محمد: ٧].

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان: أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه،

كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله.. قال الله عز وجل: {لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ} [الرعد: ١١]، قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خلوا عنه. وقال عليّ - رضي الله عنه -: إنَّ مع كل رجل مَلَكين يحفظانه مما لم يُقدر، فإذا جاء القَدَر خَلَّيَا بينه وبينه، وإنَّ الأجل جُنَّة حصينة. وقال مجاهد: ما مِن عبد إلا وله مَلَك يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما مِن شيء يأتيه إلا قال له: وراءك.. إلا شيئًا أذن الله فيه فيصيبه. وخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث ابن عمر بقال: لم يكن رسول الله ﷺ يَدَع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم إني أسألُكَ العافيةَ في الدنيا والآخرةِ، اللهم إني أسألُكَ العفوَ والعافيةَ في ديني ودنيايَ وأهلي ومالي، اللهم استُرْ عوراتي، وآمِنْ رَوْعاتي، واحفظني مِن بينِ يديَّ ومِن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومِن فوقي، وأعوذُ بعظمتِكَ أنْ أُغتال مِن تحتي».

ومَن حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله.. وكان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو مُمَتَّع بقوته وعقله، فوثب يومًا وثبة شديدة؛ فعوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر؛ فحفظها الله علينا في الكبر.. وعكس هذا أن بعض السلف رأى شيخًا يسأل الناس، فقال: إن هذا ضَيَّع الله في صغره؛ فضيعه الله في كبره.

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته في ذريته، كما قيل في قوله تعالى: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا} [الكهف: ٨٢]، أنهما حُفظا بصلاح أبيهما. قال سعيد بن المسيب لابنه: لأزيدنَّ في صلاتي من أجلك رجاء أنْ أُحفَظ فيك، ثم تلا هذه الآية: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا} [الكهف: ٨٢]، وقال عمر بن عبد العزيز: ما مِن مؤمن يموت إلا حفظه الله في عَقِبه وعَقِب عَقِبه. وقال ابن المنكدر: إنَّ الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله؛ فما يزالون في حفظ من الله وستر.. ومتى كان العبد مشتغلا بطاعة الله فإنَّ الله يحفظه في تلك الحال.

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي ﷺ قال: «كانت امرأةٌ في بيتٍ، فخرجتْ في سَرِيَّةٍ من المسلمين، وتركتْ ثنتي عشرةَ عَنْزَةً وصِيصِيَّتَها كانت

تنسج بها. قال: ففقدتْ عنزةً لها وصِيصِيَّتَها، فقالت: يا ربِّ! إنك قد ضمنتَ لمن خرجَ في سبيلِكَ أنْ تحفظَ عليهِ، وإني قد فقدتُ عنزًا مِن غنمي وصِيصِيَّتي، وإني أنشدكَ عنزةً لي وصيصيتي..» قال: وجعل النبي ﷺ يذكرُ شدةَ مناشدتِها ربَّها تبارك وتعالى. قال رسول الله ﷺ: «فأصبحتْ عنزُها ومثلُها» (١) [رواه أحمد، وصححه الألباني].

فمَن حفظ الله حفظه الله من كل أذى، قال بعض السلف: مَن اتقى الله فقد حفظ نفسه، ومَن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه، والله غني عنه..

ومن عجيب حفظ الله لمن حفظه أن يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظة له من الأذى كما جرى لـ " سفينة " مولى النبي ﷺ حيث كُسِر به المركب، وخرج إلى جزيرة، فرأى الأسد؛ فجعل يمشي معه حتى دله على الطريق..! فلما أوقفه عليها جعل يهمهم كأنه يودعه، ثم رجع عنه..! ورُؤي إبراهيم بن أدهم نائمًا في بستان، وعنده حَيَّة في فمها طاقة نرجس، فما زالت تذب عنه حتى استيقظ..!

وعكس هذا أنَّ مَن ضيع الله ضيعه الله؛ فضاع بين خلقه حتى يدخل عليه الضرر والأذى ممن كان يرجو نفعه من أهله وغيرهم، كما قال بعض السلف: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خُلُق خادمي ودابتي.

النوع الثاني من الحفظ وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته مِن الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته؛ فيتوفاه على الإيمان.. قال بعض السلف: إذا حضر الرجل الموت يُقال للمَلَك: شُم رأسه، قال: أجد في رأسه القرآن.. قال: شُم قلبه، قال: أجد في قلبه الصيام.. قال: شُم قدميه، قال: أجد في قدميه القيام.. قال: حفظ نفسه؛ فحفظه الله.

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه أمره أن يقول عند منامه: «إنْ قبضتَ نفسي فارحمها، وإنْ أرسلتها فاحفظها بما تحفظُ بِهِ عبادَكَ الصالحين». وفي حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو: «اللهم احفظني بالإسلامِ قائمًا، واحفظني بالإسلامِ قاعدًا،

(١) وصيصيتُها هي الصنارة التي يُغزَل بها ويُنسج.

واحفظني بالإسلام راقدًا، ولا تُشمِتْ بي عدوًا حاسدًا». [رواه الحاكم في المستدرك، وحسنَه الألباني].

وكان النبي ﷺ يُوَدِّع مَن أراد سفرا، فيقول: «أستودِعُ الله دينَكَ وأمانتَكَ وخواتيمَ عملِكَ». وقال ﷺ: «إنَّ الله إذا استُودِعَ شيئًا حفظَهُ» [رواه أحمد، والنسائي، والطبراني، وصححه الألباني].

وفي الجملة فإنَّ الله عز وجل يحفظ المؤمن الحافظ لحدود دينه، ويحول بينه وبين ما يُفسد عليه دينه بأنواع من الحفظ، وقد لا يشعر العبد ببعضها، وقد يكون كارهًا له، كما قال في حق يوسف: {كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ} [يوسف: ٢٤]، قال ابن عباس في قوله تعالى: {وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ} [الأنفال: ٢٤]، قال: يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجره إلى النار. وقال الحسن وقد ذكر أهل المعاصي: هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم. وقال ابن مسعود: إنَّ العبد ليهم بالأمر مِن التجارة والإمارة حتى ييسَّر له، فينظر الله إليه، فيقول للملائكة: اصرفوه عنه؛ فإنه إنْ يسرتُهُ له أدخلتُه النار.. فيصرفه الله عنه، فيظل يتطير بقوله: حسدني فلان، ودهاني فلان.. وما هو إلا فضل الله عز جل!

وقال ﷺ: «احفظ الله تجده تجاهك..»، وفي رواية: «.. أمامك..» معناه أنَّ مَن حفظ حدود الله، وراعى حقوقه؛ وجد الله معه في كل أحواله حيث توجَّه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويُسدده: {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾} [النحل: ١٢٨]، قال قتادة: مَن يتقِ الله يكن معه، ومَن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تُغلَب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل. وكتب بعض السلف إلى أخ له: أما بعد؛ فإنْ كان الله معك فمَن تخاف؟ وإنْ كان عليك فمَن ترجو؟

وهذه المعية الخاصة هي المذكورة في قوله تعالى لموسى وهارون: {لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} [طه: ٤٦]، وقول موسى: {كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ} [الشعراء: ٦٢]، وفي قول النبي ﷺ لأبي بكر وهما في الغار: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما..»، {لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠].

فهذه المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد والحفظ والإعانة، بخلاف المعية المذكورة في قوله تعالى: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة: ٧]؛ فإن هذه المعية تقتضي علمه واطلاعه ومراقبته لأعمالهم، فهي مقتضية لتخويف العباد منه.

والمعية الأولى تقتضي حفظه وحياطته ونصره.. فمَن حفظ الله، وراعى حقوقه وجده أمامه ونجاه على كل حال؛ فاستأنس به، واستغنى عن خلقه، كما قيل لبعضهم: ألا تستوحش وحدك؟ فقال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس مَن ذكرني. وقيل لآخر: أما معك مؤنس؟ قال: بلى.. قيل: أين هو؟ قال: أمامي ومعي وخلفي وعن يميني وعن شمالي وفوقي، [جامع العلوم والحكم (بتصرف)].

قال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكةُ: ربِّ! ذاك عبدُك يريدُ أن يعملَ سيئةً وهو أبصرُ به فقال: ارقبوه، فإنْ عملَها فاكتبوها له بمثلِها، وإنْ تركها فاكتبوها له حسنةً، إنما تركها من جرايَ» [رواه مسلم].

(من جرايَ): إنما تركها لله.. إنما تركها تعظيما لله.. إنما تركها خوفا من الله.. إنما تركها اجتنابا لعذابه وسخطه وناره يوم الدين.. (تركها من جرايَ)، وما أكثر عرض السيئات اليوم علينا صباح مساء.. فمَن ترك شيئا من هذه السيئات لله فإنه يؤجر على ذلك، قال العلماء: يؤجر على ترك السيئات إذا كان قادرا عليها وتركها لله.

* * *

[الصيام يحقق تقوى الله في السر والعلن]

قال عمر بن عبد العزيز: ليس تقوى الله بصيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله، فمَن رُزق بعد ذلك خيرًا فهو خير إلى خير.

ويتحقق قوله تبارك وتعالى: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) إذا تقرب العباد إليه سبحانه [بترك ما حرم الله في كل حال؛ من الكذب والظلم والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ولهذا قال النبي ﷺ: «مَن لم يَدَعْ

قـولَ الـزُّورِ والعمـلَ بـهِ فلـيسَ لله حاجـةٌ في أنْ يَـدَعَ طعامَـه وشرابَـه» [رواه البخاري]، وفي حديث آخر: «ليسَ الصيامُ مِنَ الطعام والشرابِ إنما الصيامُ من اللغوِ والرَّفَث» [رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححه الألباني].

قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام. وقال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.

إذا لم يكن في السمعِ مني تصاونٌ ::: وفي بصري غضٌّ وفي مَنطقي صمتُ
فحظي إذًا من صوميَ الجوعُ والظما ::: وإنْ قلتُ إني صمتُ يومي فما صمت

وقال النبي: «رُبَّ صائم حظُّه مِن صيامِه الجوعُ والعطشُ، ورُبَّ قائم حظُّه مِن قيامِه السهرُ» [رواه ابن ماجه والنسائي وابن خزيمة، وقال الألباني: حسن صحيح].

وسر هذا أن التقرب إلى الله تعالى بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات؛ فمَن ارتكب المحرمات ثم تقرب إلى الله تعالى بترك المباحات كان بمثابة مَن يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل؛ وإن كان صومه مجزئا عند الجمهور؛ بحيث لا يؤمر بإعادته لأن العمل إنما يَبطل بارتكاب ما نُهي عنه فيه لخصوصه؛ دون ارتكاب ما نُهي عنه لغير معنى يختص به. هذا هو قول جمهور العلماء.

* * *

من مفاتيح الرزق - الزواج

(أحبتي في الله)

إن الزواج من الأسباب الجالبة للرزق، قال تعالى: {وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢)} [النور: ٣٢].

فالنكاح جالب للبركة، وفي خبر آخر: " تزوجوا النساء فإنهن يأتين بالمال " أي: بما يرزق الله بسببهن هذا إذا خلصت النية في هذا العمل لله،

وهذا أمر مجرب مشاهد بالعيان، ويصدق هذا الحديث قول الله تعالى في محكم تنزيله: {وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾} [النور: ٣٢].

وقد أخرج عبد الرزاق وأحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله»**.

وقد روى السيوطي في الدر المنثور أن الخطيب أخرج في تاريخه عن جابر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو إليه الفاقة فأمره أن يتزوج.

وقال ابن كثير في تفسيره:

قال ابن عباس: رغبهم الله في التزويج، وأمر به الأحرار والعبيد، ووعدهم عليه الغنى، فقال: {إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ} [النور: ٣٢]، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى، قال تعالى: {إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ} [النور: ٣٢]، وعن ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله تعالى: {إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ} [النور: ٣٢].

الزواج

السؤال: لماذا نتزوج؟

الجواب: إن الزواج هو أساس المجتمع، وأية حركة في الحياة وفي المجتمع تستند في الأساس على مسألة الزواج. ويريد الحق سبحانه وتعالى أن يضمن الاستقرار والسعادة للكائن الذي كرّمه واستخلفه في الأرض وجعل كل الأجناس مسخَّرة لخدمته.

يريد الحق سبحانه أن يصدُر ذلك الكائن عن ينبوع منهجيّ واحد؛ لأن الأهواء المتضاربة هي التي تُفسد حركة الحياة، فأراد أن يصدُر المجموع الإنسانيُّ كله عن ينبوع عَقَديّ واحد، وأراد أن يحميَ ذلك الينبوع من أن يتعثر بتعدد النزعات والأهواء، ولذلك ينبهنا سبحانه إلى هذا الموقف. وهو عز وجل يريد سلامة الوعاء الذي سيُوجِدُ ذلك الإنسانَ

بعد الزواج، فبالزواج ينجب الإنسان وتستمر الحياة بالتكاثر، ولذلك لابد من الدقة في اختيار الينبوع الذي يأتي منه النسل، ومن هنا تأتي أهمية اختيار الرجل للزوجة المؤمنة الصالحة، وكذلك اختيار المرأة للزوج المؤمن الصالح.

إن للإنسان عمرًا محدودًا في الحياة وسينتهي؛ لذلك يجب أن يستبقيَ الإنسانُ النوعَ في غيره. كيف؟

نحن نتزوج كي يرزقنا الله بالذرية والبنين والحفدة وتستمر الحلقات، وهذا استبقاء للنوع الإنسانيّ، والحق سبحانه يريد أن يكون الاستبقاء للنوع كريمًا؛ لذلك يأمرنا الحق سبحانه أن نستبقيَ النوع بأن نختار له الوعاء الطاهر، فإياك أن تستبقيَ نوعًا من وعاء نجس اختلَط فيه ماءُ أناس متعددين فلا يدري أحد لمن يُنسَب الولد فيصيرَ مضيَّعًا في الكون مجهول النسب، فأوضح الله للإنسان أن يختار لنفسه الوعاء النظيف ليستبقيَ النوع بكرامة. والحصول على المرأة النظيفة إنما يكون بما شرعه الله، أي بالزواج فقط (وقد حفَل القرآن الكريم والسنة النبوية بالآيات والأحاديث التي ترغب في الزواج، منها: {وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً} [النساء: ١]، وقوله: {فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ} [النساء: ٣]، وقوله: {وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ} [النور: ٣٢]، وقوله: {وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم: ٢١].

ومن السنة المطهرة، أخرج البخاريّ ٥٠٦٥ ومسلم ١/١٤٠٠ عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاء».

وروى ابن ماجه ١٨٦٢ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من أراد أن يَلقَى الله طاهرًا مطهَّرًا فليتزوَّجْ الحرائرَ» وضعفه الألبانيّ في ضعيف ابن ماجه ٤١٠.

وروى الترمذيّ ١٠٨٠ عن أبي أيوب - رضي الله تعالى عنه - قال:

قال رسول الله ﷺ: «أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والسواك، والنكاح» وضعفه الألبانيّ في ضعيف الترمذيّ ١٨٤.

وأخرج مسلم ١٤٦٧/ ٥٩ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة».

وروى ابن ماجه ١٨٥٧ عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ ﷺ أنه كان يقول: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرًا له من زوجة صالحة إن أمَرَها أطاعته، وإن نظَرَ إليها سرَّته، وإن أقسَم عليها أبَرَّته، وإن غاب عنها نصَحَته في نفسها وماله» وضعفه الألبانيّ في ضعيف ابن ماجه ٤٠٨.

وروى ابن ماجه ١٨٥٦ عن ثوبان - رضي الله تعالى عنه - قال: لما نزل في الفضة والذهب ما نزل قالوا: فأيَّ المال نَتَّخذ؟ قال عمر: فأنا أعلم لكم ذلك. فأوضَعَ على بعيره فأدرَك النبيَّ ﷺ وأنا في أثَره، فقال: يا رسول الله، أيَّ المال نَتَّخذ؟ فقال: «ليتَّخذْ أحدُكم قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجةً مؤمنةً تُعين أحدكم على أمر الآخرة» وصححه الألبانيّ في صحيح ابن ماجه ١٥٠٥.

وروى الطبرانيّ ١١٢٥٧/١٣٤/١١عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «أربعٌ من أُعطِيهُنَّ فقد أُعطيَ خيرَ الدنيا والآخرة: قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وبدنًا على البلاء صابرًا، وزوجةً لا تَبغيه حَوبًا في نفسها وماله». قال الهيثميّ في مجمع الزوائد: رواه الطبرانيّ في الكبير والأوسط، وإسناد أحدهما جيد.

الحَوب - بفتح الحاء المهمَلة وتُضَمّ - هو الإثم.

وروى أحمد في المسند ١٦٨/١ عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم ثلاثةٌ ومن شقاوة ابن آدم ثلاثةٌ؛ من سعادة ابن آدم المرأةُ الصالحةُ والمسكنُ الصالحُ والمركبُ الصالحُ، ومن شقاوة ابن آدم المرأةُ السوءُ والمسكنُ السوءُ والمركبُ السوءُ».

ورواه الحاكم ١٥٧/٢/ ٢٦٤٠ وصححه، إلا أنه قال: «والمسكن الضيق».

وابن حبان في صحيحه ٤٠٣٢ إلا أنه قال: «**أربع من السعادة: المرأةُ الصالحةُ، والمسكنُ الواسعُ، والجارُ الصالحُ، والمركبُ الهَنيءُ، وأربع من الشقاء: الجارُ السوءُ، والمرأةُ السوءُ، والمركبُ السوءُ، والمسكنُ الضيقُ**». وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاريّ.

وروى الحاكم في المستدرك ١٧٥/٢/ ٢٦٨١ والطبرانيّ في الأوسط ٥٢٢/١/ ٩٧٦ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من رزقه الله امرأة صالحةً فقد أعانه على شطر دينه فليتَّق الله في الشطر الباقي**». وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وروى الترمذيّ ١٦٥٥ وابن حبان في صحيحه ٤٠٣٠ عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة حقٌّ على الله عونُهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف**». وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

وروى البيهقيّ ٧٨/٧/ ١٣٢٣٣ والطبرانيّ في الكبير ٣٦٦/٢٢/ ٩٢٠ عن أبي نَجيح رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان مُوسِرًا لأن يَنكِحَ ثم لم يَنكِحْ فليس مني**». قال المنذريّ: رواه الطبرانيّ بإسناد حسن والبيهقيّ، وهو مرسل، واسم أبي نجيح يَسار، بالياء المثناة تحت، وهو والد عبد الله بن أبي نَجيح المكيّ.

وأخرج البخاريّ ٥٠٦٣ عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبيّ ﷺ يسألون عن عبادة النبيّ ﷺ فلما أُخبِروا كأنهم تَقَالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبيّ ﷺ! قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا كذا؟ أمَا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رَغب عن سنَّتي فليس منّي**».

وروى أحمد في المسند ٨٠/٣ عن أبي سعيد الخدريّ - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُنكَح المرأة على إحدى خصال ثلاث:**

تُنكَح المرأة على مالها، وتُنكَح المرأة على جمالها، وتُنكَح المرأة على دينها، فخُذ ذاتَ الدين والخُلُق تَرِبَت يمينك».

وأخرج البخاريّ ٥٠٩٠ ومسلم ٥٣/١٤٦٦ عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «تُنكَح المرأة لأربع: لمالها ولحَسَبها ولجمالها ولِدينها، فاظفَر بذات الدين تَرِبَت يداك».

قال المنذريّ: " تَرِبَت يداك " كلمة معناها الحث والتحريض. وقيل: هي هنا دعاء عليه بالفقر. وقيل: بكثرة الماء. واللفظ مشترك بينهما قابل لكل منهما، والآخر هنا أظهر. ومعناه: اظفَرْ بذات الدين ولا تلتفت إلى المال، أكثَرَ اللهُ مالَك. ورُوي الأول عن الزهريّ، وأن النبيّ ﷺ إنما قال له ذلك لأنه رأى الفقر خيرًا له من الغنى. والله أعلم بمراد نبيه ﷺ.

وفي مسند الشاميِّين ١١/٢٩/١ عن أنس - رضي الله تعالى عنه - عن النبيّ ﷺ: «من تزوَّج امرأة لعزِّها لم يَزِدْه الله إلا ذُلًّا، ومن تزوَّجها لمالها لم يَزِدْه الله إلا فقرًا، ومن تزوَّجها لحُسنها لم يَزِدْه الله إلا دناءة، ومن تزوَّجها لم يتزوَّجها إلا ليَغُضَّ بصرَه ويُحصِّنَ فَرْجَه أو يَصِلَ رَحِمَه بارَكَ الله له فيها وبارَكَ لها فيه».

وروى ابن ماجه ١٨٥٩ عن عبد الله بن عمرو - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَزوَّجوا النساءَ لِحُسنهنَّ فعسى حُسنُهنَّ أن يُرْدِيَهنَّ، ولا تزوَّجوهنَّ لأموالهنَّ فعسى أموالُهنَّ أن تُطغيَهنَّ، ولكن تزوَّجوهنَّ على الدين، ولَأَمَةٌ خَرمَاءُ سوداءُ ذاتُ دينٍ أفضلُ» وقال الألبانيّ في ضعيف ابن ماجه ٤٠٩: ضعيف جدًّا.

وروى أبو داود ٢٠٥٠ عن معقل بن يسار - رضي الله تعالى عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أصبت امرأةً ذاتَ حسَب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: «لا» ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: «تزوَّجوا الوَدودَ الوَلودَ؛ فإني مُكاثرٌ بكم الأممَ». وقال الألبانيّ: حسن صحيح. صحيح أبي داود ١٨٠٥.

* * *

(أحبتى في الله)

إن الزوجة الصالحة هي المرأة المؤمنة العابدة، التي تحفظ نفسها، وتحفظ زوجها في نفسه وعرضه، وتحفظه في ماله وولده، وهي التي تُحسن معاملة زوجها وأهلها وجيرانها، وتُحسن إدارة بيتها الذي هو مملكتها الخاصة التي جعلها الله سبحانه وتعالى ملكة متوَّجة عليه.

فالزوج قد يقضي في منزله ساعات قليلة في اليوم لكن المرأة تقضي معظم وقتها في بيتها، فإن كانت صالحة صلَح البيت كله وإن كانت فاسدة فسَد البيت كله. ولم لا وهي بمثابة القلب للإنسان، فإن صلَح القلب صلَح الجسد كله وإن فسَد القلب فسَد الجسد كله وضاع صاحبه!

إن المرأة الصالحة لها عمل عظيم في حياتها وبيتها لا يَقلّ إن لم يَزِدْ عن عمل الرجل وكَدِّه في الحياة لتوفير المال، فالمرأة سكن لزوجها وحضن لأطفالها ووزيرة اقتصاد لشؤون بيتها، تعامل زوجَها - كما أمَرَ ربها سبحانه وتعالى - بالمودة والرحمة والطاعة التامة في غير معصية، وتربّي أولادها تربية إسلامية صحيحة رشيدة، فتَغرس فيهم مبادئ الإسلام العظيم منذ الصغر فينشؤون صالحين في المجتمع.

الزوجة الصالحة تقوم على شأنه، وتُعينه على طاعة ربه، وتحفظه في حضوره وغيابه، وتنصحه وتشير عليه، وتُخفّف عنه ولا تُثقل عليه، إذا نظَر إليها سرَّته، وإن دعاها أجابته، وإذا غاب عنها حفظته.

* * *

زوجة عابدة

وعن عبد الله المكي أبي محمد قال: كانت " حبيبة العدوية " إذا صلَّت العتمة قامت على سطح لها، وشدَّت عليها درعها وخمارها، ثم قالت: إلهي قد غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك.

ثم تقبل على صلاتها، فإذا طلع الفجر قالت: إلهي هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري أقَبِلْتَ مني ليلتي فأهنأ، أم رددتها عليّ فأعزى؟ وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني، وعزتك لو انتهرتني عن

بابك ما برحت، لما وقع في نفسي من جودك وكرمك.

وقال الهيثم بن جماز: كانت لي امرأة لا تنام الليل، وكنت لا أصبر معها على السهر، فكنت إذا نعستُ ترشُّ عليّ الماء في أثقل ما أكون من النوم، وتنبهني برجلها، وتقول: " أما تستحيي من الله؟ إلى كم هذا الغطيط؟ فوالله إن كنت لأستحيي مما تصنع ".

وقال بعض الصالحين: خرجت يومًا إلى السوق ومعي جارية حبشية، فاحتبست في موضع بناحية السوق، وذهبت في بعض حوائجي، وقلت: لا تبرحي حتى أنصرف إليك، قال: فانصرفت، فلم أجدها في الموضع، فانصرفت إلى منزلي وأنا شديد الغضب عليها، فلما رأتني عرفت الغضب في وجهي، فقالت: يا مولاي لا تعجل عليّ، إنك أجلستني في موضع لم أر فيه ذاكرًا لله تعالى، فخفت أن يُخسف بذلك الموضع. فعجبت لقولها، وقلت لها: أنت حرة.

فقالت: ساء ما صنعت، كنت أخدمك فيكون لي أجران، وأما الآن فقد ذهب عني أحدهما [1].

إن الزوجة الصالحة العابدة، التي تسلك طريق العابدات الخاشعات، لهي القدوة الصالحة لأبنائها، وهي أم لجيل صالح عابد إن شاء الله تعالى.

ولذلك يجب على المسلم عند الزواج أن يختار الزوجة الصالحة المتدينة؛ لقول النبيّ ﷺ: «**فاظفَر بذات الدين تَربَت يداك**» أي: امتلأت يداك بالخير وقلبك بالسعادة (أخرجه البُخاريّ ٥٠٩٠ ومسلم ١٤٦٦/٥٣).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبيّ ﷺ قال: «**تُنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفَر بذات الدين تَرِبَت يداك**» وكذلك على المرأة ووليّها أن يختارَا الزوجَ الصالح وإن كانَ فقيرًا؛ لقول النبيّ ﷺ: «**إذا جاءكم مَن تَرضَون دينَه فزوِّجوه**» (روى الترمذيّ ١٠٨٤ وابن

---

(١) راجع أحكام النساء لابن الجوزي، وصفة الصفوة لابن الجوزي أيضًا، وإحياء علوم الدين للغزالي، وسير أعلام النبلاء للذهبي، وعودة الحجاب لمحمد إسماعيل جـ٢، وأخبار النساء في سير أعلام النبلاء لعبيد الشعبي، ونساء زاهدات لمحمد خير يوسف.

ماجه ١٩٦٧).

عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ :«إذا خطَبَ إليكم مَن تَرضَون دينَه وخُلُقَه فزوِّجوه، إلّا تفعلوا تكُنْ فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض». وقال الألبانيّ في صحيح ابن ماجه ١٦٠١: حسن).

فالرجل المؤمن الصالح إن أحب زوجته حَفِظها وإن كَرِهَها لم يَبخَسها حقَّها (أخرج مسلم ١٤٩٦/ ١١ وأحمد في المسند ٣٢٩/٢ عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ :«لا يَفرَك مؤمنٌ مؤمنةً؛ إن كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ»).

وذلك لأن منطلقاتها وغايتها في الحياة تختلف اختلافًا كبيرًا عن منطلقات وغاية المرأة العادية.

قيل لرسول الله ﷺ : أي النساء خير؟ قال:«التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره» [(١)].

وصدق من قال:

وخير النساء من سَرَّت الزوج منظرًا ::: قصيرةُ ألفاظٍ، قصيرة بيتها
عليك بذات الدين تظفر بالمنى ::: ومن حفظته في مغيب ومشهد
قصيرةُ طرف العين عن كل أبعد ::: الودود الولود الأصلِ ذات التَعبد

إذن فاختيار المرأة الصالحة ذات الدين زوجة للرجل، هو الاختيار الصائب والضروري.

فهي مستقيمة على دين الله ظاهرًا وباطنًا، بلا توان أو تردد أو تكاسل أو تسويف أو هوى:

فالاستقامة على الدين عندها، ليست استقامة القشور والمظاهر، وإنما استقامة حقيقية يحبها الله تعالى، وهي موافقة العمل للأحكام الشرعية وإخلاصه لله عز وجل، هي استقامة استواء الظاهر والباطن وتناسقهما، بحيث لا تفعل فعلاً يخالف القول، أو تقول قولاً يخالف الفعل، فهي تعيش

(١) رواه النسائي والحاكم وغيرهما، وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (١٨٣٨).

بالإسلام واقعًا حقيقيًا صادقًا ملموسًا، فنجد عملها يوافق قولها، ومخبرها يوافق مظهرها؛ لأنها تعمل ألف حساب لقوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾} [الصف: ٢ - ٣].

لذا فإن استقامتها على الدين يحملها على طاعة مطلقة لله تعالى ولرسوله ﷺ بلا تردد أو تكاسل، ثم تنطلق بكل خضوع وحب لله طالبة رضا الله والدار الآخرة.

ليس بينها وبين زوجها مشاكل حول طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، مؤتمرة بأوامر الشرع، مجتنبة لنواهيه:

الإيمان قد اختمر في قلبها، والخوف من الله أصبح قائدها، والجنة غايتها؛ لذا فهي تقف على قاعدة السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ، وبالتالي لا توجد مشاكل بينها وبين زوجها في ذلك الجانب.

وهذا بخلاف من زوجها يحضها على طاعة الله وهي معرضة، ومن زوجها يحبب إليها الإيمان والعمل الصالح وهي نافرة متبعة لهواها، فتنشأ مشاكل خطيرة بينهما، تجعل الحياة الزوجية بينهما دائمًا في قلق واضطراب.

وإن عبودية المرأة لربها تدفعها إلى كل طاعة تُقربها من الله تعالى، فهلاً قامت المرأة بالوظيفة التي خُلقت من أجلها، ألا وهي عبادة الله تعالى وحده.

وعلاوة على ذلك فهي يقظة الالتزام: وأعني بذلك أنها لا يفوتها فرصة تستطيع أن تعلم أولادها من خلالها سُنَّة مثلاً، أو توجه زوجها إلى طاعة غفل أو كسل عنها، إلا ونبهت وأرشدت.

فإذا عطس ولدها مثلاً، لا تترك الأمر يمر بدون تعليم أو توجيه فتعلمه أن يقول: الحمد لله، فإذا تعلمها لا تنسى أو تتكاسل أن ترد عليه فتقول: يرحمك الله، ثم يرد عليها الولد: يهديكم الله ويصلح بالكم.

وهذا مثال يوضح ما أعنيه بيقظة الالتزام عندها، وهذا ناشئ بالطبع من انشغالها الدائم بدينها، لدرجة أنها لا تُفوِّت فرصة تستطيع أن تعلم من

خلالها أدبًا أو خلقًا إسلاميًا إلا وقامت به.

وكذلك تعلم ابنها أذكار الاستيقاظ من النوم، وأذكار الصباح والمساء، وتسأل زوجها لِمَ لَمْ تصل الفجر اليوم. وهكذا

* * *

[من فتاوى النساء للشيخ الشعراوى رحمه الله]

- تحت عنوان - لماذا نتزوج -.

- الزواج

- السؤال: لماذا نتزوج؟

- الجواب: إن الزواج هو أساس المجتمع، وأية حركة في الحياة وفي المجتمع تستند في الأساس على مسألة الزواج. ويريد الحق سبحانه وتعالى أن يضمن الاستقرار والسعادة للكائن الذي كرّمه واستخلفه في الأرض وجعل كل الأجناس مسخَّرة لخدمته.

- يريد الحق سبحانه أن يصدُر ذلك الكائن عن ينبوع منهجيّ واحد؛ لأن الأهواء المتضاربة هي التي تُفسد حركة الحياة، فأراد أن يصدُر المجموع الإنسانيُّ كله عن ينبوع عَقَديّ واحد، وأراد أن يحميَ ذلك الينبوع من أن يتعثر بتعدد النزعات والأهواء.

ولذلك ينبهنا سبحانه إلى هذا الموقف. وهو عز وجل يريد سلامة الوعاء الذي سيُوجِدُ ذلك الإنسانَ بعد الزواج، فبالزواج ينجب الإنسان وتستمر الحياة بالتكاثر، ولذلك لابد من الدقة في اختيار الينبوع الذي يأتي منه النسل، ومن هنا تأتي أهمية اختيار الرجل للزوجة المؤمنة الصالحة، وكذلك اختيار المرأة للزوج المؤمن الصالح.

- إن للإنسان عمرًا محدودًا في الحياة وسينتهي؛ لذلك يجب أن يستبقيَ الإنسانُ النوعَ في غيره. كيف؟

- نحن نتزوج كي يرزقنا الله بالذرية والبنين والحفدة وتستمر الحلقات، وهذا استبقاء للنوع الإنسانيّ، والحق سبحانه يريد أن يكون الاستبقاء للنوع كريمًا؛ لذلك يأمرنا الحق سبحانه أن نستبقيَ النوع بأن

نختار له الوعاء الطاهر، فإياك أن تستبقيَ نوعًا من وعاء نجس اختلَط فيه ماءُ أناس متعددين فلا يدري أحد لمن يُنسَب الولد فيصيرَ مضيَّعًا في الكون مجهول النسب، فأوضح الله للإنسان أن يختار لنفسه الوعاء النظيف ليستبقيَ النوع بكرامة. والحصول على المرأة النظيفة إنما يكون بما شرعه الله، أي بالزواج فقط.

(وقد حفَل القرآن الكريم والسنة النبوية بالآيات والأحاديث التي ترغب في الزواج، منها: {وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النساء: ١]، وقوله: {فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} [النساء: ٣]، وقوله: {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ} [النور: ٣٢]، وقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم: ٢١].

- ومن السنة المطهرة، أخرج البخاريّ ٥٠٦٥ ومسلم ١٤٠٠/١ عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاء**».

- وأخرج مسلم ١٤٦٧/ ٥٩ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**».

- وروى ابن ماجه ١٨٥٧ عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ ﷺ أنه كان يقول: «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرًا له من زوجة صالحة إن أمَرَها أطاعته، وإن نظَر إليها سرَّته، وإن أقسَم عليها أبَرَّته، وإن غاب عنها نصَحَته في نفسها وماله**». وضعفه الألبانيّ في ضعيف ابن ماجه ٤٠٨.

- وروى ابن ماجه ١٨٥٦ عن ثوبان - رضي الله تعالى عنه - قال: لما نزل في الفضة والذهب ما نزل قالوا: فأيَّ المال نَتَّخذ؟ قال عمر: فأنا أعلم لكم ذلك. فأوضَعَ على بعيره فأدرَك النبيَّ ﷺ وأنا في أثَره، فقال: يا رسول الله، أيَّ المال نَتَّخذ؟ فقال: «**ليتَّخذْ أحدُكم قلبًا شاكرًا، ولسانًا**

ذاكرًا، وزوجةً مؤمنةً تُعين أحدكم على أمر الآخرة». وصححه الألبانيّ في صحيح ابن ماجه ١٥٠٥.

- وروى الطبرانيّ ١١/١٣٤/١١٢٥٧عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «أربعٌ من أُعطِيهُنَّ فقد أُعطيَ خيرَ الدنيا والآخرة: قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وبدنًا على البلاء صابرًا، وزوجةً لا تَبغيه حَوبًا في نفسها وماله». قال الهيثميّ في مجمع الزوائد: رواه الطبرانيّ في الكبير والأوسط، وإسناد أحدهما جيد.

- الحَوب - بفتح الحاء المهمَلة وتُضَمّ - هو الإثم.

- وروى أحمد في المسند ١٦٨/١ عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم ثلاثةٌ ومن شقاوة ابن آدم ثلاثةٌ؛ من سعادة ابن آدم المرأةُ الصالحةُ والمسكنُ الصالحُ والمركبُ الصالحُ، ومن شقاوة ابن آدم المرأةُ السوءُ والمسكنُ السوءُ والمركبُ السوءُ». ورواه الحاكم ١٥٧/٢/ ٢٦٤٠ وصححه.

إلا أنه قال: «والمسكن الضيق». وابن حبان في صحيحه ٤٠٣٢.

إلا أنه قال: «أربع من السعادة: المرأةُ الصالحةُ، والمسكنُ الواسعُ، والجارُ الصالحُ، والمركبُ الهَنيءُ، وأربع من الشقاء: الجارُ السوءُ، والمرأةُ السوءُ، والمركبُ السوءُ، والمسكنُ الضيقُ».

وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاريّ.

- وروى الحاكم في المستدرك ١٧٥/٢/ ٢٦٨١ والطبرانيّ في الأوسط ٥٢٢/١/ ٩٧٦ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من رزقه الله امرأة صالحةً فقد أعانه على شطر دينه فليتَّق الله في الشطر الباقي». وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

- وروى الترمذيّ ١٦٥٥ وابن حبان في صحيحه ٤٠٣٠ عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حقٌّ على الله عونُهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف». وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

- وروى البيهقيّ ٧٨/٧/ ١٣٢٢٣ والطبرانيّ في الكبير ٢٢/٣٦٦/

٩٢٠ عن أبي نَجيح رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان مُوسِرًا لأن يَنكِحَ ثم لم يَنكِحْ فليس مني».

- قال المنذريّ: رواه الطبرانيّ بإسناد حسن والبيهقيّ، وهو مرسل، واسم أبي نجيح يَسار، بالياء المثناة تحت، وهو والد عبد الله بن أبي نَجيح المكيّ.

(انتهى كلام الشيخ رحمه الله)

- أسأل الله أن يزوج شباب المسلمين من المسلمات العفيفات حتى تنتشر الفضيلة في مصرنا الحبيبة وأسأل الله أن يحصن فروج المسلمين والمسلمات، آمين.

* * *

[من مفاتيح الرزق] الجهاد في سبيل الله

- أحبتي في الله -

إن الجهاد في سبيل الله: من أصول الأديان، ولا يستقيم أمر المسلمين إلا به، وقد أوضح النبي ﷺ هذه الحقيقة عندما قال: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد» (1).

والجهاد من المجاهدة، وهي بذل الجهد واستنفاذ الطاقة في سبيل حصول المقصود.

وحقيقة الجهاد في سبيل الله هي العمل على إعلاء كلمة الله في الأرض بكافة الوسائل المادية والمعنوية، وإقامة موازين العدل والأمن في المجتمعات البشرية.

لأن الأصل أن تحكم الأرض بشريعة الله، فإن دين الإسلام دين عالمي، وقد جاءت الرسالة المحمدية خاتمة للرسالات السابقة مشتملة عليها ومتممة لمكارم الأخلاق ومحاسن الفعال.

والصراع بين الحق والباطل لا ينتهي، ولا بد من مقاومة الشر والطغيان في مختلف العصور.

والجهاد مشروع حتى في الأمم السابقة، كما قال تعالى: { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ } [آل عمران: ١٤٦].

وحكم الجهاد الذي هو بمعنى الغزو والقتال في سبيل الله: أنه فرض كفاية، بمعنى أنه إذا قام به من المسلمين من يكفي سقط الإثم عن الباقين وإلا أثموا جميعا، ويتعين في مواضع ثلاثة كما نص على ذلك بعض فقهاء الإسلام (2):

١ - إذا التقى الزحفان وتقابل الجيشان حرم على من حضر المعركة

---

(١) سنن الترمذي الإيمان (٢٦١٦)، سنن ابن ماجه الفتن (٣٩٧٣)، مسند أحمد بن حنبل (٢٤٦/٥).

(٢) انظر المغني لابن قدامة ج٩ ص١٧٩ وغيره من مصادر الفقه الإسلامي.

الانصراف وتعين عليه القتال لقول الله تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ } [الأنفال: ٤٥].

وقوله تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ } [الأنفال: ١٥ - ١٦].

٢ - إذا هاجم العدو بلاد المسلمين وجب عليهم الدفاع عنها.

٣ - إذا دعا إمام المسلمين إلى النفير العام... وجبت عليهم الإجابة لداعي الجهاد كما قال تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ } [التوبة: ٣٨ - ٣٩]، وقال تعالى: { ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ } [التوبة: ٤١].

أما أسباب الجهاد: فهي كثيرة ولكن مردها إلى ما يلي:

١ - العدوان على المسلمين، وقد شرع الله القتال لرد العدوان، قال تعالى: { وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ } [البقرة: ١٩٠]، وقال تعالى: { فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ } [البقرة: ١٩٤].

٢ - رفع الظلم والاضطهاد عن المسلمين، وقد أذن الله لهم بالدفاع عن أنفسهم قال تعالى: { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ } [الحج: ٣٩].

٣ - ضرورة إبلاغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة لأنها دعوة عالمية ورسالة ختامية: { وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا } [سبأ: ٢٨]، وليس للرسول ﷺ خيار في إبلاغ رسالة الله. فلقد قال الله تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ } [المائدة: ٦٧]، حتى قيل إن هذه الآية من أشد الآيات التي نزلت على رسول ﷺ.

وأمام هذه التكاليف بإبلاغ رسالة الله لا بد للدعوة من خصوم يقفون في طريقها ويمنعون وصولها إلى الناس عندئذ لا بد من تحطيم مراكز القوى التي تصد عن سبيل الله: {وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾} [البقرة: ١٩٣].

أما أهداف الجهاد في سبيل الله: فهي إعلاء كلمة الله في الأرض، وإقامة الحق والعدل بين الناس وجعل الحاكمية لله وحده، فلا يهتدى إلا بهدي الله ولا يحكم إلا بشريعته... ولهذا لا يكاد يذكر القتال أو الجهاد إلا مقرونا بسبيل الله تفريقا بينه وبين القتال من أجل الثارات والأطماع الدنيوية وحب السيطرة والاستعباد، فالإسلام لا يريد من القتال إبادة الحرث والنسل ونشر الخراب والدمار... بل إن من أهداف الإسلام إسعاد البشرية وهدايتها، ونشر الأمن والرخاء فوق ربوعها، وهو لا يلجأ للقتال إلا عند الضرورة.

أما مشروعية الجهاد: فكانت بعد الهجرة، فإنه لم يختلف العلماء في أن القتال قبل الهجرة كان محظورا على المسلمين كقوله تعالى: {فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ} [المائدة: ١٣]، وقوله: {ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ} [المؤمنون: ٩٦]، وفصلت من ٣٤. فلما استقر النبي ﷺ بالمدينة وصارت له شوكة... أنزل الله تعالى قوله: {وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ} [البقرة: ١٩٠]، فكان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه، وروى جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وابن عباس أن أول آية نزلت في القتال هي قوله تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج: ٣٩].

وقد أيد هذا أبو بكر بن العربي في كتابه أحكام القرآن، وذكر أن القتال كان إذنا ثم أصبح فرضا بعد ذلك (١).

والجهاد في سبيل الله: يكون بالنفس وبالمال وباللسان، وقد أعظم الله الثمن للمجاهدين بالأنفس والأموال فقال جل وعلا: {إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربي ج١ ص١٠٢ وتفسير القرطبي ج٢ ص٣٤٧.

فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾} [التوبة: ١١١].

وروى أبو داود والإمام أحمد والنسائي وابن حبان أن رسول الله ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» (١).

والذين جادوا بأنفسهم في سبيل الله بشرهم الله بالحياة الطيبة وأنهم عند ربهم يرزقون فقال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

* * *

[من فضائل الجهاد في سبيل الله]

(من كتاب اللؤلؤ والمرجان في ذكر بعض الأعمال الموجبة للجنان)

من فضائل الجهاد

عمل إذا عملته خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود

العمل هو: موقف ساعة في سبيل الله، قال رسولُ الله ﷺ: «موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود» (رواه ابن حبان، وأبو نعيم عن أبي هريرة).

أخرجه ابن حبان (٤٦٢/١٠ رقم ٤٦٠٣) وأخرجه أيضًا: البيهقى في شعب الإيمان (٤٠/٤، رقم ٤٢٨٦)، والديلمى (١٦٨/٤، رقم ٦٥٢٤). - وصححه شيخنا الألبانى.

عمل إذا عملته كعتق رقبة

العمل هو: رمي العدو بسهم، قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ رَمَى الْعَدُوَّ بِسَهْمٍ فَبَلَغَ سَهْمُهُ الْعَدُوَّ أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ فَعَدْلُ رَقَبَةٍ» أخرجه ابن ماجة

(١) سنن النسائي الجهاد (٣٠٩٦)، سنن أبو داود الجهاد (٢٥٠٤)، مسند أحمد بن حنبل (١٥٣/٣)، سنن الدارمي في الجهاد (٢٤٣١).

(٢٨١٢) قال: حدَّثنا يُونُس بن عَبْد الأَعْلى، حدَّثنا عَبْد الله بن وَهْب، أخبرني عَمْرو ابن الحارث، عن سُلَيْمان بن عَبْد الرَّحْمن القُرَشِي، عن القاسم بن عَبْد الرَّحْمن، فذكره. (و صححه شيخنا الألباني).

عمل خير لك من صيام شهر وقيامه

العمل هو: رباط يوم في سبيل الله، قال رسولُ الله ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

عمل إذا عملته يحرم الله النار عليك

العمل هو: إغبار الأقدام في سبيل الله، قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ الله حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ».

- صحيح البخارى - (الحديث ٩٠٧ - طرفه في ٢٨١١)

(انتهى من كتاب: اللؤلؤ والمرجان في ذكر بعض الأعمال الموجبة للجنان)

* * *

[من عقوبات ترك الجهاد في سبيل الله]

(أحبتى في الله)

إذا ترك المسلمون الجهاد في سبيل الله، وآثروا حياة الدعة والراحة، وركنوا إلى الدنيا، أصابهم الذل والهوان، وفسدت أمورهم، وعرضوا أنفسهم لمقت الله تعالى وغضبه. وتعرض الإسلام للضياع، وطغيان الكفر عليه. ولذلك كان ترك الجهاد من كبائر الذنوب.

قال ابن حجر في " الزواجر " :

(الكبيرة التسعون والحادية والثانية والتسعون بعد الثلاثمائة ترك الجهاد عند تعينه، بأن دخل الحربيون دار الإسلام أو أخذوا مسلماً وأمكن تخليصه منهم. وترك الناس الجهاد من أصله. وترك أهل الإقليم تحصين ثغورهم بحيث يخاف عليها من استيلاء الكفار بسبب ترك ذلك التحصين) اهـ.

ولذلك صار معلوما ومقررا عند الصحابة أنه لا يقعد عن الجهاد إذا

كان فرض عين إلا ضعيف معذور أو منافق، وهذا ما يحكيه كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن تبوك: (فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ الله ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَى إِلَّا رَجُلاً مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ الله مِنْ الضُّعَفَاءِ)، رواه البخاري (٤٠٦٦) ومسلم (٤٩٧٣).

وقد بينت تلك الأدلة بعض ما يترتب عليه من عقوبات، فمنها:

١ - ترك الجهاد سبب للهلاك في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فإن الجبان الرعديد يكون ذليلاً مستعبداً تابعاً غير متبوع. وأما في الآخرة فترك الجهاد سبب لعذاب الله تعالى.

قال الله تعالى: {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥} [البقرة: ١٩٥].

روى الترمذي (٢٩٧٢) عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنْ الرُّومِ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ، فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا: سُبْحَانَ الله! يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ! فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةَ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، لَمَّا أَعَزَّ الله الإِسْلامَ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ الله ﷺ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ الله قَدْ أَعَزَّ الإِسْلامَ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا، فَأَنْزَلَ الله عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ} [البقرة: ١٩٥]، فَكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلاحِهَا، وَتَرْكَنَا الْغَزْوَ. فَلَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله حَتَّى دُفِنَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ. وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

قال في " تحفة الأحوذي " : وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِإِلْقَاءِ الأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ هُوَ الإِقَامَةُ فِي الأَهْلِ وَالْمَالِ وَتَرْكُ الْجِهَادِ اهـ.

٢ - ترك الجهاد سبب للذل والهوان.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ الله عَلَيْكُمْ ذُلًا لا يَنْزِعُهُ حَتَّى

تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ، سَلَّطَ الله عَلَيْكُمْ ذُلا لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ، سَلَّطَ الله عَلَيْكُمْ ذُلًا لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ». رواه أبو داود (٣٤٦٢).

و صححه شيخنا الألباني في صحيح أبي داود.

ولقد صدق رسولنا ﷺ، فإن الناظر إلى أحوال المسلمين اليوم يرى أنهم قد فرطوا في دينهم تفريطا عظيما.. فأكلوا الربا، وركنوا إلى الدنيا، وتركوا الجهاد في سبيل الله. فماذا كانت النتيجة؟!! ألزمهم الله الذل في أعناقهم، فهم يلجؤون إلى الشرق أو الغرب خاضعين ذليلين يطلبون منهم النصر على الأعداء، وما عرف أولئك أن الذل لا يرفع عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

وصدق الله العظيم: { بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ} [النساء: ١٣٨ - ١٤٠].

٣ - وترك الجهاد سبب لنزول العذاب في الدنيا والآخرة.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا، أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصَابَهُ الله بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رواه أبو داود (٢٥٠٣).

وحسنه شيخنا الألباني في صحيح أبي داود.

والقارعة هي الدَاهِيَة المُهْلِكَة التي تأتي فجأة، يقال: قَرَعَهُ أَمْرٌ إِذَا أَتَاهُ فَجْأَة.

وقال الله تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾} [التوبة: ٣٨ - ٣٩].

" وليس العذاب الذي يتهددهم هو عذاب الآخرة فقط، بل عذاب الدنيا والآخرة، عذاب الذل الذي يصيب القاعدين عن الجهاد، عذاب الحرمان من الخيرات التي يستفيد منها العدو الكافر ويحرمها أهلها، وهم مع ذلك

كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الجهاد، ويقدمون على مذابح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء، وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل فدفعت مرغمة صاغرة أضعاف ما كان يتطلبه منها جهاد الأعداء " اهـ. الظلال (١٦٥٥/٣).

وقال السعدي رحمه الله ص (٥٣٢):

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟} ألا تعملون بمقتضى الإيمان، ودواعي اليقين، من المبادرة لأمر الله، والمسارعة إلى رضاه، وجهاد أعدائه لدينكم، فـ:{مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ}، أي: تكاسلتم، وملتم إلى الأرض والدعة والكون فيها.

{أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ} أي: ما حالكم إلا حال من رضي بالدنيا، وسعي لها، ولم يبال بالآخرة فأنه ما آمن بها.

{فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا} التي مالت بكم، وقدمتموها على الآخرة{إِلَّا قَلِيلٌ} أفليس قد جعل الله لكم عقولاً، تزنون بها الأمور وأيها أحق بالإيثار؟

أفليست الدنيا - من أولها إلى آخرها - لا نسبة لها في الآخرة.

فما مقدار عمر الإنسان القصير جداً من الدنيا، حتى يجعله الغاية، التي لا غاية وراءها فيجعل سعيه، وكده وهمه وإرادته لا يتعدى الحياة الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار المشحونة بالأخطار.

فبأي رأي رأيتم إيثارها على الدار الآخرة، الجامعة لكل نعيم التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون. فوالله ما آثر الدنيا على الآخرة من وقر الإيمان في قلبه، ولا من جزل رأيه، ولا من عُدَّ من أولى الألباب، ثم توعدهم على عدم النفير فقال:{إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

في الدنيا والآخرة، فإن عدم النفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيه من المضار الشديدة فإن المتخلف قد عصى الله تعالى، وارتكب لنهيه، ولم يساعد على نصر دين الله، ولا

ذَبَّ عن كتاب الله وشرعه، ولا أعان إخوانه المسلمين على عدوهم، الذي يريد أن يستأصلهم، ويمحق دينهم، وربما اقتدى به غيره من ضعفاء الإيمان فحقيق بمن هذا حاله أن يتوعده الله بالوعيد الشديد، فقال: {إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا} [التوبة: ٣٩]، فإنه تعالى متكفل بنصرة دينه وإعلاء كلمته، فسواء امتثلتم لأمر الله أو ألقيتموه وراءكم ظهرياً.

{وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التوبة: ٣٩]، لا يعجزه شيء أراده، ولا يغالبه أحد اهـ.

نسأل الله تعالى أن يرد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً. وأن يرفع عنهم الذل والهوان.

(وإتماما للفائدة أنقل لكم - أيها الأحبة - كلاما نفيسا يتعلق بمفاتيح الرزق من كتاب شرح العقيدة الطحاوية.

لشيخنا المفضال: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين.

- يقول الشيخ رحمه الله تحت عنوان:

حقيقة انفراد الله تعالى بالرزق وتيسير أسبابه.

أما قوله: (رازق) فمعلوم أنه الذي تفرد بالرزق وحده، وقد يقول قائل: بل العبد هو الذي يتكسب، والدواب هي التي تسعى في طلب الرزق، فإذاً كيف يكون ذلك رزقاً، ونحن نشاهد أن الإنسان هو الذي يكتسب الرزق؟! يقول هذا كثير من الناس، وأكثر من يقوله هم الملاحدة، حتى نقل لي بعض الإخوان عن بعض الملاحدة والعياذ بالله أنه لما قيل له: تذكر أن الله الذي يرزقك، فقال: كلا إنما ترزقني يميني والعياذ بالله، نسي أن الله حنن عليه أبويه في طفولته، نسي أن الله يسر له الرزق وهو في رحم أمه، حتى يأتيه الرزق من حيث لا يشعر.

فالإنسان في بطن أمه يكون له باب واحد يأتيه الرزق منه، وهو حبل السرة الذي يتغذى من الدم، فمن الذي يسر ذلك له؟ هل للأبوين تصرف في هذا الجنين حتى يتم خلقه؟ ليس لهما تصرف، إذاً فالذي دبره على هذه الهيئة هو الذي يرزق.

فلما خرج إلى هذه الدنيا من الذي فجر له هذين الثديين من صدر والدته، بهذا اللبن اللذيذ الذي يحصل به التغذي؟! من الذي ألهم هذا الطفل أن يمتص الثديين حتى يحصل على هذا اللبن الذي يتقوت به؟! عندما أخرجه الله إلى الدنيا فتح له بابين - وهما هذان الثديان - ليكون منهما رزقه وغذاؤه، لا يستطيع أن يحصل لنفسه هذا الرزق إلا أن ييسره الله له، من الذي حنن قلب أبويه عليه وجعل في قلوبهما الشفقة التامة إلى أن يحنو عليه ويحدبا عليه ويحبا بقاءه ويسهرا ويتعبا في تحصيل راحته؟! لولا أن الله جعل ذلك في قلوبهما لما التفتا إليه ولما بقي على هذه الحياة مدة.

بعدما فطم وترعرع من ذينيك الثديين، فتح الله له أربعة أبواب من الرزق: شرابان، وطعامان، فالشرابان: اللبن مأخوذ من الحيوان، والأشربة من الماء، والطعامان: اللحم طعام من الحيوانات التي سخرها الله للإنسان ليأكل من لحومها، وسائر الأطعمة مما تنبته الأرض، والله تعالى هو الذي يسر له ذلك.

أولاً: باب واحد في بطن أمه.

ثانياً: بابان بعدما خرج إلى الدنيا وكان رضيعاً.

ثالثاً: أربعة أبواب بعدما فطم وأحس بالحاجة: طعامان، وشرابان.

من الذي يسر أسباب الرزق؟ من الذي أنبت هذا النبات حتى أثمر وحتى أينع وأصبح صالحاً للقوت لو شاء الله تعالى لجعل الأرض حجراً لا تنبت، ولو شاء لجعل الأرض كلها ماءً لم يحصل بها هذا النبات ولا هذا الاستقرار، ولو شاء لجعل هذه الأرض سبخة لا ينبت فيها أي نبات أصلاً، بل لو أن الله جعل الأرض كلها ذهباً أو كلها فضة، هل يحصل الانتفاع بها وتنبت ويأكل الناس ودوابهم ويتقوتون بها؟ لا، ما تنفعهم.

الله جعل الأرض رخوة صالحة للإنبات، فتبين بذلك أنه سبحانه هو الذي رزقنا، ولهذا يمتن علينا بأنه هو الذي رزقنا، ولسنا نحن الذي نرزق أنفسنا، ثم إذا كان الإنسان قد أعطي قوة حتى يتكسب ويجمع المال من هنا ومن هنا، فمن الذي أعطاه هذا العقل والفكر حتى يتسبب؟ ومن

الذي أعطاه هذه الأدوات وهذه الآلات حتى يسير على قدميه وحتى يبطش بيديه وحتى يكتسب بهما؟ أليس هو الذي خلقه؟! إذاً فالله تعالى هو الخالق وهو الرازق، وإذا كان هو الخالق والرازق فهو الذي يستحق أن يعبد.

انتهى من كتاب: شرح العقيدة الطحاوية.

للمؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين

* * *

كيف تكون ثريا من الأثرياء

- أخي في الله -

إذا أردت أن تصبح ثرياً من الأثرياء، وغنياً من الأغنياء، فتمسك بهذة الأمور التى ذكرناها في هذا الكتاب من كلام الله تبارك وتعالى الله في كتابه وذكرها ﷺ في سنته، احفظها بالدليل إذا أردت أن يوسع الله عليك، وكن موقناً بسعة الرزق، فالله لا يخلف الميعاد، من هذه الأمور - تلخيصا كما ذكرنا - التي بها تصبح ثرياً ويبتعد عنك شبح الفقر بإذن الله:

الأول: الإكثار من الاستغفار، قال الله سبحانه: {وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى} [هود: ٣]، وقال نوح لقومه: {ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾} [نوح: ١٠ - ١٢].

الثاني من الأمور التي بها تصبح ثرياً كبيراً من الأثرياء: الإنفاق في وجوه البر، قال سبحانه: {وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ} [سبأ: ٣٩].

ومن ذلك قول النبي ﷺ: **«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم! أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم! أعط ممسكاً تلفاً»**، وقال الله في الحديث القدسي: **«ابن آدم أَنفق أُنفق عليك»**.

الثالث: إذا أردت أن تصبح ثرياً صل الأرحام، قال النبي ﷺ: **«من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه»**.

الرابع: شكر نعمة الله، قال سبحانه وتعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾} [إبراهيم: ٧].

الخامس: تقوى الله وترك المحارم، قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢ - ٣].

فهذه أسباب سعة الرزق، والبركة في الرزق، فافعلها تصبح ثرياً من الأثرياء فهي أسباب مضمونة.

ولكن كما هو معلوم أن الشخص إذا ذهب إلى طبيب يعالجه، فوصف لك الطبيب جرعة من الدواء، زجاجة دواء، وقال: اشربها جميعها على فترات، فإذا شربت منها ملعقة وتركت لم تشف، أما الشفاء فبإذن الله ثم بشربها كاملة، كذلك في شأن هذه الأسباب، لا تستغفر مرة أو مرتين، ولا تشكر مرة أو مرتين، ولكن واصل الذكر، وواصل الشكر، وواصل صلة الأرحام، وواصل الإنفاق على الفقراء، فكل هذه المواصلة سبب أكيد ومضمون في سعة رزق الله لك، فليعقلها من أراد لنفسه الثراء، والله سبحانه خير الرازقين.

* * *

[خاتمة]

تم بفضل الله الجزء الأول من هذا الكتاب المسمى:

(بمفاتيـح الـرزق)

ويلية الجزء الثانى بفضل الله ومنه وعطفه وكرمه.

والحمد لله رب العالمين

مـا دعـوة أنفـع يـا صـاحبي ::: مـن دعـوة الغائـب للغائـب
ناشـدتك الـرحمن يـا قارئـاً ::: أن تسـأل الغفـران للكاتـب

(وأقول أيضا):

تفكرتُ في حشري ويـومِ قيـامتي ::: فريدًا وحيـدًا بعـد عِـزٍ ومِنْعَـةِ
تفكرت في طول الحساب وعرْضـه ::: وإصباح خَـدّي في المقـابر ثاويَـا
رهينًا بجُرمـي والتـراب وَسـادِيَا ::: وذُلّ مقامي حـين أُعطـى كتابيـا
ولكن رجائي فيـك ربي وخـالقي ::: بأنـك تعفـو يـا إلهـي خطائِيـا

- اللهم إنى أسألك بأسمائك الحسنى كلها ماعلمت منها ومالم أعلم أن تجعل هذا الكتاب ذخرا لى وأنا في قبرى رهين أعمالى.

- اللهم اغفر لكاتبه ومصححه وناشره والداعى إليه ومن نظر فيه ومن نصحنا فيه نصيحة أن تدخلنا وإياهم الجنة من غير حساب ولا عذاب يا أرحم الراحمين (آمين).

وكتبـه
الشيخ / السيد عطية السيد
أبو عبد الرحمن
إمام مسجد مالك الملك بالمنصورة
وعضو هيئة علماء السنة برقم : ٢٠٢٠٩
ت/ ٠١٢٢٤٥٩١٢٢٧ / ٠١١٤٨٠٨٩٦٤٤
٠١٠٦٦٥٧٠٠١٨

(من وجد خطأ في هذا الكتاب فليتصل بى فإن الكمال لله وحده)

ولا تنسونى من صالح دعواتكم

* * *

الفهـرس

* * *